

## الباب الثاني

# عوامل تأثر اليهودية بالأديان الوثنية

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: فترات السبي والاضطهاد والاختلاط في حياة اليهود.

الفصل الثاني: فقدان وتحريف اليهود للتوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام، وانتفاء قدسية أسفار العهد القديم.

الفصل الثالث: الاتجاه الوثني لدى بنى إسرائيل.

obeikandi.com

# الفصل الأول

## فترات السبي والاضطهاد والاختلاط في حياة اليهود

ويتضمن دراسة هذه المباحث:

المبحث الأول: الاضطهاد في مصر.

المبحث الثاني: التيه في البرية.

المبحث الثالث: الذل في عصر القضاة.

المبحث الرابع: تسلط الآشوريين على اليهود والسبي الآشوري.

المبحث الخامس: سقوط مملكة يهوذا والسبي البابلي.

المبحث السادس: الاضطهاد اليوناني والشتات الهليني.

المبحث السابع: الاضطهاد الروماني والشتات الأخير.

المبحث الثامن: اختلاط اليهود بالشعوب الوثنية وزواجهم بالوثنيات.

obeikandi.com

## المبحث الأول الاضطهاد فى مصر

يذكر سفر التكوين - وكما تبين لنا فى الفصل السابق - أن بنى إسرائيل دخلوا مصر واستوطنوا بها ونعموا فيها بالراحة والأمان فى عهد يوسف عليه السلام<sup>(١)</sup>، وفى عصر الأسرة الحاكمة التى استوزر فيها، وقد ترجح لدينا أنه عصر الهكسوس<sup>(٢)</sup>.

لذلك فإن بعض العلماء يذهبون إلى أن تلك الراحة وذلك الأمان كانا مرتبطين بعهد يوسف وبعصر الهكسوس، ويرون أن فترة الاضطهاد والإذلال والاستعباد لبنى إسرائيل فى مصر قد بدأت عقب طرد الهكسوس من مصر، واعتلاء الفراعنة عرش بلادهم<sup>(٣)</sup>.

---

(١) وإن كان المصريون قد استقبلوا أخوة يوسف بشيء من النفور ونوع من الاستعلاء كما اعترف بذلك سفر التكوين حين يروى أن يوسف طلب أن يقدم لهم الطعام "فقدموا له وحده، ولهم وحدهم وللمصريين الأكلين عنده وحدهم لأن المصريين لا يقدرون أن يأكلوا طعاماً مع العبرانيين لأنه رجس عند المصريين" تكوين ٤٣ : ٤٢.

(٢) راجع الفصل الثالث من الباب الأول "اتصال اليهود بمصر".

(٣) راجع كاترين هنرى: التاريخ فى الكتاب ص ٢٩، صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم ص ٦٣، شاهين ماكريوس: تاريخ الإسرائيليين ص ٩، د/ أحمد يوسف: مصر فى القرآن والسنة ص ٧٤، ويذكر هؤلاء أن المصريين قد استشعروا مدى التحالف القائم بين الهكسوس وبين بنى إسرائيل واعتبروه نوعاً من الخيانة لهم، وقد قيل إن بنى إسرائيل ساهموا فعلاً فى استمرار احتلال الهكسوس لمصر ولذلك نظر إليهم المصريون على أنهم عملاء للمستعمر وينبغى الحذر منهم فهم من أحذق خلق الله على الثقل والتلون وإثارة القلاقل واستغلال الأزمات.

ويذهب آخرون إلى أن هذه الفترة قد بدأت متأخرة عن هذا التاريخ وأن بنى إسرائيل ظلوا يعيشون في سلام وأن حكام مصر قد ترفقوا، واتخذوا منهم جنوداً لجيوشهم في حملاتهم حتى عهد الأسرة التاسعة عشرة<sup>(١)</sup>.

وكان من ملوك هذه الأسرة الفرعونية رمسيس الثانى الذى يرجح أنه هو الذى بدأ بإذلال الإسرائيليين واستعبادهم واستخدامهم فى أعمال السخرة اعتماداً على رواية التوراة.

ورد فى سفر الخروج "ومات يوسف وكل إخوته وجميع ذلك الجيل وأما بنو إسرائيل فاثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيراً جداً وامتألت الأرض منهم، ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه هوذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا"<sup>(٢)</sup> هلم نحتال عليهم لئلا ينموا فيكون إذا وقعت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويخرجون من الأرض، فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكى يذلّوهم بأثقالهم فبنوا لفرعون مدينتى مخازن فيثوم ورعمسيس<sup>(٣)</sup>.

وقد رأى جمهور العلماء والمؤرخين أن هاتين المدينتين أنشئتا

---

(١) راجع الأب ديل: تاريخ شعب العهد القديم ص ١٣٣، كاترين هنرى: التاريخ فى الكتاب ص ٢٩، زكى شنودة: اليهود ص ٢٢، د/ أحمد شلبى: اليهودية ص ٦٢.

وإن كان هؤلاء لم يمانعوا فى أن الفراغنة عقب طرد الهكسوس بدأو يتوجسون خيفة من الإسرائيليين ويتعاملون معهم بحذر.

(٢) لا شك أن كاتب هذا الجزء من التوراة إنما أوغل فى المبالغة وأغرق فى التعصب حين أطلق على لسان فرعون أن بنى إسرائيل شعب أكثر وأعظم من المصريين فلو كان ذلك كذلك لما استطاعت قلة المصريين أن تسخر كثرتهم المزعومة، ولعل التوراة قد بالغت عموماً فى ذكر الأرقام والأعداد حتى وصلت إلى حد التناقض فى كثير من النقاط واستدل النقاد والباحثون من ذلك على بطلان نسبتها إلى موسى عليه السلام وأنها غير التوراة المنزلة عليه، (راجع الفصل لابن حزم ج ١ ص ١٢٤ - ١٢٧ عصام الدين حنفى ناصف: محنة التوراة على أيدي اليهود ص ٣٥ د/ أحمد يوسف: مصر فى القرآن والسنة ص ٧١ - ٧٣..)

(٣) خروج ١: ٦ - ١١.

فى عهد رمسيس الثانى وأنه هو فرعون التسخير والاضطهاد<sup>(١)</sup>.

واعتمادا على ذلك تكون المدة التى قضاها بنو إسرائيل فى الاضطهاد والإذلال مدة قليلة وإن كان سفر التكوين يذكر على لسان الرب قوله لإبراهيم: "أعلم يقيناً وأن نسلك سيكون غريباً فى أرض ليست لهم ويستعبدون لهم فيذلونهم أربعمئة سنة"<sup>(٢)</sup>.

ومهما يكن من أمر فإن المصريين باعتراف التوراة قد اضطهدوا الإسرائيليين وأذلّوهم حين توجسوا خيفة منهم وفقدوا الثقة فيهم "فيكون إذا وقعت حرب إنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا".

"فاستعبد المصريون بنى إسرائيل بعنف، ودمروا حياتهم بعبودية قاسية فى الطين واللبن وسائر أعمال الأرض وجميع خدمتهم التى استخدموهم فيها كانت بقسوة"<sup>(٣)</sup>.

---

(١) راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٣٤٠ مورييس بوكاى: دراسة الكتب المقدسة ص ٢٦١ - ٢٦٣ تيودور روبنسون: إسرائيل فى ضوء التاريخ ص ١٠٧، د/ مهران: دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ج ٧ ص ٢٧٢ - ٢٧٣ د/ أحمد يوسف: مصر فى القرآن والسنة ص ٨٤ - ٨٥ وقد عثر علماء الآثار منذ القرن الماضى على أطلال هاتين المدينتين وكشفوا عن آثارهما وحققوا اسم كل منهما فى التوراة فردوا الأولى إلى تصنيف فى اسمها الأصيل برتوم بمعنى دار توم اله الشمس الأكبر الذى عبد فى عين شمس فى صورة الشمس المكتملة أو التامة وردوا الثانية كما هو ظاهر إلى اسم رمسيس وعثروا على آثار له تحمل اسمه هناك وكان قد اتخذها بنوه من بعده عاصمة لهم باسم رعمسيس بمعنى دار رمسيس، وكانت المدينتان تقعان فى منطقة تانيس قنطير فى الجزء الشرقى من دلتا النيل (د/ أحمد يوسف: مصر فى القرآن والسنة ص ٨٥ - ٨٦)، مورييس بوكاى: دراسة الكتب المقدسة ص ٢٦٢.

(٢) تكوين ١٥: ١٣.

ولعل كاتب هذا السفر يذكر هذا من منطلق الفلسطينيين مجرد وجود الإسرائيليين تحت الحكم المصرى هو نوع من العبودية والاستغلال لهم.

(٣) خروج ١: ١٣: ١٤.

يذكر الدكتور حسن ظاظا أن الفرعون قد اختار للوقاية من شرور الإسرائيليين أسلوباً عنيفاً قاسياً ولكنه وبص كتابهم المقدس لم يكن اعتداء مجانيا وإنما كان سببه من أقوى الأسباب التى تخيف منهم أمة متحضرة كمصر وملكا مهيباً كفرعون وهو انعدام ولائهم لهذه البلاد واستعدادهم للانضمام إلى أعدائها وشن الحرب عليها.

ولكن يبدو أن هذا الأسلوب وحده لم يكن كافياً في القضاء على مخاوف الفرعون منهم والحد من تزايدهم وتكاثرهم كما تذكر التوراة "غير أنهم كانوا كلما أذلّوهم ينمون ويمتدون حتى تخوفوا من قبل بنى إسرائيل"<sup>(٣)</sup> فلجأ فرعون إلى حيلة أخرى بأن كلم قابليتي<sup>(٤)</sup> العبرانيات "إذ استولدتا العبرانيات فانظروا عند الكراسى فإن كان ذكر فاقتلاه وإن كانت أنثى فاستبقياها ولكن القابلتين خافتا الله ولم تفعلوا كما كلمهما ملك مصر، بل استحيتا الأولاد"<sup>(٥)</sup> ونما الشعب وكثر جدا ثم أمر فرعون جميع شعبه قائلاً: كل ذكر يولد لهم فاطرحوه في النهر وكل أنثى فاستبقوها"<sup>(٦)</sup>.

وقد أشار القرآن الكريم إلى طغيان فرعون على الإسرائيليين وتنكيله بهم واستضعافه لهم بقتله لذكورهم واستحيائه لنسائهم فقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(٧)</sup>.

= ويذكر زكى شنودة أن الإسرائيليين كانوا قد كونوا شعباً داخل شعب ودولة داخل دولة وكانوا قوماً مجبولين على الخيانة والغدر كثيرى العصيان والتمرد بل إن سليمان مظهر يذكر أن شعب مصر قد اكتشف بالفعل أن بنى إسرائيل كانوا يتآمرون عليه (زكى شنودة - اليهود ص ٢٣ سليمان مظهر: قصة الديانات ص ٣٢٦) والحقيقة أنه مها كانت الدوافع التي حدث بفرعون إلى اضطهاد الإسرائيليين وتعذيبهم فإنه قد أفرط في طغيانه وتجبره عليهم.

(١) خروج ١: ١٢.

(٢) اسم احدهما شفرة والأخرى فوعة خروج ١: ١٥.

(٣) يذكر السفر أن القابلتين بررتا ذلك بأن النساء العبرانيات لسن كالمصريات فانهن قويات يلدن قبل أن تأتيهم القابلة فأحسن الرب إليهما.

(٤) راجع خروج ١: ١٥ - ٢٢، ويرى الفخر الرازى أن الإبقاء على النساء دون الذكر أن يوجب صبرورتهن مستغفرشات الأعداء وذلك نهاية الذل والهوان (التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب ج ٣ ص ٦٨)، ويرى بعض الباحثين أن فرعون لجأ إلى تقتيل ذكورهم واستبقاء إناثهم حتى لا يزداد نسلهم أكثر من ذلك وعندئذ تضطر بناتهم من الزواج من المصريين ويكفل هذا التزاوج انصهار الشعب الغريب في الشعب الأصيل (راجع سليمان مظهر: قصة الديانات ص ٣٢٧)، د/ حسين فوزى: أرض الميعاد ص ١٣٥.

وقيل إن المنجمين قد أنبأوا فرعون وهم يفسرون له حلماً أفرعه بأن ولداً سيخرج من بنى إسرائيل ويكون على يديه زوال ملكه فعمد إلى قتل ذكورهم (راجع الفخرى الرازى الجزء الثالث من المجلد الثانى ص ٦٩، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن مجلد ١ ج ١ ص ٣٨٦).

(٥) سورة القصص: ٤.

وتكررت الإشارة إلى ذلك في بعض الآيات وبنفس الألفاظ والكلمات<sup>(١)</sup> بل إن القرآن الكريم وجه الخطاب إلى اليهود الذين عاصروا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأن ذكرهم بنعمته عليهم فقال لهم:

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَلَيْ فُضِّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ أَخَيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد استمر اضطهاد المصريين للإسرائيليين وتعذيبهم في عصر موسى عليه السلام، جاء في سفر الخروج "وحدث في تلك الأيام لما كبر موسى أنه خرج إلى إخوته لينظر في ألقاهم"<sup>(٣)</sup>.

وتذكر التوراة أنه بموت هذا الملك (الذي يرجح أنه رمسيس الثاني: فرعون الاضطهاد) تنهد بنو إسرائيل من العبودية، وكان موسى وقتئذ في مدين"<sup>(٤)</sup>.

ولكنها تعود إلى القول بأن الرب قال لموسى "وأنا أيضاً قد سمعت أنين بنى إسرائيل الذين يستعبدهم المصريون وتذكرت عهدي لذلك قل لبنى إسرائيل أنا الرب وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين وأنقذك من عبوديتهم"<sup>(٥)</sup>.

وتذكر أيضاً أن فرعون زاد في تعذيب الإسرائيليين وبالغ في ضرب السخرة عليهم حتى ينصرفوا عن دعوة موسى"<sup>(٦)</sup>.

ويشير القرآن الكريم إلى استمرار الاضطهاد والتعذيب في عصر موسى عليه

(١) يقول الله تعالى في سورة الأعراف ﴿وَإِذْ أَخَيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَبِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ الأعراف: ١٤١.

(٢) البقرة: ٤٧ - ٤٩.

(٣) خروج ٢: ١١.

(٤) خروج ٢: ٢٣ - ٢٤.

(٥) خروج ٦: ٥ - ٦.

(٦) راجع خروج ٥: ٥ - ١٩.

السلام بعد أن أرسله الله إلى فرعون ويذكر أن موسى وهارون عليهما السلام قالا لفرعون ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي سَرَئِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

وبعد أن آمن به السحرة توعدهم فرعون بقوله: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُسَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وحينما قال موسى لقومه: ﴿أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾<sup>(٣)</sup> قالوا: ﴿أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾<sup>(٤)</sup>.

وعلى أى حال فقد كانت فترة استعباد الإسرائيليين في مصر من الفترات التي لا تنسى في تاريخهم والتي لا تفتأ أسفارهم تذكرها وتحدث عنها<sup>(٥)</sup> حتى نقش في أذهانهم وكان لها أثر كبير في حياتهم.

"فمن العرف الشائع بينهم أنهم يتشاءمون تشاؤماً تقليدياً بالأيام التي قضوها في مصر ويحسبونها بلية البلاء، ومحنة المحن في تاريخهم كله من عهد الخليل إلى عهد النازية الهتلرية في القرن العشرين.

وقد مرت بهم محنة السبي إلى وادي النهرين ولكنهم لا يتشاءمون بها كما تشاءموا بالمقام في مصر، ولا يجعلون الخروج من بابل عيداً باقياً متجدداً كعيد الخروج من أرض وادي النيل<sup>(٦)</sup>.

بل إن اضطهادهم في مصر وما قاسوه فيها من ذل وكبت وعبودية قد أورثهم

(١) سورة طه: ٤٧.

(٢) الأعراف: ١٢٤.

(٣) الأعراف: ١٢٨.

(٤) الأعراف: ١٢٩.

(٥) راجع أسفار: الخروج، العدد، المزامير وغيرها.

(٦) عباس محمود العقاد: الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين ص ٥٨.

فقد ظلت الأجيال اللاحقة تذكر هذا الاختبار المأثور في تاريخهم حتى خلعوا عليه معنى دينياً وقومياً، وارتبط عيد الفصح بذكرى خروجهم من مصر (راجع التاريخ في الكتاب ص ٢٩، راجع أيضاً: الكتاب المقدس: كتب الشريعة الخمسة ص ١٤٩ - ١٥١ دار المشرق بيروت - ١٩٨٦ جميعاً الكتاب المقدس في المشرق.

عقدة نفسية ظلت تلازمهم طوال تاريخهم القديم وكانت النازمة لسيرتهم وصالاتهم مع مختلف الشعوب التي احتكوا بها أو عاشوا معها وكانت بدورها سبباً لانحرافاتهم المستمرة الخلقية والدينية<sup>(١)</sup>.

فإنهم لم يسمعوا لقول موسى كما ذكر سفر الخروج من صغر النفس ومن العبودية القاسية<sup>(٢)</sup>.

ويعتقد سبينوزا أن الإسرائيليين لم يعرفوا الله معرفة صحيحة ويرجع ذلك إلى أنهم أناس أجلاف أنهكهم شقاء العبودية في مصر<sup>(٣)</sup>.

وقد استمرأ بنوا إسرائيل هذا الذل واستعذبوا ذلك العذاب واستكانوا إلى الضعف والاستعباد حتى أنهم ليقولون لموسى بعد خروجهم من مصر "ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر، أليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين: كف عنا فنخدم المصريين لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية"<sup>(٤)</sup>.

وكان استعباد بنى إسرائيل في مصر واضطهادهم بها من العوامل التي ساعدت على تقبلهم للأفكار وتأثرهم بالديانات الوثنية القديمة.

إذ أنهم شربوا من كؤوس الذل حتى استمرأوا مذاقه، فمردوا عليه واستكانوا دهرًا طويلاً، والذل يفسد الفطرة البشرية حتى تأسن وتتغن، ويذهب ما فيها من الخير والجمال والتطلع ومن الاشتمزاز من العفن والتن والرجس والدنس.

وأيضاً فإن الاستعباد الطويل في ظل الفرعونية الوثنية كان قد أفسد طبيعة القوم وأضعف استعدادهم لاحتمال التكليف والصبر عليها، والوفاء بالعهد والثبات

(١) راجع محمد عزة دروزة: تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ص ٧ - ٨.

(٢) خروج ٦: ٩.

(٣) باروخ اسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة ص ١٦٤ ترجمة وتقديم: د/ حسن حنفى مراجعة

د/ فؤاد زكريا: دار وهدان للطباعة والنشر طبعة مصورة عن طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب

بدون تاريخ.

(٤) خروج ١٤: ١١ - ١٢.

عليه، وترك في كيانهم النفسى خلخلة واستعداداً للانقياد والتقليد المريح، فليس أفسد للنفس البشرية من الذل والخضوع للطغيان طويلاً، ومن الحياة في ظل الإرهاب والخوف والتخفى والالتواء لتفادى الأخطار والعذاب، والحركة في الظلام مع الذعر الدائم والتوقع الدائم للبلاء<sup>(١)</sup>.

---

(١) راجع سيد قطب: في ظلال القرآن المجلد الثالث ص ١٣٦٤ - ١٣٦٥، المجلد الرابع ص ٣٢٤٦ المجلد الخامس ص ٢٦٩٠ الطبعة الشرعية العاشرة لدار الشروق ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

## المبحث الثاني التيه فى البرية

وكان من آثار الاضطهاد الذى تعرض له بنو إسرائيل فى مصر، والعبودية التى ذاقوا مرارتها أن نفوسهم قد جبلت على الخوف، وأن قلوبهم مردت على الجبن، فتقاعسوا عن أمر موسى لهم بدخول الأرض المقدسة (أرض كنعان) واستكانوا إلى الخنوع والاستسلام.

فمنذ أن خرجوا من مصر فى طريقهم إلى أرض كنعان وهم فى سلسلة متعددة من التذمرات وأشكال متنوعة من الاحتجاجات، وقد تبادوا فى تمردهم وعصيانهم على موسى وهارون حتى صرخ موسى إلى الرب فيما يروى سفر العدد: "فقال موسى للرب لماذا أسأت إلى عبدك ولماذا لم أجد فى عينيك حتى أنك وضعت ثقل جميع هذا العشب على، ألعلى حبلت بجميع هذا الشعب أو لعلى ولدته حتى تقول لى أحمله فى حضنك كما يحمل المربي الرضيع إلى الأرض التى حلفت لآبائه، من أين لى لحم حتى أعطى جميع هذا الشعب لأنهم سيكون على قائلين أعطنا لحماً نأكله<sup>(١)</sup>، لا

---

(١) يذكر سفر العدد: أن الأخلاط الذين بين بنى إسرائيل واللفيف الذى فى وسطهم قد اشتهاوا شهوة فتابعهم بنو إسرائيل وبكواهم أيضاً وقالوا من يطعمنا لحماً، فقد ذكرنا السم؛ الذى كنا نأكله فى مصر مجاناً والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم والآن قد يبست أنفسنا لا شيء أمام عيوننا غير المن وقد كانوا يجردون المن أو العسل الذى يشترونه فى غير مشقة ولا جهد ويجدون السلوى أو السمانى وفيراً يسيراً صيده، وكانت سيناء ومازالت قبلة للأفواج الكثيرة من طيور الهجرة تقبل فى الخريف متعبة مرهقة بعد عبور البحر، فما أن تجد الأرض حتى تحط فلا تكاد تريم فإذا لاحت تبشير الربيع عادت إلى اجتياز سيناء فى طريقها إلى البحر تعبره حيث تقيم.

ومع ذلك فلم يرض اليهود بما نزل عليهم من زرق الله إذ كان الذى احتملوه فى مصر أحب إليهم من الحرية فى الصحراء، فالحياة الدليلة والعبودية المهينة تهون عليهم مادامت قدور اللحم والسمك =

أقدر أنا وحدي أن أحمل جميع هذا الشعب لأنه ثقيل على فإن كنت تفعل بي هكذا فاقتلني قتلاً إن وجدت نعمة في عينك فلا أرى بليتي" (١).

ووصل الأمر ببني إسرائيل في تدميرهم وتمردهم على موسى أن نادوا بخلعه وعزله وتولية آخر مكانة قائداً عليهم (٢) حينما عاد الاثنا عشر رجلاً الذين أرسلهم موسى إلى ارض كنعان ليستطلعوا أخبارها وأخذ عشرة منهم يشيعون الخوف في نفوس الشعب وينشرون الذعر في قلوب أفرادهم ويثبطون همهم عن دخولها (٣).

فكان أن قال الرب لموسى فيما يروى سفر العدد "حتى متى يهينني هذا الشعب ويستخف بي وحتى متى لا يؤمنون بي مع جميع الآيات التي صنعتها فيما بينهم" (٤).

وأذذر ليضربنهم بالبواء ويصير موسى وحده شعباً أكثر منهم، فراجعهم موسى منبها إياهم إلى ما قد يناله من كلام الشعوب الذين يسمعون بذلك الأمر والذين سيقولون إنه لم يقدر أن يدخل الشعب الذي حلف لهم فقتلهم في القفر وسأله الصفح والمغفرة لهم فصّح الرب (٥) ولكنه قال "أن جميع الرجال الذين رأوا مجدي وآياتي التي صنعتها في مصر وفي البرية وجربوني الآن عشر مرات ولم يسمعوا لقولي لن يروا الأرض التي خلقت لأبائهم وجميع الذين أهانوني لا يرونها" (٦).

ثم قال له أيضاً "حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتدمرة على قد سمعت تدمير بني إسرائيل الذي يتدمرونه على قل لهم ..... في هذا القفر تسقط جثثكم

---

= وإلى ذلك يشير القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَن نَّصِيرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مَصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبِ رَبِّكَ ۖ اللَّهُ ۖ﴾ (سورة البقرة: ٦١).

راجع سفر العدد ١١: ٤-٩، د/ أحمد يوسف: مصر في القرآن والسنة ص ١٢٨ - ١٢٩.

(١) عدد ١١: ١١-١٥.

(٢) عدد ١٤: ١-٤.

(٣) المصدر السابق ١٣: ١٧-٣٣.

(٤) المصدر السابق ٢٤: ١٠-١١.

(٥) المصدر السابق ١٤: ١٢-٢٠.

(٦) عدد ١٤: ٢٢-٢٣.

جميع المعدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعدا الذين تذرروا على لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكنكم فيها ما عدا كالب بن يفته ويشوع بن نون<sup>(١)</sup>، وأما أطفالكم فإنني سأدخلهم فيعرفون الأرض التي احتقرتموها فجتثكم أنتم تسقط في هذا القفر، وبنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة ويحملون فجوركم حتى تنفي جثثكم في هذا القفر كعدد الأيام التي تجسستم فيها أربعين يوماً للسنة يوم تحملون ذنوبكم أربعين سنة فتعرفون ابتعادي، أنا الرب قد تكلمت لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة على في هذا القفر يفنون وفيه يموتون<sup>(٢)</sup>.

هذا وقد ذكر القرآن الكريم قصة تقاعسهم عن دخول الأرض المقدسة في قوله تعالى "حكاية عن موسى" ﴿يَقُولُوا ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدَخُلُهَا حَتَّى تَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ تَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ ﴿١٧﴾ قَالَتْ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْتَعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٨﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَنْدَخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ﴿١٩﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٢١﴾.

وقد ذكر بعض المفسرين أنه ينبغي الوقوف عند قوله تعالى ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ ثم نبداً القراءة بقوله تعالى: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾.

وبناءً على ذلك فقد ذهب البعض إلى أن التيه هو الذي حدد بأربعين سنة وأن التحريم أبدى مطلق ذلك لأن الرجال الصالحين للحرب الذين عصوا أمر موسى

(١) هما بقية الرجال الاثنى عشر وقد حرضا الشعب على الدخول ومزقا ثيابها حين نادى الإسرائيليون بعزل موسى وتولية آخر مكانه.

(٢) راجع عدد ٢٢: ٢٥ - ٢٢.

(٣) الآيات في سورة المائدة من ٢١ - ٢٦ (راجع تفسيرها في التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب للإمام الفخر الرازي الجزء الحادي عشر ص ١٩٦ - ٢٠٢).

ماتوا في البرية أثناء فترة التيه ولم يدخل أحد منهم إلى أرض كنعان فكانت محرمة عليهم باطلاق<sup>(١)</sup>.

وهكذا باء بنو إسرائيل - بسبب تمردهم وعصيانهم - بغضب من الله فضرب عليهم الذلة والمسكنة وحرم عليهم دخول الأرض وقضى عليهم بالتيه والحيرة والضلال والتشتت فأخذوا يهيمون في الصحراء على وجوههم مدة أربعين عاماً. وكان هذا التيه عقاباً لهم على الجبن الذي صار ديدنهم والخور الذي لازمهم نتيجة ما عانوه في مصر من الذل وما قاسوه من العبودية.

"فالشعوب التي تنشأ في مهد الاستبداد وتساس بالظلم والاضطهاد تفسد أخلاقها وتذل نفوسها ويذهب بأسها وتضرب عليها الذلة والمسكنة وتألف الخضوع وتأنس المهانة والخنوع، وإذ طال عليها أمد الظلم تصير هذه الأخلاق موروثة ومكتسبة حتى تكون كالغرائز الفطرية والطبائع الخلقية إذا أخرجت صاحبها من بينها ورفعت عن رقبتها نيرها ألفته ينزع بطبعه إليها ويتغفل منك ليقترح فيها"<sup>(٢)</sup>.

ومن ثم فإن البعض يرى أن الحكمة من التيه الذي امتد إلى جبل كامل تاريخياً في بيئة صحراوية قاسية جغرافياً، هو إخضاع اليهود لعملية صارمة من "الانتخاب الطبيعي" تصفى وتستبعد منهم العناصر الضعيفة الخائرة وتنتخب العناصر القوية الصلبة، وبذلك تدل من جيل هش منسحق إلى جيل مجدد فوار يصلح للرسالة<sup>(٣)</sup>.

ولكن يبدو أن أثر هذه التيه قد انعكس على أبنائهم الذين استبقاهم الرب ودخلوا مع يوشع أرض كنعان فإذا كان آباؤهم ترمدوا على الله وعبدوا العجل

(١) راجع تفسير القرطبي الجزء السادس ص ١٣٠، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٠، الشيخ عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء ص ٢٧٣، واعتماداً على هذا التفسير يكون النص القرآني متفقاً مع نص التوراة الذي أورته سابقاً من سفر العدد - في أن مدة التيه كانت أربعين عاماً.

(٢) راجع الشيخ رشيد رضا: تفسير المنار المجلد الثالث الجزء السادس: ص ٢٧٨.

(٣) د/ جمال حمدان: اليهود انثروبولوجيا ص ١٢، راجع مثل ذلك لدى الشيخ عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

وتذمروا على موسى وهارون فإن هؤلاء قد تابعوا مسيرة التمرد والتذمر وواصلوا  
إغاثتهم للحرب باتخاذ الآلهة الأجنبية واستمروا على حياة الذلة والهوان<sup>(١)</sup>.  
وهكذا فقد كانت فترة التيه من فترات الضياع التي تعرض لها اليهود ولاقوا فيها  
العنت وعانوا الشتات والتشرد ولكن هذا الشتات وذلك التشرد يتضاءلان إلا  
جانب ما سيلقونه بعد ذلك من السبي والانذار.

---

(١) راجع على سبيل المثال: عدد ٦: ٣٢ - ١٥، يشوع ١: ٧ - ١٥.

## المبحث الثالث الذل في عصر القضاة

يعتبر عصر القضاة هو عصر التفكك الكامل والفوضى الشاملة في حياة اليهود على مدار تاريخهم القديم فكما ورد في السفر أنه "في تلك الأيام لم يكن لبني إسرائيل ملك وكان كل إنسان يعمل ما حسن في عينه"<sup>(١)</sup>.

وقد ساعد هذا التفكك وتلك الفوضى على حدوث اضطرابات وانتكاسات تعرض لها اليهود في العصر أدت بهم إلى الوقوع تحت سيطرة الشعوب التي كانت تقيم معهم في فلسطين فأذاقوهم كئوس الذل والهوان.

يذكر سفر القضاة أن الرب قال لبني إسرائيل "قد أصعدتكم من مصر وأتيت بكم إلى الأرض التي أقسمت لأبائكم وقلت لا أنكث عهدي معكم إلى الأبد، وأنتم فلا تقطعوا عهداً مع سكان هذه الأرض اهدموا مذابحهم، ولم تسمعوا لصوتي، فماذا علمتم فقلت أيضاً لا أطردهم من أمامكم بل يكونون لكم مضايقين وتكون آلهتهم لكم شركاً"<sup>(٢)</sup>.

وجاء فيه أيضاً "فحمى غضب الرب على إسرائيل فدفعهم بأيدي ناهبين نهبهم وباعوهم بيد أعدائهم، حيثما خرجوا كانت يد الرب عليهم للشر كما تكلم الرب وكما أقسم الرب لهم فضاق بهم الأمر جداً"<sup>(٣)</sup>.

---

(١) قضاة ٢١: ٢٥.

(٢) راجع ١٦: ٢ - ١٨.

(٣) قضاة ٢: ١ - ٣.

"وأقام الرب قضاة فخلصوهم من يد ناهبيهم، وحينما أقام الرب لهم قضاة كان الرب مع القاضى وخلصهم من يد أعدائهم كل أيام القاضى لأن الرب ندم من أجل أنينهم وبسبب مضايقتهم وزاحمهم"<sup>(١)</sup>.

ولكنهم عند موت القاضى كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم، ولم يحيدوا عن سوء أعمالهم وطريق قساوتهم، فاشتد غضب الرب على إسرائيل وقال بما أن هذه الأمة قد تعدت عهدى الذى أمرت به آباءها ولم تسمع لصوتى فلا أعود أنا أيضاً أطرد أحداً من أمامها من الأمم التى تركها يشوع عند وفاته لكى أمتحن بها إسرائيل أيحفظون طريق الرب أم لا فترك الرب أولئك الأمم ولم يطردهم سريعاً ولم يدفعهم بيد يشوع"<sup>(٢)</sup>.

وهكذا باعتراف التوراة استمر سكان فلسطين فى تسلطهم على اليهود ومضايقتهم لهم وسواء كان هذا بأمر الرب - كما تقول النصوص - أم أنه نتيجة ضعفهم واستسلامهم لهذه الشعوب فإن ما يهمنى هنا هو خضوع الإسرائيليين لشعوب فلسطين ووقوعهم تحت قبضتهم فى سلسلة متواصلة من الاضطهاد والاستذلال فى عصر القضاة.

ولو أننا تتبعنا النصوص لوجدنا أن الرب قد اشتد غضبه على بنى إسرائيل فباعهم بيد الآراميين واستذلهم ملكهم وسامهم الخسف والنكال مدة ثمانية أعوام"<sup>(٣)</sup>.

ثم تمكن منه عجلون ملك المؤابيين فجمع إليه العمونيين والعماليق<sup>(٤)</sup> وقاموا

(١) قضاة ٢: ١١-١٥.

(٢) راجع قضاة ٢: ١٩-٢٣.

(٣) قضاة ٣: ٨، ويذكر الأستاذ محمد فؤاد الهاشمى أن ملك الآراميين قد تمكن من رقاب الإسرائيليين فأذلهم واستعمل فيهم صنوف أسلحة العذاب واتخذ نساءهم جوارى له ولاط قومه بذكورهم وحلق لحي وشوارب رجالهم واتخذ الحسان من بناتهم هدايا لإرضاء حاشيته وجيرانه من الملوك فكسر شوكتهم حتى استحكمت الحلقة وضائق عليهم (اليهود من الكتب المقدسة ص ٤١).

(٤) العماليق هم شعب من أقدم سكان سورية الجنوبية ومن ذرية عيسو أخى يعقوب وكانوا يقيمون فى البدء قرب قادش فى جنوب فلسطين وكانوا هناك عند بدء مجيء العبرانيين من مصر وكانت بلادهم ترى من فوق جبل عبرايم وكانوا مصدر إزعاج لبنى إسرائيل فى البرية ويذكر عجاج نويض أن العمالقة هم أول شعب عربى قديم ذو عصبية قوية الشكيمة فى شرق سيناء وجنوب فلسطين وقف بالسيف فى وجه بنى إسرائيل (راجع بالتفصيل الحديث عنهم: قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٦ - ٦٣٧، بروتوكولات حكماء صهيون ص ٣٨ محمود نعناعه: المشكلة اليهودية ص ١٥٦ - ١٥٨).

بضرهم واحتلالهم وتعبد بنو إسرائيل لملك موآب وقدموا له الجزية ثمانية عشر عاماً<sup>(١)</sup>.

وبعد ذلك وقع الإسرائيليون تحت قبضة الكنعانيين إذ باعهم الرب بيد ملكهم الذى ضايقهم بأن أخذ يكيل لهم الضربات المتتالية وضيق عليهم الخناق بأن استذلهم بشدة مدة عشرين عاماً<sup>(٢)</sup>.

وكان من أشد فترات الذل التى تعرض لها اليهود فى عصر القضاة تلك الفترة التى خضعوا فيها للمديانيين<sup>(٣)</sup> بمشاركة العماليق فقد اذاقوهم من كل صنوف العذاب طيلة سبع سنوات حتى اضطروهم إلى أن يهيموا على وجوههم ويتركوا مدنهم وقراهم ويلتجئوا إلى المغاور والكهوف والحصون التى أقاموها فى الجبال اتقاء لشرهم وهربا من بطشهم ويصف السفر هذا بقوله "وقويت أيدى مديان على إسرائيل فاتخذ بنو إسرائيل لأنفسهم المغاور التى فى الجبال والكهوف والحصون من وجه مدين وكان إذا زرع إسرائيل يصعد المديانيون والعمالقة وبنو المشرق ويخرجون عليهم، ويحيشون عليهم ويفسدون غلة الأرض إلى مدخل عزة ولا يقون ميرة فى إسرائيل ولا غنماً ولا بقرأ ولا حميراً، لأنهم كانوا يصعدون بهاشيتهم وخيامهم ويأتون فى مثل كثرة الجراد وليس لهم ولجماهم عدد<sup>(٤)</sup> ويدخلون الأرض لى يخربوها فذل إسرائيل جداً من قبل المديانيين"<sup>(٥)</sup>.

ويذكر الإصحاح العاشر فى سفر القضاة أن الرب بعد أن أنقذهم من أيدى المديانيين تركوا الرب ولم يعبدوه فاشتد غضبه عليهم وباعهم بيد

(١) قضاة ٣: ١٢ - ١٤.

(٢) قضاة ١: ٣ - ٤.

(٣) يرجع المديانيون فى نسبهم إلى مديان وهو أحد أولاد إبراهيم من زوجته قطورة وقيل إن أرض مديان كانت تمتد من خليج العقبة إلى مؤاب وطور سيناء وكانوا يتاجرون مع فلسطين ولبنان ومصر، وقد اتحدوا مع مؤاب ضد بنى إسرائيل فأنبأ الرب بهلاكهم (راجع الحديث عنهم بالتفصيل: قاموس الكتاب المقدس ص ٨٥٠).

(٤) لقد وصفهم السفر فى موضع آخر بأنه لم يكن لجماهم عدد لأنها كانت فى الكثرة كالرمل على شاطئ البحر (قضاة ٧: ١٢).

(٥) قضاة ٦: ٢ - ٦.

الفلسطينيين وبيد العمونيين فحطموا ورضضوا بنى إسرائيل وداسوهم طوال ثمانية عشر عاماً<sup>(١)</sup>.

وكان أطول مدة استذل فيها اليهود وذاقوا مرارة الضيق والهوان - في هذا العصر فيما يروى سفر القضاة - هي المدة التي رزحوا فيها تحت نير الفلسطينيين إذ أنها طالت حتى وصلت أربعين سنة<sup>(٢)</sup>.

وهكذا - وبحساب التوراة - يكون اليهود في عصر القضاة قد عاشوا تحت سياط الرق والاستعباد ورزحوا تحت نير التعذيب والاضطهاد وشربوا من كئوس الذل والهوان مدة مائة وأحد عشر عاماً ذاقوا فيها كل ألوان المر ولاقوا فيها كل صنوف العذاب.

وكما رأينا فإنهم كانوا يرضخون لآلهة مستعبدتهم وينحرفون إلى عبادة معذبيهم فساعد ذلك على تأثيرهم بديانات تلك الشعوب واقتباسهم منها كثيراً من عقائدهم وأفكارهم وأدخلوا إلى اليهودية كثيراً من طقوسهم وعباداتهم.

---

(١) حسب تعبير السفر في الترجمتين الكاثوليكية والبروتستانتية قضاة ١٠: ٦ - ٨.  
(٢) قضاة ١٣: ١ راجع التفاصيل في الإصحاحات: ١٣، ١٤، ١٥، ١٦ من سفر القضاة.

## المبحث الرابع

### تسلط الآشوريين على اليهود وسبيهم إلى آشور

ينسب الآشوريون - في نظر اليهود - إلى آشور ثانی أبناء سام بن نوح عليه السلام<sup>(١)</sup>.

وقد سبق أن أشرت إلى العصور التاريخية للآشوريين وذكرت أنهم قد اتصلوا اتصالاً مباشراً باليهود في العصر الآشوري الحديث وخاصة في بداية الإمبراطورية الآشورية الثانية.

والحقيقة أن الآشوريين والبابليين ومن بعدهم قد شكلوا خطراً كبيراً على مملكتي اليهود في عصر الانقسام وكانوا سبباً في القضاء عليهما حتى إن ويلز يصف هذا العصر بقوله "لقد ظلت حياة العبرانيين طوال ثلاثة قرون شبيهة بحياة رجل أصر على العيش وسط سوق صاخب فكان مصيره أن تدهمه سيارات الجمهور والبضائع"<sup>(٢)</sup>.

وكان أول اتصال بين الآشوريين والإسرائيليين حينما قاومهم اخآب بن عمري ملك إسرائيل بأن تحالف ضدهم مع الآراميين في القرن التاسع ق.م<sup>(٣)</sup>. ولكن

---

(١) تكوين ١٠: ٢٢ دائرة معارف البستانى مجلد ٣ ص ٧٠٩ قاموس الكتاب المقدس ص ٧٨.

(٢) معالم تاريخ الإنسانية مجلد ٢ الكتاب ٤ ص ٢٩٦.

(٣) وكانت دولة آشور تنتعش في بطاء حتى أصبحت مرة أخرى أيام ملكهم (أشور نصير - بال) (٨٤٤-٨٥٩ ق.م) دولة عالمية قوية وبلغ ملكها بجيوشه سواحل البحر المتوسط نفسه وجرد ابنه شلمنصر الثالث عام ٨٥٣ ق.م حملة كبيرة على فلسطين لإدخالها في ملكه، فتحالف الإسرائيليون مع الآراميين واتحدوا جميعاً أمام خطر الآشوريين وأعد جيشاً كبيراً لمقاومتهم ولكنهم منوا بخسارة جسيمة في موقعة كركر أو قرقار عام ٨٥٣ ق.م وإن لم يعقبها نصر مباشرة للآشوريين حيث إنهم لم يتابعوا غزوهم (راجع تيودور روبنسون: إسرائيل في ضوء التاريخ ص ١١٣ المجلد الثاني من تاريخ العالم نشر جون هامرتون، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج ٣ ص ٣٧٠).

الملك ياهو ضعف بعد ذلك أمامهم ودفع لهم الجزية عام ٨٤١ في عهد ملكهم شلمنصر الثالث<sup>(١)</sup>.

ثم أعقبت موت هذا الملك فترة ضعف للأشوريين شغلوا فيها باضطرابات خارجية ومتاعب داخلية<sup>(٢)</sup>.

وفي هذه الفترة تمكنت إسرائيل من النهوض والازدهار وكان هذا أثناء حكم يربعام الثاني<sup>(٣)</sup>.

غير أن الوضع قد تغير حينما ظهر تغلاث فلاسر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ ق.م) الذى جدد سلطة الإمبراطورية الآشورية<sup>(٤)</sup>، وبادر إلى استعادة جميع الأراضي التى فقدتها أسلافه وأخذ الجزية من منحيم (ملك إسرائيل عام ٧٣٨ ق.م)<sup>(٥)</sup>، ونجح بسلسلة حملات فى إخضاع دمشق وعدد من مدن مملكة إسرائيل وتحويلها على مقاطعات آشورية وسبى سكانها إلى آشور<sup>(٦)</sup>، فهو أول من انتهج سياسة سبى

(١) كان من أول أعمال ياهو أن خضع للأشوريين وأدى لهم الجزية عام ٨٤١ ق.م وتذلل لملكهم شلمنصر الثالث الذى عاود هجماته على دمشق ولعل "ياهو" رأى أنه يستطيع أن يوطد ملكه بتجنب عداة الأشوريين والاعتماد على معاونتهم إذا ثارت عليه رعيته، ويمثل هذا الملك "ياهو" أو رسوله على "المسلة السوداء" التى أقامها شلمنصر الثالث وهو يقبل الأرض عن قدمى الملك الآشورى ويقدم الجزية بشكل أوان من الفضة والذهب والرصاص.

راجع روبنسون إسرائيل فى ضوء التاريخ ص١١٨، ١٢٠، د/ فيليب حتى: تاريخ سورية جـ ص٢١١، موسكاتى: الحضارات السامية القديمة ص١٤٥.

(٢) تيودور روبنسون: إسرائيل فى ضوء التاريخ ص١١٨.

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص٧١.

(٤) د/ فيليب حتى / تاريخ سورية جـ ص٢١٣.

(٥) روبنسون: المصدر السابق ص١٢١-١٢٢.

ورد فى سفر الملوك الثانى أن فول ملك آشور قدم على أرض إسرائيل ليحتلها فدفن له ملكها خيم بن حادى ألف قطار من الفضة فرجع عنها وثبت له ملكه (لوك ثان ١٥: ١٩-٢٠)، وذكر المؤرخون أن فوق هذا هو تغلاث فلاسر الثالث نفسه (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٢١٩، ويلز/ معالم تاريخ الإنسانية مجلد ٤ ك ٢٩٦).

(٦) راجع ملوك ثان ١٥: ٢٩ جاء فيه "فى أيام فتح ملك إسرائيل جاء تغلث فلاسر ملك آشور وأخذ عيون وابل بيت معكة ويانوح وقادوس وحاصور وجلعاد والخليل وكل أرض نفتالى وسباهم إلى آشور" وجاء فى كتابات تحلات بلاسر الثالث ما هذا نصه "قمت بضم جميع مدن بيت عومرى (مملكة إسرائيل وكانت تشتهر فى الآثار الآشورية على أنها بيت عمري" حملات السابقة ولم أترك سوى مدينة السامرة.

راجع كيللز: التوارة كتاريخ نقلا عن د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود فى التاريخ ص٥٨٥.

سكان الأقاليم التي يفتحها ونقلهم إلى أقاليم أخرى وإسكان أقوام آخرين في بلدانهم ثم تبعه عليها الملوك الذين جاءوا من بعده<sup>(١)</sup>.

ولم يكتف أيضًا بالأسلوب القديم وهو إبقاء الحكم الوطني كتابع بل بدأ سياسة جديدة تقوم على إرسال نواب آشوريين من قبله ليحكموا المقاطعات المفتوحة<sup>(٢)</sup>.

وكان مما شجعه على إرسال تلك الحملات أن آحاز ملك يهوذا قد استنجد به حينما تحالف ضده كل من رصين ملك دمشق وففتح بن رمليا ملك إسرائيل جاء في سفر الملوك الثاني: "وأرسل آحاز رسلا إلى تغلث فلاسر ملك آشور قائلاً: أنا عبدك وابنك اصعد وخلصني من يد ملك أرام ومن يد ملك إسرائيل القائمين على، فأخذ آحاز الفضة والذهب الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك وأرسلها إلى ملك آشور هدية، فسمح له ملك آشور وصعد إلى دمشق وأخذها وسبهاها إلى قير<sup>(٣)</sup> وقتل رصين، وسار الملك آحاز للقاء تغلث فلاسر ملك آشور إلى دمشق"<sup>(٤)</sup>.

هذا ويذكر تيودور روبنسون أن سيطرة ملك آشور على دمشق وعلى مدن مملكة إسرائيل فيما عدا السامرة - قد تم عام ٧٣٢ ق.م<sup>(٥)</sup>.

وحينما تولى آخر ملوك إسرائيل (هوشع بن أيلة) الحكم صعد عليه كما ورد في سفر الملوك الثاني شلمنصر الخامس<sup>(٦)</sup> فصار له هوشع عبداً ودفع له الجزية<sup>(٧)</sup>

---

(١) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة الجزء الأول ص ٥٠٩.

(٢) د/ حتى: تاريخ سورية ج ١ ص ٢١٣.

(٣) قير: سام معناه "سور أو مدينة ذات سور" ويطلق على مدينة كانت وطن الأراميين الأول ومنها خرجوا إلى الشام (راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٧٥٢).

(٤) ملوك ثان ١٦ : ٧-١٠.

(٥) إسرائيل في ضوء التاريخ ص ١٢٢.

(٦) شلمنصر الخامس تولى ملك آشور بعد تغلث فلاسر وقد حكم من ٧٢٨-٧٢٢ ق.م (راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٥١٦-٥١٧).

(٧) ملوك ثان ١٧ : ٣.

ويبدو أن الآشوريين هم الذين نصبوه ملكاً سورياً من قبلهم حتى يدين لهم بالولاء ويدفع لهم الجزية صاغراً<sup>(١)</sup>.

ولكن بعد سنوات من حكمه - وبتحريض من ملك مصر - لم يلبث هوشع أن تمرد على الآشوريين وامتنع عن دفع الجزية لهم فقام ملكهم شلمنصر الخامس بمهاجمته وتمكن من القبض عليه وألقى به في السجن وحاصر مدينة السامرة مدة ثلاث سنوات<sup>(٢)</sup>.

وفي عام ٧٢٢ ق.م وعقب موت شلمنصر الخامس مباشرة سقطت السامرة حتى لنرى خلفه سرجون<sup>(٣)</sup> الثاني (٧٢٢-٧٠٥) ينسب لنفسه فضل النصر عليها ويسجله في حولياته قائلاً: "في بداية حكمي وفي السنة الأولى حاصرت السامرة واستوليت على خمسين عربة من السلاح الملكي ثم ملأتها بسكان أكثر مما كان بها فأحللت بها مواطنين جددًا من بلاد كنت قد استوليت عليها وعينت رجالي حكاماً عليها وفرضت عليها الجزية والضرائب كما يفعل الآشوريون<sup>(٤)</sup>.

وهكذا فإن الآشوريين قد قاموا بترحيل خيرة أو زبدة رجال مملكة إسرائيل

---

(١) ملوك ثان ١٦ : ٣٠ وقد ورد في النقوش الآشورية "أما فيما يتصل ببيت خومريا فقد حملت أهلها وما يملكون جميعاً على آشور وأما ملكهم فقد خلع وعينت مكانه هوشع" راجع د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ ٣ ص ٣٨٠-٣٨٢، زكي شنودة: اليهود ص ١٢١، د/ محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق جـ ٨ ص ٩٣٩.

(٢) ملوك ثان ١٧ : ٤-٥، وجاء في السفر أن ملك آشور وجد في هوشع خيانة لأنه أرسل رسلاً إلى سوا ملك مصر ولم يؤد جزية إلى ملك آشور حسب كل سنة.

(٣) لا يعرف على وجه اليقين علاقة سرجون بالملك السابق شلمنصر الخامس وإن كان قد قيل إنه اغتصب منه العرش عن طريق انقلاب قام به وحاول أن يتملق عواطف البابليين ومشاعرهم فأطلق على نفسه اسماً سومرياً قديماً (راجع الحديث عنه بالتفصيل: بريستيد: العصور القديمة ص ١٦٤، ويلز: معالم تاريخ الإنسانية المجلد الأول الكتاب الثالث ص ١٦٣، قاموس الكتاب المقدس ص ٤٦٣، طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة جـ ١ ص ٥١١).

(٤) راجع تفاصيل ذلك: د/ فيليب حتى: تاريخ سورية جـ ٢ ص ٢١٣، موسكاتي: الحضارات السامية ص ١٤٦، روبنسون: إسرائيل في ضوء التاريخ ص ١٢٢، دائرة معارف البستاني ملجـ ٣ ص ٧١٣-٧١٤، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ ٣ ص ٣٨٢ جـ ٥ ص ٢٦٩، د/ سليم حسن: مصر جـ ٩ ص ٥٢٣.

وأحلوا مكانهم في مدينة السامرة شعوبًا وأقوامًا من جنسيات متعددة<sup>(١)</sup> فاندمجوا مع من بقى ممن الإسرائيليين وذابوا فيهم حتى تكون منهم ما عرفوا بالسامريين في التاريخ اليهودي<sup>(٢)</sup>.

وكان من أثر هذا الاندماج وذلك الذوبان أن أخذ كل شعب من هذه الشعوب يعبد آلهته الخاصة به في السامرة فتعددت الآلهة وتنوعت صور العبادة حتى بلغ ذلك ملك أشور فأرسل إليهم أحد الكهنة ليعلمهم كيف يتقون الرب ولكنهم لم يسمعوا له وخلطوا بين ما يأمرهم به وبين العبادات الوثنية<sup>(٣)</sup>.

ولكن أين ذهب أسباط إسرائيل العشرة سكان المملكة الشمالية وماذا كان مصيرهم؟<sup>(٤)</sup>.

(١) جاء في سفر الملوك أن ملك أشور أتى بقوم من بابل وكوث وعوا وحماة وسفر وايم وأسكنهم في مدن السامرة عوضًا عن بني إسرائيل، فامتلكوا السامرة وسكنوا في مدنها (ملوك ثان ١٧ : ٢٤). أما بابل فقد تحدثنا عنها قبل ذلك وأما كوث فكما يقول زكي شنودة: تقع في الموضع المسمى اليوم تل إبراهيم الشمال الشرقي من بابل، وعوا كانت تقع في بلاد الكلدان وأما حماة فهي التي لا زالت تحمل هذا الاسم وكانت مدينة حيثية تقع على نهر العاصي شمالى دمشق، وأما سفروايم فكانت مدينة بابلية تقع على نهر الفرات (راجع اليهود ص ١٢٤) وبذلك فإن الآشوريين - فضلًا عن سياسة النفي التي اتبعوها بنقل أولئك الذين كانوا شوكة في جانبهم - قد استعملوا طريقة الاستعمار وذلك بأن أحلوا محل المنفيين من الإسرائيليين غيرهم من قبائل بابل وعيلام وسوريا وبلاد العرب ووطنهم في السامرة وأقطارها (سليم حسن: مصر ج ٩ ص ٥٢٣-٥٢٤)، ويذكر كوك أن الآشوريين كانوا يهدفون من رواء ذلك إلى كسر التحالف القديمة بإدخال أجانب في البلاد والعمل على تحطيم الروابط الاجتماعية والسياسية والدينية بدرجة أكثر فاعلية عما سبقه من إجراءات وبدون شك فإن الغزوات الآشورية قد عجلت بنهاية الدويلات السامية المنهارة كما أن الأحوال القديمة قد تغيرت واختفت المعالم القديمة واضمحلت المشاعر العامة والقومية (نقلا عن د/ مهران: دراسات في تاريخ الشرق ج ٨ ص ٩٤٩).

(٢) سبق أن تحدثت عنهم في الفصل الثالث من الباب الأول.

(٣) راجع سفر الملوك الثاني ١٧ : ٢٥-٤١.

ومما جاء فيه أنه كانت كل أمة تعمل آلهتها وتصنعها في بيوت المرتفعات التي أقامها السامريون فعمل أهل بابل سكوث بنوث وأهل كوث عملوا نرجل وأهل حماة عملوا أشيما والعويون عملوا بنحز وترتاق والسفروايميون كانوا يحرقون بنهم بالنار لأدركم وعملك إلهى سفروايم وقال: كانوا يتقون الرب ويعبدون آلهتهم كعادة الأمم الذين سبواهم من بينهم.

(٤) سبق أن ذكرت أن تغلاث فلاسر قد احتل مدن المملكة الشمالية (عدا السامرة) وسبى سكانها إلى أشور، ثم كان سبى أهل السامرة الذي تم على يد سرجون الثاني وكمغ ورد في نقوشهم وصل إلى ٢٧٩٠ مواطنًا وعلى ذلك يكون الغالبية من الأسباط العشرة قد هاجرت من المملكة الشمالية وتم سببهم إلى بلاد أشور.

لقد وضع الآشوريون نهاية لكيانهم كأمة وأنهم حياتهم كشعب فلم يقدر لهذه الأسباط أن تعود إلى مواطنها التي كانت قد أخذتها غيلة واغتصاباً من أصحابها، وظلت تحتكر الحياة فيها مدى قرنين ونصف من الزمان.

ومن الثابت أنهم شردوا في أنحاء الإمبراطورية الآشورية ولو أن الآشوريين قضوا عليهم لقلنا إن أمرهم انتهى بموتهم ولكنهم ظلوا أحياء يتكاثرون ويتناسلون، ولعل هذا هو ما دعا بعض الباحثين على محاولة إلقاء أضواء على الأماكن التي شردوا فيها أو استقروا بها<sup>(١)</sup>.

ومن متابعة مختلف المصادر التي اعتمد عليها هؤلاء الباحثون فإننا نستطيع أن نصل إلى نتيجة لا مفر منها وهي أن الإسرائيليين قد انتشروا في أعقاب السبي في أنحاء العالم شرقاً وغرباً ولم يستطيعوا أن يستقوا في مكان واحد وامتصوا في يسر في الشعوب التي حلوا بها واكتسبوا لغاتها وعاداتها وتقاليدها ومرت قرون طويلة ضاعت خلالها قوميتهم وجنسيتهم وكما لم يكونوا في الأصل جنساً نقياً ظلوا كذلك بعد السبي وفقدوا في التاريخ بعد أن امتزجوا بالشعوب التي حلوا فيها امتزاجاً كاملاً<sup>(٢)</sup>.

---

(١) ورد في سفر الملوك الثاني أن ملك أشور حينما فتح مدينة السامرة قام بسبي الإسرائيليين إلى آشور وأسكنهم في حلب وخابور نهر جوازن وفي مدن مادي وحلج تسمى اليوم حلا على نهر الخابور أحد فروع نهر الفرات وجوزان ولاية من ولايات ما بين النهرين بالقرب من حران (ملوك ثان ١٧ : ٦، ١٨ : ١١، زكي شنودة: اليهود ص ١٢٣).

ويذكر ويلز أن القبائل العشرة التائهة قد حير مصيرها عدداً كبيراً من الأذهان الطلعة وأورد الدكتور نجيب ميخائيل بعض الآراء لعدد من المؤرخين القدامى أمثال جوزيف اليهودي وهيرودوت اليوناني.

راجع تفاصيل ذلك مصر والشرق ج ٣ ص ٣٨٢-٣٨٥.

ويلز: معالم تاريخ الإنسانية المجلد الأول الكتاب الثالث ص ١٦٣.

(٢) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج ٣ ص ٣٨٥-٣٨٦، د/ فيليب حتى: تاريخ سورية ج ٢ ص ٢١٣، وينقل ظفر الإسلام خان عن جون مارلو قوله "وحسب الممارسة الآشورية المعتادة قد نقلت أغلبية السكان إلى جزء آخر من الولايات الآشورية فأدى هذا إلى اختفائهم من التاريخ حيث أنهم قد اندمجوا تماماً مع الشعوب المجاورة في مناطق النفي (تاريخ فلسطين القديم ص ٥٥).

وهكذا زال الإسرائيليون من الوجود أو كما قال د/ فيليب حتى: تلاشت مملكتهم إلى الأبد<sup>(١)</sup> وتحقق ما كان يهدف إليه الآشوريون من سبى هؤلاء الأسباط وإجلائهم.

فقد كان الهدف من ذلك - كما يقول تويني - هو تجزئة جماعاتهم وتخطيم هويتهم ومحو ذكرى أيام الاستقلال من نفوس مواطنيهم<sup>(٢)</sup>.

ويذكر برستيد أن الآشوريين قصدوا من إجلاء السكان عن أوطانهم إماتة روح التضامن الوطني بحيث لا يتمكن الناقمون منهم على الفاتحين من الدفاع وحماية الديار<sup>(٣)</sup>.

وأيضاً فإنه حتى لا يتيسر لهؤلاء الأسباط العشرة التجمع في مكان واحد والتكتل على أمل العودة إلى مناطقهم التي أبعدوا عنها تم تهجيرهم إلى المناطق الجبلية المنعزلة في كردستان والعراق وتركيا وإيران ضمن حدود الإمبراطورية الآشورية حتى خفيت أخبارهم عن يهود المملكة الجنوبية فاعتبروا بحكم المفقودين لذلك سماهم الباحثون "الأسباط العشرة المفقودة"<sup>(٤)</sup>.

وكانت هذه خطة عجيبة عملت على خلط شعوب الشرق الأدنى وأحلت البؤس والشقاء في ربوعها، وكثيراً ما صورت تلك المشاهد المؤلمة في المنحوتات الآشورية.

ولنا أن نتصور مبلغ الشقاء والعذاب اللذين كانت تقاسيها تلك الجموع البائسة وهي تساق مسافات طويلة مع شيوخها وأطفالها ومرضاها<sup>(٥)</sup>.

---

(١) تاريخ سورية ج١ ص٢١٣.

(٢) تاريخ البشرية ج١ ص١٩٦١-١٩٧-٢١٢ ترجمة د/ نقولا زيادة: الأهلية للنشر والتوزيع بيروت ١٩٨٥.

(٣) بريستيد: العصور القديمة ص١٦٩، راجع كاترين هنري: التاريخ في الكتاب ص٧٦.

(٤) د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود في التاريخ ص٥٩٣.

(٥) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج١ ص٥٠٩، (والحقيقة أن الآشوريين فيما يرى المؤرخون كانوا أول من قام بترحيل شعوب الأمم المنهزمة على نطاق واسع من بلادهم إلى بلاد =

هذا وكان قد تنبأ عدد من أنبياء العهد القديم بانهار وسقوط مملكة إسرائيل ورسموا صورة وصفية للأحداث التي سبقت هذا الانهار وذلك السقوط ومن هؤلاء هوشع وعاموس.

فأما هوشع فقد رسم صورة لإسرائيل (وهو نبى معاصر للأحداث) ولعل فيها كثيرا من الصدق لما كان يجرى فعلاً فهو يقول: "إفرايم يختلط بالشعوب... إفرايم صار خبر ملة لم يقلب، أكل الغرباء ثروته وهو لا يعرف، وقد رش عليه الشيب وهو لا يعرف وقد أذلت عظمة إسرائيل في وجهه وهم لا يرجعون إلى الرب إلههم ولا يطلبونه مع كل هذا، وصار إفرايم كحمامة رعاء بلا قلب يدعون مصر يمضون إلى آشور، عندما يمضون أبسط عليهم شبكتى ألقيتهم كطيور السماء، أؤدبهم بحسب خبر جماعتهم، ويل لهم لأنهم هربوا عني - تباً لهم لأنهم أذنوا إلى أنا أفديهم وهم تكلموا على بكذب ولا يصرخون إليى بقبولهم حينما يولون على مضاجعهم" (١).

= أخرى وإحلال شعب آخر محلهم وكان ملوكهم يفخرون في سجلاتهم بقوتهم الحربية معاملتهم الأمم المغلوبة على أمرها بكل صنوف القسوة فكانت جيوشهم أنى سارت وكيفما توجهت تلقى الخوف والرعب في القلوب نظرا إلى ما كان عندها من الأسلحة ومعدات الحصار وما كانت عليه من شراسة الأخلاق والميل إلى الفتك والتتكيل بالأعداء مما جعل سكان آسيا الغربية يذوبون فرقا ويقفون أمامهم صاغرين (راجع بريستيد: العصور القديمة ص ١٦٩ دى بورج: تراث العالم القديم ج ١ ص ٤١، أورسيل: الفلسفة في الشرق ص ٨٠ قاموس الكتاب المقدس ص ٦٨-٦٩، ٨٠).

(١) فهو يذكر أن إفرايم أى سكان مملكة إسرائيل يختلطون بالشعوب إذ أنهم امدجوا فيهم وامتجوا بهم وفقدوا صفاتهم بينهم فصاروا كالرغيف الذى يحترق من جانب ويبقى عجينا من الجانب الآخر ولا يصلح بشيء على أى وجه.

وكانوا يدفعون أنفسهم يسكون وبطء نحو هلاء أمتهم بنوع ما باعتداء الغرباء عليهم "أكل الغرباء ثروته".

وصاروا كالحمامة الرعاء التى لا تعرف كيف تدافع عن نفسها ولا تدبر لسلامته فهى لا تحزن على فقدوا لصغارها إذا ما أخذت منها وتغوى بسهولة بالطعم الذى يوضع فى الشبكة وتقوم فى كل مكان حتى تعرض نفسها للخطر.

فالشعب لم يطروا كالحمام على بيوتها لكى أمنوا من كل الطيور الجارحة التى انقضت عليهم لكنهم طرخوا بأنفسهم بعيداً عن حماية الله إذ صاروا يدعون مصر لإغاثتهم واسرعوا على آشور لإعانتهم، (راجع هوشع ٧: ٨-١٢، متى هنرى: تفسير هوشع ترجمة المص مرقص داود ص ١٨٩-١٩٦، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج ٣ ص ٣٧٦، قاموس الكتب المقدس ص ٧٩، بريستيد: العصور القديمة ص ٢٢٨).

وأما عاموس فنراه يقول على لسان الرب كذلك "اسمعوا هذا القول الذى أنا أنادى ربه عليكم مرثاة يا بيت إسرائيل، سقطت عذراء إسرائيل لا تعود تقوم، انظرحت على أرضها ليس من يقيمها"<sup>(١)</sup>..

ويقول أيضا "فى جميع الأسواق نحيب وفى جميع الأزقة يقولون آه آه ويدعون الفلاح على النوح وجميع عارفى الثراء للندب وفى جميع الكروم ندب"<sup>(٢)</sup>.

ويقول "بل حملتهم خيمة ملوككم وتمثال أصنامكم نجم إلهكم الذى صنعتم لنفوسكم، فأسيبك على وراء دمشق"<sup>(٣)</sup>.

وقد قال عاموس لأمصيا كاهن بيت إيل (هكذا قال الرب امرأتك تزنى فى المدينة وبنوك وبناتك يسقطون بالسيف وأرضك تقسم بالجبل وأنت تموت فى أرض نجسة وإسرائيل يسبى سببا عن أرضه"<sup>(٤)</sup>.

ويقول عاموس أيضا "فقال لى الرب قد أتت النهاية على شعبى إسرائيل لا أعود أصفح له بعد فتصير أغانى القصر ولأول فى ذلك اليوم يقول السيد الرب: الجثث كثيرة يطرحونها فى كل موضع بالسكوت"<sup>(٥)</sup>.

"وأحول أعيادكم نوحا وجميع أغانيكم مرثى وأصعد على كل الأحقاء مسحا وعلى كل رأس قرعة وأجعلها كمناحة الوحيد وآخرها يوما مرا"<sup>(٦)</sup>.

وقد كان عاموس يمثل هذا النوع الجريء الصادق من الوعاظ إذ هاله الزيف والفسق والفجور فى إسرائيل"<sup>(٧)</sup>.

---

(١) عاموس ٥ : ١-٢.

(٢) عاموس ٥ : ١٦-١٧.

(٣) عاموس ٥ : ٢٦-٢٧.

(٤) عاموس ٧ : ١٦-١٧.

(٥) عاموس ٨ : ١-٣.

(٦) عاموس ٨ : ١٠.

(٧) راجع بالتفصيل عاموس عبدالمسيح: دراسة فى عاموس ص١٢٧ وما بعدها، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج٣ ص٣٧٦-٣٧٧ قاموس الكتاب المقدس ص٧٩، د/ محمد بيومى مهران: النبوة والأنبياء عند بنى إسرائيل ص١٠٠ مطبعة الرشاد الإسكندرية ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

هذا وقد اتجهت آمال اليهود إلى مملكة يهوذا الجنوبية بعد خراب مملكة إسرائيل الشمالية<sup>(١)</sup>.

لكن إذا كان الآشوريون قد قضوا على مملكة إسرائيل وأسقطوا السامرة ٧٢٢ ق.م فإن مملكة يهوذا أيضا لم تكن بعيدة عن متناول يدهم ولم يكن أهلها يعيشون بمأمل منهم.

فمنذ أن استنجد ملكهم أحاز بالملك تغلاث الثالث ولبي دعوته وأغار على الأراميين ومملكة إسرائيل عام ٧٢٣ ق.م صارت مملكة يهوذا خاضعة للآشوريين تدين لهم بالولاء وتتبع سياستهم وتؤدى لهم الجزية<sup>(٢)</sup>.

وظل أحاز طوال حياته مخلصا للآشوريين حتى يقال أنهم أقطعوا عددا من قرى المملكة الشمالية فمكافأة له على ولائه لهم<sup>(٣)</sup>.

وإذا كانت مملكة يهوذا قد عمرت بعد سقوط مملكة إسرائيل<sup>(٤)</sup> أكثر من قرن وثلاث من الزمان فإنه بسقوط الثانية أصبحت الأولى مكشوفة للآشوريين وأكثر تعرضا لهجماتهم المباشرة<sup>(٥)</sup>.

---

(١) بريستيد: العصور القديمة ص ٢٢٨.

(٢) راجع د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج ٣ ص ٣٩٩، د/ مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ج ٨ إسرائيل ص ٩٧٠.

(٣) تيودور روبنسون: إسرائيل في ضوء التاريخ ص ١٢٢، فؤاد حسنين على: التوراة الهيروغليفية ص ٨٩ الكاتب العربى للطباعة والنشر بدون تاريخ.

(٤) يرجع الدكتور نجيب ميخائيل ذلك على أسباب متعددة من بينها بعد المملكة الجنوبية عن الطريق الطبيعي من الشرق إلى الغرب كما أن أورشليم كانت منيعة نوعا ما، بينما الشمال مفتوح للغزو في يسر للطامعين وكان الاستيلاء عليه هدفا تطمع في الوصول إليه آشور إن أرادت أن تطل على البحر وهو على جانب ذلك غزير الموارد الحربية في صورة تهديد باستمرار الأمن الداخلى، لكنه يذكر أن المملكة الجنوبية قد عمرت مدى قرنين تقريبا وهو خطأ ذلك لأن سقوط إسرائيل تم في عام ٧٢٢ ق.م وسقوط يهوذا كان في عام ٥٨٦ ق.م كما أجمع على ذلك المؤرخون وهو من بينهم (راجع مصر والشرق الأدنى القديم ج ٣ سورية ص ٣٨٧).

(٥) راجع د. فيليب حتى: تاريخ سورية ج ١ ص ٢١٦، سليم حسين: مصر ج ٩ ص ٥٢٧، د/ حسن ظاظا: الساميون ولغاتهم ص ٨٧.

فبعد أن مات حليفهم آحاز تولى بعده ابنه حزقيا (٧٢١-٦٩٣ ق.م) وقد بدأ حكمه باستمرار ولائه لهم، ولكنه في عام ٧١١ ق.م عقد حلفاً ضدهم مع مصر فعاجله سرجون الثاني وقضى على هذا الحلف وأحبط محاولته في مهدها<sup>(١)</sup>.

وظل حزقيا تبعاً للأشوريين خوفاً منهم حتى مات ملكهم سرجون الثاني، وحينما تولى ابنه سنحاريب ملك آشور (٧٠٥-٦٨١ ق.م)<sup>(٢)</sup> تحداه حزقيا وتمرد عليه وامتنع عن دفع الجزية له وتحالف مرة أخرى مع أعدائه، فاستشاط سنحاريب غضبا وزحف على مملكة يهوذا في حملة قوية عام (٧٠١ ق.م) واستولى على عدد كبير من مدنها المحصنة، وعدد كبير من قراها المجاورة ونهب ما فيها من أموال وخزائن<sup>(٣)</sup>.

وقام بسبي الآلاف من أهلها<sup>(٤)</sup>، وحاصر حزقيال في أورشليم دون أن يتمكن من فتحها وظل محاصراً له ولم يرجع عنه حتى أرسل إليه حزقيا قائلاً له:

---

(١) د/ حتى: المصدر السابق ص٢١٦، قاموس الكتاب المقدس ص٣٠٦، د/ عبد الحميد زايد: الشرق الخالد ص٣٩٥، د/ فؤاد حسنين: التوراة الميروغليفية ص٨٩.

(٢) تولى سنحاريب الملك بعد موت أبيه سرجون الثاني ويذكر برستيد أنه قد فاقه عظمة وإجلالا ويعد من أعظم رجال السياسة في زمانه حنكة ودراسة ليس في بلاده فقط بل في سائر بلدان الشرق الأدنى القديم وكان مجرد ذكر اسمه كافيا لإلقاء الرهبة والمهابة في قلوب الناس (العصور القديمة ص١٦٤، جورج رو: العراق القديم ص٤٢٦-٤٣٢ قاموس الكتاب المقدس ص٤٨٧-٤٨٨).

(٣) ملوك ثان ١٨ : ١٣ تيودور روبنسون: إسرائيل في ضوء التاريخ ص١٢، وغذا كان سفر الملوك الثاني يذكر أن سنحاريب قد استولى على ميع مدن يهوذا المحصنة فإن النص الأشوري يذكر على لسان سنحاريب قوله: أما حزقيا اليهودي الى لم يخضع لسلطتي فإنني حاصرت ستاً واربعين من مدنه القوية المسورة والمدن التي بجوارها والتي لا يمكن تعدادها وفتحها وهبتها واعتبرتها غنائم "وقد أورد نص سنحاريب كتاب د/ حتى: تاريخ سورية جـ ص٢١٧، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ ص٢٨٠-٢٨٢، د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود في التاريخ ص٨٥٥-٥٨٩، وقد نقش النص على جدران قصره في نينوى إلى جانب صورته وهو جالس على عرشه في مقر عملياته.

(٤) جاء في الأثر الأشوري على لسان سنحاريب قوله "واستوليت منهم على ١٥٠، ٢٠٠ ألف نسمة رجالا ونساء وأطفالا وشيوخا" ويذهب فيليب حتى إلى أن ما يدعيه سنحاريب من أخذ هذا العدد من الرجال يشير إلى عدد سكان يهوذا كما كانوا يقدرونه حينذاك وقد اعتبرهم الملك الأشوري غنائم حرب، تاريخ سورية جـ ١ ص١٢٧.

"قد أخطأت، ارجع عني ومهما جعلت على حملته".

ففرض عليه ثلاث مائة وزنة من الفضة وثلاثين وزنة من الذهب وقدم له كل ما في بيت الرب وبيت الملك من خزائن<sup>(١)</sup>.

وسمح سنحاريب لحزقيا أن يحتفظ بعرض يهوذا كتابع لأشور وأجبره على أن يدفع ما عليه من جزية متأخرة وأن يرسل إليه بناته ومحظياته من نساء القصر إمعاناً في إذلاله<sup>(٢)</sup>.

ومن المتفق عليه أن سنحاريب قد أوقع على حزقيا عقاباً قاسياً وأنه جعل سلطانه مقصوراً على دولة المدينة الصغيرة أورشليم (مدينة داود) واستولى منه على كل بلاد يهوذا التي وهبها للملوك الفلسطينيين الموالين له<sup>(٣)</sup>.

ولا نزاع في أن مملكة يهوذا قد ضعفت قوتها وتقلصت رقعتها وخرجت مدنها بسبب هذه الحملة، وظلت في الثلاثة أرباع الأولى للقرن السابع ق.م خاضعة للأشوريين وتدفع لهم الجزية بانتظام<sup>(٤)</sup>.

إذا استمر منسى بن حزقيا على ولائه لهم وإن كان قد حاول التمرد على أسرحدون بن سنحاريب<sup>(٥)</sup> (٦٦٩-٦٨١ ق.م) فأرسل إليه جنده وحملوه مكبلاً

---

(١) راجع ملوك ثان ١٨ : ١٤-١٩ وورد في النص الأشوري على لسان سنحاريب "وأما حزقيا فإنني حبسته كعصفور في قفص في أورشليم وأحطته بأكوام من الأتربة للتضييق على كل من يحاول الخروج من باب المدينة.

راجع د/ حتى: تاريخ سورية ج١ ص٢١٧، د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود في التاريخ ص٥٨٩.

(٢) د/ حتى: تاريخ سورية ج١ ص٢١٧، د/ مهران ج٨ نقلا عن مصادر أجنبية ص٩٧٥.

(٣) د/ مهران ج٨ ص٩٧٥-٩٧٦ نقلا عن مصادر أجنبية، راجع النص الأشوري الذي سجله سنحاريب، د/ نجيب ميخائيل ج٥ ص٢٨٠-٢٨١، د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود ص٥٨٩.

(٤) / حتى: تاريخ سورية ج٥ ص٢١٨، راجع سليم حسن: مصر ج٩ ص٥٢٨-٥٢٩.

(٥) راجع تفاصيل الحديث عنه: جورج رو: العراق القديم ص٤٣٣-٤٣٨، قاموس الكتاب المقدس ص٦.

بقيوده إلى بابل ثم أعادوه إلى أورشليم مرة أخرى<sup>(١)</sup> فظل مستسلماً لهم وبالغ في إرضائهم طوال حياته<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن ابنه أمون قد تابعه في ذلك حتى إذا ما اعتلى يوشيا العرش حوالى عام ٦٣٨، بدأ في التحرر من سلطان الآشوريين مستغلاً ضعفهم الذى أدى إلى زوال دولتهم وسقوط عاصمتهم عام ٦١٢ ق.م<sup>(٣)</sup>.

وإذا كانت مملكة يهوذا بذلك قد تحررت من تسلط الآشوريين فإنها لم تلبث أن وقعت تحت قبضة البابليين وهو ما سنراه في الصفحات التالية.

---

(١) أخبار الأيام الثانى ٣٣ : ١١-١٣.

(٢) روبنسون: إسرائيل في ضوء التاريخ ص ١٢٣، صموئيل شولتر: العهد القديم يتكلم ص ٢٨٩.

(٣) راجع د/ فيليب حتى: تاريخ سورية ج ١ ص ٢١٨، موسكاتى: الحضارات السامية القديمة ص ٧٠.

## المبحث الخامس

### سقوط مملكة يهوذا والسبب البابلي

يذكر بريستيد أن اليهود حينما رأوا خراب نينوى (عاصمة الآشوريين) عام ٦١٢ امتلأت قلوبهم بهجة وأملوا أن يكون معنى هذا الخراب خلاصهم من ظلم الأجنبي، إلا أن ذلك لم يكن إلا استبدال سيد أجنبي بآخر<sup>(١)</sup>.

فبعد زوال الآشوريين وقعت مملكة يهوذا بين شقي الرحي: مصر وقوة بابل الصاعدة وترددت أورشليم وتأرجحت بين سياسة الخضوع للكلدانيين<sup>(٢)</sup> وبين سياسة التحالف مع المصريين ولكن ملكها (يهوياقيم ٦٠٨-٥٩٧) اختار السياسة الأخيرة<sup>(٣)</sup> مخالفاً بذلك سياسة أبيه يوشيا<sup>(٤)</sup> ومن قبله حزقيا<sup>(٥)</sup> وضارباً بعرض الحائط تحذيرات النبي أرميا<sup>(٦)</sup>.

---

(١) العصور القديمة ص ٢٣٠.

(٢) الكلدانيون هم الذين كونوا سلالة بابل الحديثة وأقاموا الدولة البابلية الأخيرة وسيطروا على الشرق القديم بعد الآشوريين.

(٣) راجع د/ حتى: تاريخ سورية ج ١ ص ٢١٨، موسكاتي: الحضارات السامية ص ١٤٦.

(٤) سبق أ، ذكرت وكما ورد في سفر الملوك الثاني أو يوشيا قد وقف في وجه ملك مصر (الفرعون نخو) فقتله في مجدو حين رآه (ملوك ثان ٢٣ : ٢٩-٣٠).

(٥) كان حزقيا ممن يميلون غلبا بل وقد ساقبل الوفد البابلي الذي بعثه إليه ملكهم مردوخ بلادان برسائل وهدايا فسمح لهم حزقيا وأطلعهم على أسرار ملكه وحين علم بذلك أعشيا تنبأ له بأن قومه سيساقون ارى على بابل ويؤخذ من بيته من يكونون خصيانا في قصر ملك بابل (ملوك ثان ٢٠ : ١٢-١٩).

(٦) راجع أرميا ٣٦ : ١-٣٢ / ٤٦ : ١٣-٢٦.

فكان هذا التحالف يمثل تحدياً لملك الكلدانيين (نبوخذ نصر<sup>(١)</sup> ٦٠٥-٥٦٢ ق.م) الذى قضى على سيادة المصريين بأن هزمهم فى موقعة قرقميش عام (٦٠٥ ق.م)<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن نبوخذ نصر قد واصل السير بجيشه إلى فلسطين فدخلها ٦٠٤ ق.م. وحينئذ اضطر يهوياقيم على الاستسلام له وأظهر الخضوع والطاعة مدة ثلاث سنوات "فى أيامه صعد نبوخذ نصر ملك بابل فكان له يهوياقيم عبداً ثلاث سنين ثم عاد فتمرد عليه"<sup>(٣)</sup> وذكر المؤرخون أن هذا التمرد كان فى عام ٦٠١ ق.م. وكان بتشجيع من مصر<sup>(٤)</sup>، ولكن نبوخذ نصر قضى على هذا التمرد فأرسل إليه جيشاً مؤلفاً من الكلدانيين والآرميين والمؤابيين والعمونيين حيث لم ير ضرورة الذهاب إليه بنفسه<sup>(٥)</sup>.

لكنه بعد ذلك قام بشن حملة عليه فى عام ٥٩٧ ق.م. إذ زحف بجيشه على أورشليم وبينما هو فى طريقه إليها مات يهوياقيم<sup>(٦)</sup> فخلفه ابنه يهوياكين الذى لم يستغرق حكمه سوى ثلاثة شهور<sup>(٧)</sup>.

---

(١) نبوخذ نصر هو ابن بنوبولاسر وخليفته وقد استمر فى الحكم مدة ثلاثة وأربعين عاماً (٦٠٥-٥٦٢ ق.م) وقيل من (٦٠٤-٥٦١ ق.م) وهو أعظم ملوك الكلدانيين وبلغت قوة بابل فى عهده ذروتها. راجع الحديث عنه بالتفصيل بريستيد: العصور القديمة، دى بورج: تراث العالم القديم ج١ ص٤٣، طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ج١ ص٥٤٦ وما بعدها، د/ سامى سعيد الأحمد: سلالة بابل الحديثة ضمن العراق فى التاريخ ص١٦٥-١٦٥.

(٢) راجع د/ حتى: تاريخ سورية ج١ ص٢١٩، كاترين هنرى: التاريخ فى الكتاب ص٨٨ د/ عبدالعزيز صالح: مصر والعراق ص٣٠٣-٣٠٤، سليم حسن: مصر ج٩ ص٥٣٠.

(٣) ملوك ثان ٢٤: ١ ويذكر سفر الأخبار الثانى أن نبوخذ نصر قيده قبل أن يظهر خضوعه بسلاسل من نحاس ليذهب إلى بابل (٣٦: ٦).

(٤) د/ عبدالعزيز صالح: مصر والعراق ص٣٠٤.

(٥) ملوك ثان ٢٤: ٢.

(٦) ذكر بعض المؤرخين أن يهوياقيم قد مات ميتة طبيعية قبل أن يصل عليها نبوخذ نصر (راجع د/ ميخائيل: مصر والشرق ج٣ ص٤١٢ ج٥ ص٣١٧، د/ مهران ج٨ ص٩٨٩ نقلاً عن مصادر أجنبية) وهناك من يذكر أنه مات أثناء حصار نبوخذ نصر لأورشليم (طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات ج١ ص٥٤٧، د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود ص٦٠٥، وقيل إنه قتل وطرحت جثته خارج أبواب أورشليم كما تنبأ له أرميا بأنه سيدفن دفن حمار (راجع أرميا ٢٢: ١٨-١٩ / ٣٦: ٢٧-٣٢، شولتر العهد القديم بتكلم ص٣٠٣، د/ حتى: تاريخ سورية ج١ ص٢١٩).

(٧) ملوك ثان ٢٤: ٨ وزاد عليها سفر أخبار الأيام الثانى عشرة أيام (٣٦: ٩).

وحين وصل نبوخذ نصر إلى أورشليم فرض عليها الحصار فاضطر يهوياكين إلى الاستسلام فقام نبوخذ نصر بنهب ما في أورشليم من خزائن الهيكل وخزائن بيت الملك وساق يهوياكين وأمه ونسائه ورجال الجيش ورؤساء اليهود وصناعهم أسرى إلى بابل<sup>(١)</sup>، وقد اختلفت الأسفار في تحديد أعدادهم<sup>(٢)</sup>.

وكان تسليم يهوياكين لأورشليم انقازاً لها من دمار محقق بل كان من مثرة هذا الاستسلام أن عام بنوخذ نصر المدينة برفق نسبي<sup>(٣)</sup>.

ويعتبر هذا السبي هو السبي الأول لليهود أورشليم إلى بابل، وتنظر التوراة إليه على أنه مرحلة حاسمة في تاريخ نهاية يهوذا فلقد تم فيه إبعاد حوالي عشرة آلاف رجل - على أرجح الآراء - يكونون هم وأسرهم قرابة الثلاثين ألفاً من الناس معظمهم من أورشليم والبقية الباقية من مدن الجنوب<sup>(٤)</sup>.

على أن ذلك السبي لا تقاس أهميته في الواقع بعدد المسيبين ولكن بنوعيتهم فقد سبيت العائلة المالكة والكهنة والأنبياء<sup>(٥)</sup>، وفوق كل هؤلاء الجنود والصناع والحرفيون وهذه المجموعة الأخيرة تكون الجيش ومعداته ولهذا فإن لذكرها أهمية خاصة ولعل مما يشير كثيراً إلى أهمية المنفيين قول التوراة أنه "لم يبق أحد إلا مساكين شعب الأرض"<sup>(٦)</sup>.

(١) راجع ملوك ثان ٢٤ : ١٠-١٦.

(٢) في عدد أفراد السبي كثير من المفارقات فهو مرة عشرة آلاف وأخرى ثمانية آلاف وثلاثة آلاف وثلاثة وعشرون يصلون على أربعة آلاف وستمائة أحياناً على دفعات، ويرجح أغلب العلماء أنهم كانوا عشرة آلاف.

راجع ملوك ثان ٢٤ : ١٤، ١٦، ارميا ٥٢ : ٣٨، د/ حتى: تاريخ سورية ج١ ص ٢١٨ ول ديورانت: قصة الحضارة المجلد الأول الجزء الثاني ص ٣٥٧، طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات ج١ ص ٥٤٧، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج٣ ص ٤١٢-٤١٣.

(٣) هوامش موسكاتي للدكتور السيد بكر ص ٢٨٣ نقلاً عن مصادر أجنبية، د/ نجيب ميخائيل مصر والشرق ج٣ ص ٤١٢.

(٤) راجع ملوك ثان ٤٢ : ١٠-١٤، أرميا ٢٤ : ٢٧١ : ٢٩/٢٠ : ٢-١، / محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى ج٨ ص ٩٩٠.

(٥) ملوك ثان ٢٤ : ١ ص ٤ راجع د/ مهران: المصدر السابق نقلاً عن مصادر أجنبية.

(٦) من أبرز الأنبياء الذين تم أسرهم في هذا السبي النبي حزقيا (راجع ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ ج٢ ص ٣٦١، د/ فيليب حتى: تاريخ سورية ج٢ ص ٢١٩، صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم ص ٤٧٧).

وهذا السبى يكون قد تم نفى خيرة الشعب ليبدأ بذلك عصر المنفى أو عصر السبى البابلي.

وإذا كان نبوخذ نصر قد قام بخلع يهوياكين ونفيه إلى بابل<sup>(١)</sup> فإنه عين مكانه عمه متتيا بن يوشيا ملكًا على يهوذا وغير اسمه على صدقيا<sup>(٢)</sup> ووعد نبوخذ نصر بالاحتفاظ بعرشه على أن يتعهد له بالولاء التام لبابل وأكد له هذا التعهد بأن استحلفه بالله<sup>(٣)</sup>.

وقد استمر صدقيا<sup>(٤)</sup> (٥٩٧-٥٨٦ ق.م) على ولائه وخضوعه للملك بابل طيلة أربع سنوات حتى "صار فيها كألعبوة أو دمية في يده"<sup>(٥)</sup>.

ولكنه في عام ٥٩٣<sup>(٦)</sup> أو في عام ٥٩٤ ق.م<sup>(٧)</sup> قام بأول حركة ثورية ضد الاحتلال البابلي إذ تم عقد تحالف سرى بين يهوذا وأدوم ومؤاب وعمون وصيدا وصور بحضور صدقيا في أورشليم<sup>(٨)</sup> بقصد القيام بحركة عامة ضد بابل.

ولكن لم يقدر لهذه الحركة النجاح وإنما باءت بالفشل بل ربما انتهت إلى التشكيك في نوايا صدقيا وفي ولائه، إذ أنه استدعى إلى بابل ليحاسب عن أعماله وليقدم تفسيرًا عن كل ذلك<sup>(٩)</sup>.

---

(١) تذكر الأسفار أن يهوياكين بقى مسجونًا وقربه غليه وأكرمه (ملوك ثان ٢٥ : ٢٧-٣٠، أرميا ٥٢ : ٣١-٣٤).

(٢) ملوك ثان ٢٤ : ١٧، أخبار ثان ٣٦ : ١٠، ولا يخفى أن تغيير الاسم ينبئ عن سيادة نبوخذ نصر ومدى خضوع وتبعية صدقيا.

(٣) أخبار ثان: ٣٦ : ١٣.

(٤) آخر ملوك يهوذا.

(٥) شولتر: العهد القديم يتكلم ص ٣٠٤.

(٦) الأدب ديل: تاريخ شعب العهد القديم ص ٧٦٠.

(٧) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى ج ٣ ص ٤١٣.

(٨) أرميا ٢٧ : ٣.

(٩) أرميا ٥١ : ٩٥ (راجع د. ميخائيل: مصر والشرق ج ٣ ص ٤١٣-٣١٤، د/ محمد مهران ج ٨ ص ٩٩٩ نقلا عن مصدر أجنبي).

ولكن حدث بعد ذلك وفي عام ٥٨٨ ق.م أن صدقيا أعلن تمردہ على ملك بابل وقام بحركة جديدة - بتشجيع من مصر - للتخلص من النير البابلي<sup>(١)</sup>.

وانقسم أهل يهوذا في ذلك الوقت إلى فريقين: فريق يتزعمه صدقيا ويتكلم باسمه (النبي) حننيا ويدعو على كسر النير البابلي باسم الرب ويعلن أن قبضة البابليين خشبية ويجب أن تكسر<sup>(٢)</sup>.

والفريق الآخر يتزعمه (النبي) أرميا الذي أخذ يتحرك منذراً بفمه وبنير من الخشب يحمله على كتفيه مشيراً على أن نير بابل سيظل على كواهل الشعب بأمر يهوه وأن محاولة التخلص منه عبث لا طائل وراءه<sup>(٣)</sup>.

وحينما كسر حننيا منه نير الخشب أعلن أن الرب قد استبدله بنير من الحديد وأن قبضة البابليين حديدية ولن تتمزق<sup>(٤)</sup>.

وأخذ يتنبأ بأن ملك مصر سوف يعود إلى بلده وأن البابليين سوف يستولون على أورشليم ويحرقونها وأنه يجب وضع أعناق الأمة تحت نير ملك بابل بأمر الرب أيضاً، وهكذا كان شأن من يدعون النبوة من بنى إسرائيل إلا من عصم<sup>(٥)</sup>.

ولذلك فإن ول ديورانت يذكر أن أرميا كان من أشد الأنبياء حقداً على قومه يدافع عن بابل ويعلن في الملأ أنها سوط عذاب في يد الله، ويتهم حكام يهوذا بأنهم

---

(١) ملوك ثان ٢٤ : ٢٠، أخبار ثان ٣٦ : ١٣، حزقيا ١٧ : ١٥.

وقد حددها العلماء بهذا التاريخ على أساس أن حزقيا تولى عام ٥٩٧ ويذكر السفر أن التمرد كان في السنة التاسعة من حكمه (٥٨٨ ق.م).

(٢) راجع أمريا ٢٨ : ١-٤ والنبي حننيا كان أحد الأنبياء المعاصرين لأرميا (راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٣٢٤).

(٣) راجع د/ ماير: حياة أرميا ص ٢١٩، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج ٣ ص ٤١٣، د/ عبدالعزيز صالح: مصر والعراق ص ٣٠٦، ٥٥٦.

(٤) راجع أرميا ٢٨ : ١٠-١٤.

(٥) د/ عبدالعزيز صالح المصدر السابق.

بلهاء معاندون وينصحهم بأن يسلموا أمرهم كله إلى بنوخذ نصر، حتى ليكاد من يقرأ أقواله<sup>(١)</sup> في تلك الأيام يظن أنه من صنائع بابل المأجورين<sup>(٢)</sup>.

وعلى أى حال فإن صدقيا - كما تذكر الأسفار - لم يسمع هو ولا عبيده ولا شعب الأرض لكلام الرب الذى تكلم به عن يداراميا (النبي)<sup>(٣)</sup> واستمر فى ترمده على ملك بابل.

وما إن علم بنوخذ نصر بهذا التمرد حتى استشاط غضبا وزحف بجيش كثيف على مملكة يهوذا<sup>(٤)</sup> فأخذ يسقط مدنها الواحدة<sup>(٥)</sup> تلو الأخرى حتى وصل إلى أورشليم فحاصرها واستمر حصاره لها حوالى ثمانية عشر شهرا<sup>(٦)</sup>.

(١) ومن بعض أقوال أرميا ما ورد فى سفره "قال رب الجنود إله إسرائيل هكذا تقولون لسادتكم أنى أنا صنعت الأرض والإنسان والحيوان الذى على وجه الأرض بقوتى العظيمة وبذراعى الممدودة وأعطيته لمن حسن فى عيني والآن قد دفعت لك هذه الأراضى ليد بنوخذ نصر ملك بابل عيذى وأعطيته أيضا حيوان الحقل ليعلمه فتخدمه كل الشعوب وابنه وابن ابنه حتى يأتى وقت أرضه أيضا فتستخدمه شعوب كثيرة وملوك عظام أو يكون أن الأمة التى لا تخدم بنوخذ نصر ملك بابل والثى لا تجعل عنقها تحت نير ملك بابل أنى أعاقب تلك الأمة بالسيف والجوع والوباء، يقول الرب حتى أفنيها بيده فلا تسمعوا أنتم لأنبيائكم وعرافيكم وحاليكم وعائقيكم وسحرتكم الذين يكلمونكم قائلين لا تخدموا ملك بابل لأنهم إنما يتبأون لكم بالكذب لكى يبعدوكم من أرضكم ولأكردكم فتهلكوا والأمة التى تدخل عنقها تحت نير ملك بابل وتخدمه أجعلها تستقر فى أرضها وتعلمها وتسكن بها.

(ارميا ٢٧ : ١١-٥).

وحدث أرميا بهذا الكلام صدقيا وكلم به الكهنة (أرميا ٢٧ : ١٢-١٨). وكتب بمثله أيضا إلى المنفيين فى بابل من أهل السبى الأول وأخبرهم بأن الرب سيذكرهم بعد سبعين عاما من إقامتهم فى بابل ويردهم على أورشليم. (أمرى ٢٩ : ١٠).

(٢) قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٣٥٨.

(٣) أخبار ثان ٣٦ : ١٢.

(٤) أمرى ٣٧ : ١-٢.

(٥) ملوك ثان ٢٥ : ١.

(٦) تولى صدقيا الحكم عام ٥٩٧ ق.م وتذكر الأسفار أن جيش بنوخذ نصر حاصر أورشليم فى الشهر العاشر من العام التاسع من حكم صدقيا أى ما يوافق أواخر عام ٥٨٨ ق.م وتم فتحها فى الشهر الرابع من السنة الحادية عشرة من حكمه أى ما يوافق أوائل عام ٥٨٦ ق.م فتكون مدة الحصار حوالى ثمانية عشر شهرا أى ما يعادل عامًا ونصف العام (راجع أرميا ٣٩ : ١-٢ (ملوك ثان ٢٥ : ٣-١).

وإن كان قد تم رفع الحصار مؤقتًا حينما اضطّر البابليون لمحاربة الجيش المصري الذي خرج لنجدة المحاصرين جاء في سفر أرميا "وخرج جيش فرعون من مصر، فلما سمع الكلدانيون المحاصرون أورشليم بخبره صعدوا عن أورشليم"<sup>(١)</sup>.

وحين رفع الحصار فرح اليهود وألموا في الخلاص من البابليين ولكن أرميا خيب أملهم بقوله "هب أن جيش فرعون الخارج إليكم لمساعدتكم يرجع إلى أرضه إلى مصر ويرجع الكلدانيون ويحاربون هذه المدينة ويأخذونها ويحرقونها بالنار هكذا قال الرب لا تخدعوا أنفسكم قائلين: إن الكلدانيين سيذهبون عنا لأنهم لا يذهبون"<sup>(٢)</sup>.

وقد وقع فعلاً ما تنبأ به أرميا إذ تمكن البابليون من صد المصريين وإرجاعهم على أعقابهم ثم استأنفوا فرض الحصار على أورشليم ولكن بشكل أكثر عنفاً وأشد قسوة من ذي قبل، وبدأ المحاصرون يحسون بوطأته بسبب تفشى المجاعة وما صاحبها من ذعر واضطراب<sup>(٣)</sup>.

وأخيراً تمكن الجيش المحاصر من التسلل إلى المدينة بعد أن أحدثوا ثغرة في أحد

---

(١) أرميا ٣٧ : ٥ سبق أن أشرت إلى هذا الفرعون الذي يسمى في التوراة "خفرع" وقد اشتهر عند الإغريق باسم إيريس (أرميا ٤٤ : ٣٠ مصر والعراق ص ٣٠٥).

(٢) راجع أرميا ٣٦ : ٦ - ت ١٠، تاريخ شعب العهد القديم ص ٢٩٠-٢٩١، وقد خيل إلى الأمراء في حاشية صدقيا أن كلام أرميا هذا غدر بالوطن وخيانة له وتريق آراء اليهود وأرواحهم في ساحة المحنة ولكنه لم يعبأ بأقوالهم وأخذ يسخر منهم ويتنبأ بخراب أورشليم وحاول الكهنة أثناءه عن عمله هذا بوضع رأسه في الدقن ولكنه وهو في هذا الوضع ظل يشهر بهم فما كان منهم إلا أن يستدعوه إلى الهيكل وأرادوا قتله غير أنه استطاع أن يفلت منهم بمعونة صديق له من الكهنة ثم قبض عليه الأمراء وربطوا في حبال وأنزلوه في بئر مملوءة بالوحل، ولكن صدقيا خفف هذا العقاب بأن سجنه في فناء القصر وفيه وجده البابليون حين سقطت أورشليم في أيديهم وأمر بنوخذ نصر رجاله أن يحسنوا معاملته وأن يعفون من قرار النفي العام راجع أرميا ٣٧ : ١١-٢١ / ٣٨ : ١٠-١٣، قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٣٦٠.

(٣) راجع أخبار تلك المجاعة وذلك الاضطراب في الإصحاح الأول من مراثي أرميا وسفر أرميا ٢١ : ٩-٧، ملوك ثان ٢٤ : ٣-٤، راجع أيضا د/ حتى: تاريخ سورية ج ١ ص ٢٢٠، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم ج ٣ سورية ص ٤١٥، د: أحمد سوسة مفصل العرب واليهود في التاريخ ص ٦٠٦.

أسوارها فغدا الموقف ميؤوسا منه وحاول صدقيا الهرب بأسرته ومعه رجال جيشه ولكن الكلدانيين أخذوا في مطاردتهم حتى أدركوا الملك في أريحا - وقد تفرق عنه جيشه - فقبضوا عليه وحملوه إلى معسكر نبوخذ نصر في ربلة<sup>(١)</sup> وهناك ذبحوا أبناءه أمامه ثم فقا الملك عينيه إمعاناً في إذلاله وليكون ذبح أبنائه آخر مشهد يراه بهما، ثم قيدوه بالسلاسل ليعودوا به مغلولاً إلى بابل<sup>(٢)</sup>.

وبعد حوالى شهر من الزمان قام الجيش الكلدانى بتدمير أورشليم تدميراً كاملاً إذ أحرق أفراد بيت الرب وبيت الملك بعد أن نهبوا ما فيها من كنز وخزائن وأحرقوا كل بيوت عظماء أورشليم وهدموا جميع أسوارها وقبضوا على الآلاف من اليهود فحملوا بعضهم إلى ملكهم في ربلة فقتلهم وقاموا بسبى الذين بقوا من السيف - كما يعبر السفر - إلى بابل فكانوا الملك بابل ولبنيه عبيداً إلى أن ملكت مملكة فارس.

ولم يبق في أرض يهوذا إلا مساكين الأرض من الكرامين والفلاحين<sup>(٣)</sup> وقد تم تدمير أورشليم وترحيل صدقيا ومن معه من اليهود المسيبين إلى بابل في عام ٥٨٦ ق.م<sup>(٤)</sup>.

ويسمى هذا السبى بالسبى الثانى إلى بابل، واختلف العلماء في تحديد أعداد الذين سبوا فيه فقد رهم البعض بنحو خمسين ألفاً<sup>(٥)</sup> وقد رهم البعض الآخر بحوالى أربعين ألفاً<sup>(٦)</sup>.

---

(١) مدينة في أرض حماة عسكر فيها نبوخذ نصر قريبا من أورشليم (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٣٩٨).

(٢) راجع تفاصيل هذه الأحداث في سفر الملوك الثانى ٢٥ : ٣-٧، أرميا ٣٩ : ٣-٧.

(٣) راجع تفاصيل ذلك في: سفر الملوك الثانى ٢٥ : ٨-٢١، وأخبار الأيام الثانى ٣٦ : ١٧٨-٢١، أرميا ٣٩ : ٨-١٠.

(٤) هناك شبه إجماع من المؤرخين على أن التدمير والسبى الثانى تم في هذا التاريخ ٥٨٦ ق.م اعتماداً على نصوص التوراة ومقارنتها بالآثار التاريخية (راجع على سبيل المثال موسكاتى: الحضارات السامية: ص٧٠، ٧١، بريستيد: العصور القديمة ص٣٠، ويلز: معالم تاريخ الإنسانية مجلد ٤٢ ص٢٩٧-٢٩٨).

(٥) د/ فيليب حتى: تاريخ سورية ج١ ص٢٢٠، سليم حسن: مصر ج٩ ص٥٣٢، د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود في التاريخ ص٦٠٦.

(٦) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات ج١ ص٥٤٨، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم ج٥ ص٣٢٠.

وهكذا دمرت أورشليم وصارت قاعًا صنفصفاً، وسقطت مملكة يهوذا بعد أن خربت السامرة وسقطت مملكة إسرائيل من قبل.

وقد لخص ويلز تاريخ المملكتين ونهايتهما بقوله "ويصبح تاريخ ملوك إسرائيل وملوك يهوذا تاريخ ولايتين صغيرتين بين شقى الرحى تعركهما على التوالى سوريا ثم بابل من الشمال ومصر من الجنوب.

وهى قصة نكبات وتحمرات لا تعود عليهم إلا بإرجاء نزول النكبة القاضية، هى قصة ملوك همج يحكمون شعباً من الهمج، حتى إذا وافت سنة (٧٢٢ ق.م) محت يد الأسر الآشورى مملكة إسرائيل من الوجود وزال شعبها من التاريخ زوالاً تاماً، وظلت مملكة يهوذا تكافح حتى حل بها ما حل بإسرائيل وكان ذلك عام (٥٨٦ ق.م)<sup>(١)</sup>.

وتكاد الأحداث تكون متشابهة فى المراحل التى مرت بالسامرة وأورشليم وأدت إلى انهيارها وسقوطها<sup>(٢)</sup>.

إلا أن الملك البابلى قد اختلف عن نظيره الآشورى فى أنه لم يقم بترحيل كل اليهود من أورشليم وإنما أبقى منها - كما أشرت من قبل - عددًا من البائسين والتعساء (مساكين شعب الأرض)<sup>(٣)</sup>.

---

(١) موجز تاريخ العالم ص ٩٣.

(٢) من أوجه التشابه والمائل التى لاحظها المؤرخون أن أمر الملكية قد انتهى فى المملكة الشمالية بستة من الملوك حكموا مدى عشرين عامًا لم يمت منهم ميتة طبيعية سوى مناحم وفى المملكة الجنوبية نلتقى كذلك ستة ملوك فى آخر عهدها بالمملكة لا ينجو من بينهم من القتل أو الأسر سوى يهوياقيم وإن كان أحرهم بهذا المصير.

وكما كان هناك نبيان يرقبان سقوط إسرائيل: واحد من الداخل والآخر من الخارج وهما هوشع وأشعيا فإن الأمر كذلك بالنسبة ليهوذا إذ كان هناك أرميا وحزقيا فى نفس الموضع، أما معول تدمير السامرة وانهيارها فكانت اشور وأما سقوط أورشليم فكان على يدى بابل.

راجع د/ نجيب ميخائيل: مصو والشرق الأدنى القديم ج ٣ ص ٤١٠.

محمود نعنعا: المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل ص ٢٩٣ مكتبة الأنجلو المصرية.

(٣) ملوك ثان ٢٥ : ١٢.

وهو أيضًا لم يعين أحد البابليين حاكمًا على أورشليم - كما فعل ملك آشور حينما عين أحد الآشوريين حاكمًا على السامرة - وإنما أقام على اليهود واحدًا منهم<sup>(١)</sup>.

وكان من الدعاة المتحمسين للاحتلال البابلي ومن المشجعين عليه إذ أنه قال لقومه "لا تخافوا من عبيد الكلدانيين اسكنوا الأرض وتعبوا الملك بابل فيكون خيرًا لكم"<sup>(٢)</sup>.

ولكن بعد سبعة أشهر من تعيينه خرج عليه أحد أفراد النسل المالكي<sup>(٣)</sup> ومعه عشرة من الرجال فقتلوه هو ومن معه من اليهود والكلدانيين<sup>(٤)</sup>.

ويذكر سفر أرميا أن الكلدانيين قد سبوا مجموعة من اليهود في عام ٥٨٢ ق. م بلغ عددها سبعمائة وخمسة وأربعين فردًا ويسمى هذا السبي بالسبي الثالث إلى بابل<sup>(٥)</sup>.

**وهكذا تم السبي البابلي على ثلاث مراحل:**

**المرحلة الأولى:** كانت في عام ٥٩٧ ق. م واختلف في عدد المسبيين فيها، وإن كان غالبية العلماء يرجحون أنهم عشرة آلاف.

**المرحلة الثانية:** كانت في عام ٥٨٦ ق. م واختلف أيضا في عدد المسبيين ما بين أربعين ألفا وخمسين ألفا كما سبق.

**المرحلة الثالثة:** وقد اعتمد فيها المؤرخون ما ورد في سفر أرميا من أنهم كانوا سبعمائة وخمسة وأربعين فردًا.

---

(١) واسمه جداليا بن أخيقام.

(٢) راجع ملوك ثان ٢٥ : ٢٤ أرميا ٤٠ : ٩.

(٣) ويسمى إسماعيل بن نثيا.

(٤) ملوك ثان ٢٥ : ٢٥ وقد ورد في سفر أرميا تفاصيل قتله وما تلاه من أحداث حيث أقاموا له وليمة ثم ائتمروا به وقضوا عليه (راجع أرميا ٤١ : ١٨-١).

(٥) أرميا ٥٢ : ٣٠.

ولقد تولى نبوخذ نصر حكم بابل عام ٦٠٥ ق. م وسفر أرميا يذكر أن هذا السبي الثالث قد تم في السنة الثالثة والعشرين من حكمه فلو أضفنا الخمس سنوات المتبقية من القرن السابق إلى ثمانية عشر عامًا من القرن السادس يكون التاريخ ٥٨٢ ق. م وقد اتفق على ذلك معظم المؤرخين.

وبذلك فإن اليهود بعد سقوط مملكة يهوذا قد تفرقوا إلى ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى: وهم الذين تم سبيهم إلى بابل.

المجموعة الثانية: وهم الذين سمح لهم بالإقامة في بلاد يهوذا.

المجموعة الثالثة: وهم الذين هاجروا على مصر خوفاً من البابليين.

فأما الذين هاجروا على مصر فقد أقاموا واتصلوا بالمصريين واختلطوا بهم وعبدوا آلهتهم كما سبق أن أشرت.

وأما الذين بقوا في بلاد يهوذا فقد كان عددهم كبيراً<sup>(١)</sup> إذ أن البلاد لم تخل خلواً تاماً من سكانها إذ ظل أكثر أهل الريف في مواطنهم<sup>(٢)</sup>، فكانت يهوذا على أية حال أبعد من أن تكون قد أفرغت - كالسامرة - من أهلها أو أتلقت أو دمرت دون أن تزرع<sup>(٣)</sup> بل إن هناك ما يشير إلى استقدام وفود جدد إليها ليحلوا محل من أخذوا للسبي<sup>(٤)</sup>.

ولعل أفكار هذه الوفود أثرت تأثيراً دقيقاً جداً في تشكيل التقاليد الأدبية العبرية من جديد في فترة ما بعد السبي<sup>(٥)</sup>.

وأيضاً فإن بلاد يهوذا قد اشتد فيها الاتصال بين اليهود والفلسطينيين والعمونيين والمؤابيين وكثر التزاوج بينهم مما أدى إلى نشوء طبقة جديدة تفسر نشأتها مظاهر الانحطاط الديني التي تجلت بعد ذلك<sup>(٦)</sup>.

(١) حزقيا ٣٣: ٢٤.

(٢) د/ المسلي: سقوط أورشليم وأهميته العالمية ص٦٣٩، تيودور روبنسون: إسرائيل في ضوء التاريخ ص١٢٥.

(٣) د. نجيب ميخائيل: والشرق الأدنى القديم ج٣ سورية ص٤١٨.

(٤) من هذه الوفود القينيون والفزييون والكييون الذين كانوا يتعرضون لضغط الأدوميين (راجع المصدرين السابقين).

(٥) سقوط أورشليم ص٦٣٩.

(٦) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج٣ ص٤١٩.

هذا بالإضافة إلى أن وجود البابليين كحكام وكحامية على هذه المجموعة قد أدى إلى قيام المعبودات البابلية والاعتراف بها بينهم<sup>(١)</sup>.

وأما الذين سبوا إلى بابل فبالرغم من أنهم استقلوا في إحدى مناطقها<sup>(٢)</sup>، ولم يشرّدوا في أماكن شتى - كسكان السامرة في السبي الأشوري - إلا أن هذا الاستقرار لم يخل من خطر الاستكانة والاستسلام إذ أن هذا السبي قد أدى إلى اندثار أمّتهم وأصبحوا هم عبيدًا لسادتهم يسخروهم في الأعمال الوضيعة الشاقة وتعمدوا أن يقتلوا في نفوسهم عصبيتهم القومية ونعرتهم الدينية ليأمنوا تمردهم وعصيانهم فلم يلبث اليهود بالفعل أن فقدوا شخصيتهم وخف لديهم الشعور الوطني ونضبت عندهم العاطفة الدينية<sup>(٣)</sup>.

وبخاصة أن هذا الاستقرار قد ساعد الأغلبية منهم على أن يختلطوا بالبابليين اختلاطًا شديدًا فتعاملوا معهم بالتجارة حتى ازدادت ثروتهم في أرض بابل بالزراعة حتى ارتبطوا بها تهيأ لهم الاطلاع على الثقافة الكلدانية حتى امتزجوا بها امتزاجا كاملا فأدى ذلك على أن تعودوا عادات الكلدانيين وتخلقوا بأخلاقهم وعبدوا آلهتهم<sup>(٤)</sup>.

وقد تنبه إلى خطورة ذلك الامتزاج وأثره على الديانة اليهودية نبهم حزقيال الذى حاول بشتى الطرق أن يبقى على نفسية بنى وطنه المنفيين ويؤخر اندماجهم فى الثقافة البابلية وفى الدم البابلى وأخذ يحذرهم من عواقبه الوخيمة، ولكنهم كانوا قد

---

(١) من هذه المعبودات ملكة السماء عشتار وقد احتج أرميا على عبادتها (أمرى ٤٤ : ١٨، ١٩) وأقام اليهود تماثيل للآلهة البابلية ومارس نساؤهم طقوس الإله تموز (حزقيا ٨ : ٢، ١٤) راجع تفاصيل ذلك د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج٣ ص٤١٩.

(٢) هذه المنطقة كانت تسمى نهر الخابور وهذا النهر عبارة عن قناة كبيرة فى جنوب شرق بابل وقد استقر اليهود المسيبون حولها (راجع حزقيا ١ : ١، ٣، ٣ : ١٥، ٢٣ / ١٠ : ١٥، ٢٠ قاموس الكتاب المقدس ص٣٣٤).

(٣) الأب ديل: تاريخ شعب العهد القديم ص٣٠٧، زكى شنودة: المجتمع اليهودى ص٤٣١، ٤٢٣.

(٤) راجع ويلز: معالم تاريخ الإنسانية مجلد ٢ ك٤ ص٢٨٢، الأب ديل: تاريخ شعب العهد القديم ص٣٠٧، ٣٠٨، شاهى مكاريوس: تاريخ الإسرائيليين ص٣١.

أثروا وحسنت حالهم في أرض الجزيرة الغنية وسرعان ما زاد عددهم ونمت ثروتهم وأيسروا فيها عاد به عليهم خضوعهم للبابليين من هدوء ووفاق لم يتعودوهما من قبل.

وأخذت طائفة منهم مطردة الزيادة تعبد الآلهة البابلية وتألف الأساليب الشهبوانية الشائعة في العاصمة القديمة، وبعد بعض سنوات أصبح اليهود يتسمون بأسماء بابلية ويسيرون على التقويم البابلي وأخذوا يهملون العبرانية وأشرب أبناء الطبقات المتعلمة أفكارا جديدة لم يكن بنوا إسرائيل يعرفون عنها شيئا من قبل، حتى إذا كان الجيل الثانى من أبناء المنفيين كانت ذكرى أورشليم قد محيت أو كادت تمحى من أذهانهم<sup>(١)</sup>.

هذا وما ساعد على تقبل المسيبين للأفكار الوثنية أنهم أصيبوا بالهزيمة الداخلية أمام قوة البابليين ومجدهم وضعفوا أمام إغراءات العبادات البابلية طقوسها.

فقد كان لا انتصار بابل وهى فى أوج مجدها وقمة عزها شأن فى الانحلال العام الذى أصاب المسيبين، فهذه المدينة الزاهرة التى يشهدونها وهذا المجد الباهر الذى يكلل هامة الغالب وهذه الطقوس الدينية تتجلى فى الطواف بالآلهة التى إليها تعزو بابل انتصاراتها.

كل ذلك أدى إلى شكهم فى عقيدتهم فى إلههم وشكهم فى التعاليم التى تلقوها عن أنبيائهم فاستولت عليهم الكآبة وتملك الحزن قلوبهم، واندفعوا بكل قوتهم نحو الوثنية البابلية التى ارتفعت بانتصار نبوخذ نصر وازدهرت ازدهارا كبيرا فى عهد بنو نيدس (٥٥٥-٥٣٩ ق.م)<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع ول ديورانت: قصة الحضارة الجزء الثانى من المجلد الأول ص٣٦٢، الأب ديلي: تاريخ شعب العهد القديم ص٣٠٧ إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية ص٨٩.

(٢) راجع الأرب ديلي: تاريخ شعب العهد القديم ص٣٠٨-٣٠٩، بريستيد: العصور القديمة ص٢٣١، موسكاتى الحضارات السامية القديمة ص٧١، ويلز: معالم تاريخ الإنسانية مجلد ٢ ك٤ ص٢٩٩. طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات ج١ ص٥٥٠، د/ عبدالعزيز صالح: مصر والعراق ص٥٦٢-٥٦٢.

وقد تهيأ لليهود أيضا في فترة السبي البابلي الإطلاع على الثقافات القديمة الأخرى بجانب الثقافة البابلية إذ أن الشرق الأدنى في عهد نبوخذ نصر كان كما يقول ول ديورانت كأنه بحر خضم يتلاطم فيه خليط من الآدميين من مختلف الشعوب والأجناس<sup>(١)</sup>.

وفي هذا المناخ الثقافي العالمي بدأ جمع العهد القديم، فأهمية السبي البابلي في التاريخ اليهودي القديم تبرز أكثر ما تبرز في أن العهد القديم الذي ظهر في التاريخ في القرن الرابع أو الخامس ق.م - فيما يقول ويلز - قد جمع شتاته لأول مرة في بابل - حيث أن الشعب اليهودي في أثناء السبي البابلي قد جمع تاريخه بعضه إلى بعض وطور تقاليده ونماها<sup>(٢)</sup>.

ذلك أن اليهود الذين عادوا بعد فترة تزيد على الجيلين إلى أورشليم من بابل أيام الملك (قورش) كانوا شعبًا مختلفًا جد الاختلاف في الروح والمعارف عن أولئك اليهود الذين خرجوا منها مأسورين لأنهم تعلموا الحضارة من البابليين<sup>(٣)</sup>.

والحقيقة المجردة المستخلصة من رواية الكتاب المقدس - وكما يذكرها ويلز أيضًا - هي أن اليهود ذهبوا إلى بابل همجًا وعادوا منها ممدنين وذهبوا وليس لهم أدب مشترك معروف بينهم كافة وعادوا على أورشليم ومعهم الشطر الأكبر من مادة العهد القديم<sup>(٤)</sup>.

---

ومما يذكر عن بنونيدس (آخر ملوك الدولة الكلدانية) أنه كان مولعًا بدراسة الآثار وبذل جهدا كبيرا لإعادة وإحياء أقدم صورة العبادة البابلية.

(١) قصة الحضارة: الجزء الثاني من المجلد الأول ص ٣٠٠، راجع أيضا طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة الجزء الأول ص ٥٨٤.

(٢) موجز تاريخ العالم ص ٨٩، ٩٤، راجع ايضا الأب ديلي: تاريخ شعب العهد القديم ص ١٥٦.

(٣) موجز تاريخ العالم ص ٩٤، معالم تاريخ الإنسانية مجلد ٢ ك ٢٩٨.

(٤) معالم تاريخ الإنسانية مجلد ٢ ك ٤ ص ٢٩٨.

ويرجع ذلك - كما يعتقد معه كثير من الأعلام والثققات - إلى أن اليهود قد اختلطوا بالبابليين في فترة السبي البابلي اختلاطاً عنصرياً وفكرياً عظيماً<sup>(١)</sup>.  
وأصبح الآن من الأمور البديهية لدى العلماء والمؤرخين أن البابليين كان لهم أثر كبير على الديانة اليهودية في أثناء السبي البابلي<sup>(٢)</sup>.

---

(١) المصدر السابق ص ٢٨٢.

(٢) دى بورج: تراث العالم القديم ج ١ ص ٤٤، طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات ج ١ ص ٥٤٨.

## المبحث السادس

### الاضطهاد اليونانى والشتات الهليني

لقد سبق أن أشرت إلى أن اليهود سواء منهم من عادوا إلى أورشليم بعد السبى أو من بقوا فى بابل - عاشوا تحت ظلال الحكم الفارسى، وكان ذلك من عام ٥٣٩ - وهو العام الذى استولى فيه كورش على بابل - إلى عام ٣٣٢ وهو العام الذى استولى فيه الإسكندر الأكبر على فلسطين<sup>(١)</sup>.

وباستيلاء الإسكندر على فلسطين بما فيها بلاد يهوذا يبدأ الحكم اليونانى لليهود أو ما يسمى بالعهد الإغريقى فى التاريخ اليهودى والذى يستمر إلى عام ٦٣ ق.م. هذا وقد ورد أن الإسكندر الأكبر حينما دخل أورشليم استقبل استقبالا حافلا من اليهود فقدم له رئيس الكهنة فروض الطاعة وهتف الشعب له بالدعاء وسرعان ما دانوا له بالخضوع والولاء<sup>(٢)</sup>.

---

(١) استيلاء الإسكندر الأكبر على فلسطين فى عام ٣٣٢ ق.م من الأمور المشهورة والمجمع عليها لدى المؤرخين (راجع على سبيل المثال: أولبرايت: آثار فلسطين ص١٤٣، شاهين مكاريوس: تاريخ الإسرائيليين ص٢٣).

(٢) أشار الفصل الأول من سفر المكابيين الأول إشارة خاطفة إلى الإسكندر المقدونى وفتوحاته ويذكر يوسيفوس اليهودى أنه حين صعد إلى اورشليم استقبله الشعب يتقدمهم الكاهن الأعظم فأكرمهم إكراما زائدا وأبدى احتراما كبيرا للهيكل، وقيل إنه قام بتقديم القرابين لإله اليهود، وقد أطلعته رئيس الكهنة على نبوءات دانيال النبى التى تقول بأن ملكا عظيما سيقضى على دولة الفرس وأخبره بأنه هو الملك المقصود فطرب الإسكندر لذلك وسر به، ولم يلبث أن دان له كل اليهود والسامريين وانتظم كثيرون منهم فى جيشه حتى قيل إنه خصص حيا كاملا لإقامتهم بمدينة الإسكندرية (راجع مكابيين أول ١: ٥-١، شاهين مكاريوس: تاريخ الإسرائيليين ص٣٣-٣٥، زكى شنودة: اليهود =

ولكن بعد موت الإسكندر عام ٣٢٣ ق.م تمزقت إمبراطوريته المترامية الأطراف وتسابق قواده فيما بينهم وطمع كل منهم أن يفوز بأحسن أقسامها، ويهمنها فيما يتعلق بتاريخ اليهود أن نشير على اثنين منهم وهما: بطليموس الذى استولى على مصر وأسس فيها أسرة البطالمة أو البطالسه، وسلوقس الذى استولى على بابل ثم على سورية وأسس فيها أسرة السلوقيين<sup>(١)</sup>.

أما أرض اليهود أو بلاد يهوذا فكانت أولا من نصيب لاوميدون ثم صارت بعد ذلك مثار نزاع عنيف بين البطالمة والسلوقيين<sup>(٢)</sup>.

وقد استمر هذا النزاع وأدى إلى قيام حروب بين الدولتين وتبادل فيها الطرفان النصر والهزيمة كما تعرض فيها اليهود للشدائد والمحن، وربما بسبب تقلب الحكم من دولة لأخرى وربما لأن القوم بطبيعتهم كانوا يندمجون فى الدسائس والمؤامرات<sup>(٣)</sup>.

وبموت الإسكندر الأكبر بدأ ما يسمى بالعصر الهليني أو الهلنستى وهو يطلق

---

= ص ٣٤٩-٣٥٠، محمد عزة دروزة: تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ص ٩٩ قاموس الكتاب المقدس (ص ١٠١).

وإن كان الدكتور مصطفى عبد العليم يذكر أن هذه الرواية تقابل بالفرض من كثير من المؤرخين وخاصة فيما يتعلق بتخصيص حى لليهود بالإسكندرية وقيام الإسكندر بتقديم القرابين لإله اليهود (راجع تحقيق ذلك فى كتابه: اليهود فى مصر فى عصرى البطالمة والرومان ص ٣٠-٣٣).

(١) يذكر المؤرخون أن قواده قد عقدوا مؤتمرا فى بابل بعد موته مباشرة (٢٣٢ ق.م) ليقسموا الإمبراطورية وتسابقوا فى الحصول على أكبر رقعة منها وانطوى هذا التسابق على حروب طويلة دائمة رأس أربع دول: بطليموس على مصر وسلوقس فى بابل وسورية وانتغوس فى آسيا الصغرى، وانتبشر فى مقدونيا، وكان يطليموس أكثر هؤلاء الأربعة ذكاء إلا أن سلوقس كان بالتأكيد أقدرهم، وهذا بلغة دانيال "انكسر القرن العظيم" وطلع عوضا عنه أربعة قرون ومعتبرة نحو رياح السماء الأربع (دانيال ٨ : ٨) (راجع تفاصيل ذلك فى : فيليب حتى: موجز تاريخ الشرق الأدنى ص ٩٣-٩٤، تاريخ سورية ج ٣ ص ٣٥٩، كاترين هنرى: التاريخ فى الكتاب ص ١٠٦، د/ إبراهيم نصحي: تاريخ مصر فى عصر البطالمة الجزء الأول ص ٤٥-٥١).

(٢) كاترين هنرى: التاريخ فى الكتاب ص ١٠٦، زكى شنودة: اليهود ص ٤٣٣.

(٣) محمد عزة دروزة: تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ص ٣٩٤، د/ محمد بيومى مهران: دراسات فى تاريخ اتلشرق الأدنى ج ٨ ص ١١٠٨.

على القرون الثلاثة التي أعقبت موته أو المدة التي نشرت فيها المدنية اليونانية أعلامها في العالم القديم طرا ولا سيما الشرق الذي كان لثقافته تأثير كبير عليها<sup>(١)</sup>.  
ويذكر ول ديورانت أن تاريخ اليهود في هذا العصر يدور حول نزاعين أو كفاحين:

الكفاح الخارجى بين آسية السلوقية ومصر البطالمة للاستيلاء على فلسطين.  
والكفاح الداخلى بين أساليب الحياة الهلنية والحياة العبرية أو الصراع الحقيقى بين الهلنية واليهودية<sup>(٢)</sup>.  
**اليهود تحت حكم البطالمة:**

بدأت علاقة اليهود بالبطالمة منذ أن تطلع بطليموس الأول (٣٢٣-٢٨٢ ق.م) إلى السيطرة على فلسطين ونازع عليها السلوقيين ثم انتصر عليهم إذ قام بغزو سوريا عام ٣٢٠ ق.م واستولى على بلاد اليهود بها فيها أورشليم في عام ٣١٩-٣١٨ ق.م وظلت خاضعة لسلطان البطالمة أكثر من مائة عام (٣١٨-١٩٨)<sup>(٣)</sup>.  
وإن كان قد تخللت هذه الفترة مناوشات بينهم وبين السلوقيين<sup>(٤)</sup>.

ومن المشهور بين المؤرخين أن ملوك البطالمة الثلاثة الأوائل قد أظهروا عطفهم

---

(١) بريستيد: العصور القديمة ص ٤٤٥.

(٢) قصة الحضارة (٨) الجزء الثالث من المجلد الثانى: حياة اليونان ص ٥١ ترجمة محمد بدران/ الطبعة الثالثة ١٩٧٣.

(٣) ول ديورانت: قصة الحضارة (٨) حياة اليونان ص ٥١، د/ مصطفى كمال عبدالمعطي: اليهود في مصر في عصرى البطالمة والرومان ص ٣٣، د/ إبراهيم نصحي: تاريخ مصر في عصر البطالمة ج ١ ص ٧١.

(٤) ظلت بلاد يهوذا خاضعة لسلطان البطالمة من (٣١٨-١٩٨ ق.م) باستثناء فترات متقطعة اضطرت فيها البطالمة إلى الانسحاب منها ثم العودة إليها كما حدث في عام ٣١٢-٣٠٢ ق.م حتى استقر لهم الأمر فيها على حد كبير عام ٣٠١ ق.م ثم في عام ٢١٧ ق.م حاول السلوقيون انتزاعها منهم إلا أنهم تمكنوا من صد هجماتهم وانتصروا عليهم وكان ذلك في موقعة رفح (راجع د/ حتى/ تاريخ سورية ج ١ ص ٢٦٠، د/ إبراهيم نصحي: تاريخ مصر في عصر البطالمة ج ١ ص ١٥٤-١٥٧، مصطفى عبدالمعطي: اليهود في مصر ص ٣٣).

نحو اليهود<sup>(١)</sup>، وإن كان بطليموس الأول - كما قيل - قد عاملهم بقسوة حينما فتح أورشليم ٣١٩ ق.م وأسر منهم مائة ألف يهودى وعاد بهم على مصر، غير أنه لم يلبث أن رضى عنهم ووثق فيهم، واختار منهم لخدمته ثلاثين ألف رجل وعهد إليهم بحراسة القلاع الهامة في مملكته<sup>(٢)</sup>.

أما بطليموس الثانى (٢٨٢-٢٤٦ ق.م) فقد ازداد في عهد توافد اليهود على مصر ووصف بأنه صديق اليهود بسبب ما كلاًهم به من الرعاية أكثر من أى ملك آخر من ملوك البطالمة حتى قيل إنه افتدى أسراهم من ماله الخاص وأجزل الهدايا القيمة لمعبدهم في بيت المقدس<sup>(٣)</sup>.

وأما بطليموس الثالث (٢٤٦-٢٢١ ق.م) فقد أظهر من الحذب عليهم والتسامح معهم أنه منح أحد هياكلهم حق حماية اللاجئين إليه<sup>(٤)</sup> إلا أنه اشتد

---

(١) د/ إبراهيم نصحى: تاريخ مصر في عهد البطالمة الجزء الثانى ص ١٥٩.

(٢) حاول بطليموس في أول الأمر أن يشتري بلاد يهوذا من لاومدون ولما لم يوفق في ذلك استولى عليها عنوة (د/ نصحى ج ١ ص ٧١) ويذكر مؤرخو اليهود أن أورشليم قد تصدت لمقاومة بطليموس فحاصروهم زمنا طويلا حتى تمكن من فتحها في يوم سبت فعامل اليهود بغاية القسوة وأخذ منهم أكثر من مائة ألف أسير إلى مصر (زكى شنودة: اليهود أو الجزء الثامن من موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية ص ١٥٠-١٥١) ويرى المؤرخون أن الرواية اليهودية قد بالغت في عدد هؤلاء الأسرى اليهود الذين جلبهم بطليموس إلى مصر وحرروهم ابنه بطليموس الثانى، ويخرج الأستاذ وسترمان أن عدد الأسرى كان أقل من ذلك بكثير وخاصة أنه لم يبق دليل على أن أحداً من البطالمة الأوائل قد أتيح له أن يأسر مثل هذا العدد الضخم في إحدى حملاته الحربية، وينتهى المؤرخون إلى القول بأن بطليموس الأول قد أتى على مصر بيهود كانوا مزيحاً من الأسرى ومن بعض الأحرار الذين نزحوا إليها أفواجا من تلقاء أنفسهم وبمحض رغبتهم بعد أن استشعروا عطف الملك عليهم ولسوا فيه النواحي الطيبة وما لبثت الحياة الجديدة التى نشطت في مصر أن اجتذبت عناصر جديدة من اليهود سرعان ما انتشروا في كثير من أرجاء البلاد ينعمون بعطف ملوكها (راجع د/ مصطفى عبد العليم: اليهود في مصر ص ٣٣-٣٦، د/ إبراهيم نصحى: تاريخ مصر في عصر البطالمة ج ٢ ص ١٥١-١٥٢).

(٣) د/ إبراهيم نصحى: المصدر السابق ج ٢ ص ١٥٢، زكى شنودة: موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية الجزء الخامس ص ١٣٢، وما يذكر أن الترجمة السبعينية للتوراة قد أنجزت في عهده وتحت رعايته كما سبق.

(٤) د/ إبراهيم نصحى ج ١ ص ١٥٢، ١٦٠.

عليهم فترة وهدهم بالطرد من أرضهم حينما امتنعوا عن دفع الجزية بتحريض من السلوقيين<sup>(١)</sup>.

لكن بطليموس الرابع (٢٢١-٢٠٣ ق.م) نهج سياسة معادية لليهودية ولاقى اليهود على يديه قدرا كبيرا من الاضطهاد إذ أنه زار أورشليم بعد انتصاره على السلوقيين في موقعة رفح عام ٢١٧ ق.م وأبدى رغبته في دخول قدس الأقداس فرفض رئيس الكهنة أن يسمح له بذلك كما تدمر اليهود جميعاً، فعاد على مصر يتأجج غضبا وانتقم من اليهود المقيمين بها شر انتقام وجردهم من جميع امتيازاتهم التي كانوا يتمتعون بها<sup>(٢)</sup>.

هذا وقد انتهى حكم البطالمة لبلاد يهوذا في عهد بطليموس الخامس (٢٠٣-١٨٠ ق.م) وانتقلت إلى حكم السلوقيين كما سنرى.

ومما ينبغي ذكره أن البطالمة كانوا يتبعون سياسة معتلة إزاء اليهود في فلسطين حيث إنهم اكتفوا بفرض الجزية عليهم وتفادوا التدخل بشكل محسوس في شؤونهم الداخلية مفضلين أن يشركوا لهم قدرا كبيرا من الحكم الذاتي تحت سلطان كاهن أورشليم الأكبر<sup>(٣)</sup>.

---

(١) يروى يوسفوس في كتابه تاريخ اليهود في عهد بطليموس الثالث امتنع عن دفع الجزية المفروضة على اليهود في المزد وتكفل بها يوسف رئيس الكهنة وقام بجبايتها من اليهود (راجع د/ فؤاد حسنين على: فلسطين العربية ص٨٤-٨٦، زكى شنودة: اليهود أو الجزء الثامن من الموسوعة ص١٥١، دروزة: تاريخ بنى إسرائيل ص٢٩٦).

(٢) وقد وصف الكتاب المكابي الثالث - الذى وضع في الإسكندرية وباللغة اليونانية زيارة بطليموس الرابع لأورشليم وانتهاكه حرمة المعبد واقتحامه له عنوة، وعرض لانتقامه من يهود مصر وكيف أنه جمعهم وأوثقهم بحبال غليظة وألقى بهم دون تردد في حلقات السباق بالإسكندرية وأطلق عليهم خمسمائة فيل أشربت الخمر من قبل لندسهم، وما حدث بعد ذلك ولمعرفة رأى المحققين من المؤرخين في هذه الرواية وتسليمهم باضطهاد اليهود في عصر بطليموس الرابع (راجع د/ إبراهيم نصحي: تاريخ مصر في عهد البطالمة ج٢ ص١٦٠-١٦٢، د/ مصطفى العليم: اليهود في مصر في عصر البطالمة والرومان ص٣٩-٤٣، د/ فؤاد حسنين على: التوراة الهيروغليفية ص١٩٧-١٩٨، زكى شنودة: موسوعة تاريخ الأقباط ج٨ ص١٥١-١٥٢ ج٥ ص١٤٧).

(٣) ول ديورانت: قصة الحضارة (٨) ص٥٢-٥٢، د/ مصطفى العليم: اليهود في مصر في عصر البطالمة والرومان ص٣٧، ويبدو أنه كان هناك ارتباط بين السياسة التي انتهجها البطالمة في

وكان من أثر هذه السياسة أن بلاد يهوذا قد ازدهرت وعمها الرخاء رغم عبء الزية الثقيل<sup>(١)</sup>.

ولكن على الرغم من هذا التسامح الذى لمسه اليهود من البطالة إلا أنهم واجهوا في عهدهم هجوما من نوع جديد وتعرضت اليهودية على أيديهم لامتحان عسير، وهو ما أشار إليه ول ديورانت - كما سبق - على أنه النزاع الداخلى أو الصراع الحقيقى بين الهلينية واليهودية.

ذلك أن الهلينية<sup>(٢)</sup> بدأت تغزو مدن الشرق وتتغلغل في أعماقه، إذ أن خلفاء الإسكندر حاولوا أن يحققوا ما كان يهدف إليه من توحيد العالم تحت لواء الثقافة اليونانية فأسسوا المدن الإغريقية وشيدوا المباني اليونانية مثل المسارح وساحات الألعاب والحمامات العامة<sup>(٣)</sup>.

---

= فلسطين والسياسة التى ساروا عليها نحو اليهود في مصر بحيث نستطيع القول بصفة عامة أنه كان للبطالة سياسة يهودية تستهدف كسب رضا اليهود في مصر وفي يهوذا بمعاملتهم جميعا برفق وهوداه ليتخذوا من اليهود عضوا لهم في دعم حكمهم وعونا له على تحقيق أهدافهم في سوريا، ومن الجدير بالذكر أن السياسة التى انتهجها البطالة إزاء اليهود كانت شديدة الشبه بالسياسة التى اتبعها الفرس معهم حينما كانوا يحكمون فلسطين (راجع د/ نصحي ج-٢ ص١٦٦، د/ مصطفى عبدالعليم: اليهود في مصر ص٣٦-٣٧).

(١) ول ديورانت: قصة الحضارة (٨) ص٥١، الأب ديلي: تاريخ شعب العهد القديم ص٣٧٨، كان اليهود يؤدون جزية سنوية مقدارها ثمانية آلاف وزنة.

(٢) ينبغى لنا أن نذكر أن الهلينية كانت مظهرا ثقافيا من مظاهر الحياة المدنية لا الحياة الريفية، وكان الطامحون إلى تبوء المراكز الحكومية الهلينية، أو الطامعون في حياة أدبية فكرية يتلقون دروسهم باللغة الإغريقية فكانوا بذلك يحيون الهلينية كذلك فإن الهلينية لم تكن تقتصر على العطاء الفكرى بل إنها كانت تعطى وتأخذ فإن الإغريق الغربيين أخذوا بالديانات الشرقية الغنية بطقوسها وبشعائرها ومعتقداتها الغيبية الغربية فراخوا يتبنون آلهة شرقية ويسبغون عليها صفات إغريقية واسماء إغريقية وهكذا أصبح البعل عند الإغريق زفس، وعند الرومان جوبيتر المشتري كبير الآلهة.

وأصبح تموز أدونيس، هذا ولم تقتصر الهلينية على نواحيها السياسية والثقافية بل كانت تتعداها على نواح اقتصادية فإن الشرق الأدنى تحت تأثير الهلينية كان ينعم بشيء من الوحدة والانسجام (راجع د/ حتى/ موجز تاريخ الشرق الأدنى ص١٠٠-١٠٣).

(٣) كاترين هنرى: البتاريخ في الكتاب ص١٠٦، د/ المسلى: سقوط أورشليم وأهميته العالمية ص٦٤٩-٦٥٠.

وكانت أورشليم بعيدة عن التيار الرئيسى الذى اتجه فيه التأثير الهلينى، ولكن لم يمض قرن على موت الإسكندر حتى تأثرت هى أيضا بالإغراء الهلينية الذى لا مهرب منه فقد كان إغراء ماديا من ناحية<sup>(١)</sup>، ثم إنه إغراء اجتماعى من ناحية أخرى، ذلك أن الهلينية كانت بسبيلها إلى أن تصبح الهواء الذى يتنفسه الناس وهو أخيرا وفوق كل شيء إغراء ثقافى.

ولم يمض زمن طويل حتى عرضت الهلينية مفاتها الاجتماعية والثقافية بل والرياضية جهازا أمام أعين الشباب الطموح فى أورشليم<sup>(٢)</sup>.

فقد أقبل على أورشليم من المدن الأغريقية<sup>(٣)</sup> يونان ويهود يحملون العدوى الهلينية عدوى الفلسفة والفن والأدب والاستمتاع بالجمال واللذة والغناء والرقص والشراب والطعام والألعاب الرياضية والعشيقات والغلمان، فضلا عن السفسطة المرححة التى ترتاب فى جميع القوانين الأخلاقية والتشكك الذى قضى على كل عقيدة فى خوارق الطبيعة<sup>(٤)</sup>.

ولم يستطع الشباب اليهودى أن يقاوم هذه المغريات التى تدعو إلى الاستمتاع باللذة وعلى التحرر من آلاف القيود الضيقة الثقيلة.

فبدأوا يسخرون من الكهنة ويصفونهم بأنهم طلاب مال كما يصفون الأتقياء من أتباعهم بأنهم حمقى ينحدرون إلى الشيخوخة من غير أن يعرفوا الملاذ والترف ومباهج الحياة<sup>(٥)</sup>.

---

(١) ففى وسعك أن تتصور التجار الإغريق يقدون ويروحون فى أسواق أورشليم والفرص المتاحة لكل يهودى حاذق مغامر فى المراكز التجارية الهلينية العظيمة التى تنتشر الآن من حوله، لا سيما فى الإسكندرية أعظمها شأنًا وهى لم تكن تبعد إلا رحلة أيام قليلة إلى الجنوب (د/ المسلى: سقوط أورشليم ص ٦٥٠).

(٢) د/ المسلى: المصدر السابق.

(٣) كان يحيط ببلاد يهوذا حلقة من المستعمرات والمدن الإغريقية منها السامرة وبنوبوليس وغزة عسقلان ومشق وغيرها، وكانت تقوم فى كل واحدة من هذه المدن نظم ومؤسسات يونانية وهياكل للآلهة والآلهات اليونانية ومدارس ومجامع علمية مدارس وساحات للألعاب الرياضية ألعاب يشترك فيها الناس وهم عراة (قصة الحضارة (٨) ص ٥٣).

(٤) المصدر السابق ص ٥٣، كاترين هنرى: التاريخ فى الكتاب ص ١٣٠.

(٥) ول ديورانت: المصدر السابق (٨) ص ٥٣، د/ المسلى: سقوط أورشليم ص ٦٤٩-٦٥٠.

ولكن بريق الهلينية لم يخطف أبصار الشباب فحسب بل انضم إليهم في هذا أغنياء اليهود لأنهم كانوا يستطيعون أن يستجيبوا لداعى الغواية، وأحس اليهود الذين كانوا يطلبون المناصب من الموظفين اليونان بأن من حسن السياسة أن يتكلموا اللغة اليونانية وأن يعيشوا كما يعيش اليونان بل أن يقولوا بضع كلمات طيبة في حق الآلهة اليونانية<sup>(١)</sup>.

ودارت الدوائر على اليهود الذين كانوا حتى ذلك الحين في موقف يتيح لهم على الأقل أن يحتقروا تفكير هؤلاء الغزاة الوثنيين، فقد وجدوا أنفسهم يتعرضون للتهكم الخفيف من هؤلاء الغزاة ينظرون إليهم نظرتهم إلى أبناء عمومة ريفيين يجب أن تبذل الجهود لإخراجهم من تفكيرهم الجافي<sup>(٢)</sup>.

وهكذا أدخل الغزاة اليونان في حياة اليهود كل ما في الحضارة الأبيقورية من أسباب اللهو والغواية<sup>(٣)</sup>.

وكما يقول ج. أ. سمت "إن العالم الوثنى لم يعد يضرب شواطئ يهوذا ذلك الضرب الذى قرع أسماء أشعيا، لم يعد يلطمه في غضب وصخب كما تلطم أمواج البحر الهائج شاطئ فلسطين الوعر، بل أخذ يداعبه الآن بموسيقى الحرية والمغامرة والثروة والسعادة الحرة التى لا حدود لها"<sup>(٤)</sup>.

هذا وقد استمر تأثير الهلينية يتسلل إلى اليهودية بهذا التغلغل السلمى في عهد البطالمة حتى انتقلت بلاد يهوذا إلى السلوقيين الذين اندفعوا في فرض الهيمنة على اليهود بالقوة وأرغموهم على ممارسة العبادات اليونانية بالتنكيل والاضطهاد.

**اليهود تحت حكم السلوقيين (١٩٨-٦٣ ق.م).**

ظلت بلاد يهوذا تابعة للبطالمة في مصر حتى عام ١٩٨ ق.م حين أوقع أنتيو

(١) د/ المسلى: سقوط أورشليم وأهميته العالمية ص-٦٥٠، ول ديوانت: المصدر السابق (٨) ص-٥٣-٥٤.

(٢) سقوط أورشليم ص-٦٥٠.

(٣) ول ديوانت قصة الحضارة (٨) ٥٣.

(٤) نقلا عن د/ المسلى: سقوط أورشليم وأهميته العالمية ص-٦٥٠ المجلد الثالث من تاريخ العالم نشر جون هامرتون.

خوس الثالث (٢٢٣-١٨٧ ق.م) ملك السلوقيين هزيمة ساحقة بالملك بطليموس الخامس (٢٠٣-١٨٠ ق.م) وضم البلاد إلى الإمبراطورية السلوقية<sup>(١)</sup>.

وكان اليهود قد ملوا حكم البطالمة فأعانوا انتيوخوس ورحبوا باستيلائه على أورشليم وتحريرهم من حكامهم فاستتب له الأمر في النهاية، وكان ملكا قويا طموحا، وظل مسيطر عليها حتى مات مقتولا عام ١٨٧ ق.م<sup>(٢)</sup>.

وبوقوع فلسطين في أيدي السلوقيين انفتحت صفحة جديدة من تاريخ يهود أورشليم إذ زاد الضغط عليهم لاعتناق طريق الحياة اليونانية وكذلك الدين اليوناني<sup>(٣)</sup>، فقد كانوا طغاة لم يعرفوا التسامح الذى سار عليه البطالسه فأرادوا أن يفرضوا الثقافة اليونانية على اليهود قهرا وإرغاما ويجعلوها طريق الحياة دون العقائد اليهودية<sup>(٤)</sup>.

وكان انطيوخوس الثالث (٢٢٣-١٨٧ ق.م) قد اضطهد بعض اليهود الذين ظلوا يناصرون البطالمة ففروا على مصر وأقاموا بها، ثم أخذوا يدسون دسائسهم فى اليهود الباقين فى اليهودية ويحركونهم ضد السلوقيين، واستجاب بعضهم فعلاً لهذه الدسائس، فأثار ذلك ابنه سلوقس الرابع (١٨٧-١٧٥ ق.م) الذى تولى من بعده وجعله يشتد عليهم قمعا وتدميرا، ثم جعل السلوقيين يبذلون جهودهم فى تحويل اليهود عن التقاليد الدينية والاجتماعية على التقاليد اليونانية<sup>(٥)</sup>.

---

(١) ول ديورانت: قصة الحضارة (٨) ص ٥٤، د/ فيليب حتى: تاريخ سورية ج ١ ص ٢٦٥، د/ مصطفى عبد العليم: اليهود فى مصر ص ٣٦ ولعرفة المزيد من التفاصيل والمعلومات عن الأمبراطورية السلوقية وحضارتها وملوكها راجع قصة الحضارة (٨) ص ٣٦-٥٠، د/ حتى: موجز تاريخ الشرق الأدنى ص ٩٤-٩٦ تاريخ سورية ج ١ ص ٢٦٤.

(٢) قصة الحضارة (٨) ص ٥٤، د/ فيليب حتى: تاريخ سورية ج ١ ص ٢٦٥، د/ مصطفى عبد العليم: اليهود فى مصر ص ٣٦ ولعرفة المزيد من التفاصيل والمعلومات عن الأمبراطورية السلوقية وحضارتها وملوكها راجع قصة الحضارة (٨) ص ٣٦-٥٠، د/ حتى: موجز تاريخ الشرق الأدنى ص ٩٤-٩٦ تاريخ سورية ج ١ ص ٢٦٤.

(٣) الأدب ديل: تاريخ شعب العهد القديم ص ٣٨٨، حبيب سعيد/ أديان العالم ص ٢٠٣.  
(٤) كاترين هنرى: التاريخ فى الكتاب ص ١٠٧، محمد عزة دروزة: تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ص ٢٩٦، راجع أيضاً د/ محمد بيومى مهران: دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ج ٨ ص ١١٠.

(٥) محمد عزة دروزة: تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ص ٢٩٦، راجع أيضاً د/ محمد بيومى مهران: دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ج ٨ ص ١١٠.

وقد أدى ذلك إلى خلق جماعة من اليهود الموالين لليونانية أو الهلينية وكانوا من أغنياء اليهود وعظمائهم لذلك كونوا حزبا قويا انضم إليه جاسون<sup>(١)</sup> ابن الحاخام الأكبر وكان له مكانة مرموقة بين رجال الدين فكسب هذا الحزب نفرا من الحاخامين الذين يدعون أنهم من سلالة هارون، وتطرف أعضاؤه في عدائهم لخصومهم وولائهم للهلينية فتكروا للشرعية اليهودية وعادات اليهود وتقاليدهم وذهبوا ففكروا في القضاء على الشريعة ليسهل عليهم كسب اليهود بعد ذلك إلى الهلينية ثقافة وجنسًا وعقيدة أعنى تحويل اليهود إلى يونانيين وثنيين<sup>(٢)</sup>.

وعارض هذا الحزب أو ذلك الاتجاه عدد من اليهود المحافظين وكونوا الجماعة المعروفة في التاريخ اليهودي العقائدي "الحسيديم"<sup>(٣)</sup> واحتدم النزاع بين اليهود المؤمنين بالآراء والمذاهب اليونانية الهلينية وبين المحافظين<sup>(٤)</sup>.

حتى إذا ما تولى انطيوخوس الرابع (١٧٥-١٦٤ ق.م) ملك السلوقيين أخذ يناصر الحزب الأول واعتمد على أعضائه في فرض الثقافة اليونانية على بلاد اليهود وصبغها بالصبغة الهلينية<sup>(٥)</sup>.

---

(١) يسمى في سفر المكابيين الأول: "ياسون" ٤: ٧، ١٦.

(٢) د/ فؤاد حسنين على: فلسطين العربية ص ٨٩.

(٣) كلمة "الحسيديم" معناها "القدس" وهي تطلق على المؤمنين الأوفياء الغيورين على الشريعة والمتدينين الصادقين والوطنيين المتحمسين وكانوا لا يفكرون في تخوير أى شيء ديني لإيمانهم الشديد بقديسيته (المصدر السابق ص ٨٩، سقوط أورشليم ص ٦٥١، برتراندرسل: الفلسفة الكاثوليكية ص ٢٢).

(٤) د/ فؤاد حسنين على: فلسطين العربية ص ٨٩-٩٠.

(٥) كان انطيوخوس الرابع يتبع السياسة التقليدية للأسرة السلوقية التي اعتبرت الهلينية هي القاسم المشترك الذي سيلتقى عنده جميع رعاياهم، وكان مما يقلق باله اختلاف الطقوس الدينية الشرقية في بلاد آسيا اليونانية وقوة هذه الطقوس فأراد أن يوحد امبراطوريته المتعددة اللغات والأجناس باخضاعها كلها لشرعية واحدة وعقيدة واحدة (راجع د/ حتى: تاريخ سورية ج١ ص ٢٦٧، ول ديورانت: قصة الحضارة (٨ ص ٥٥) ومما قاله عنه ول ديورانت "أنه كان أجدر أفراد الأسرة السلوقية بالاهتمام وأكثرهم أخطاء ذلك أنه كان مزيجاً من الذكاء والجنون والجاذبية وقد حكم مملكته حكماً حازماً رغم ما ارتكبه من مئات المظالم والسخافات، وإذا أردت المزيد من هذه الأقوال راجع قصة الحضارة (٨ ص ٣٩-٤٠).

جاء في سفر المكابيين الأول "وخرجت منهم"<sup>(١)</sup> جرثومة أثيمة هي انطيوخس الشهير ابن انطيوخس الملك" وفي تلك الأيام خرج من إسرائيل أبناء منافقون فأغروا كثيرين قائلين هلم ن عقد عهدا مع الأمم حولنا فأنا منذ انفصلنا عنهم لحقتنا شرور كثيرة فحسن الكلام في عيونهم وبادر نفر من الشعب، وذهبوا إلى الملك فأطلق لهم أن يصنعوا بحسب أحكام الأمم، فابتنوا مدرسة في أورشليم على حسب سنن الأمم وعملوا لهم غلفا وارتدوا عن العهد المقدس ومازحوا الأمم وباعوا أنفسهم لصنيع الشر<sup>(٢)</sup>.

ويذكر سفر المكابيين الثاني أن زعيمهم "ياسون" طمع في رئاسة الكهنوت الأعظم فوفد على الملك ووعدته بثلاث مائة وستين قنطاراً فضة وبثمانين قنطاراً من دخل آخر وما عدا ذلك ضمن له مائة وخمسين قنطاراً غيرها، إن خرص له سلطة الملك في إقامة مدرسة للتروض<sup>(٣)</sup> وموضع للغلمان وأن يكتب أهل أورشليم في رعية إنطاكية<sup>(٤)</sup>.

فأجابه الملك إلى ذلك فتقلد الرئاسة وما لبث أن صرف شعبه إلى عادات الأمم وأبطل رسوم الشريعة وأدخل ما يخالفها من السنن وبادر فأقام مدرسة التروض تحت القلعة وساق نخبة الغلمان فجعلهم تحت القبة<sup>(٥)</sup>.

فتمكن الميل إلى عادات اليونان والتخلق بأخلاق الأجانب بشدة فجور ياسون

---

(١) أى من خلفاء الاسكندر (السلوقيين).

(٢) سفر المكابيين الأول ١: ١١-١٦.

(٣) كانت مدرسة التروض عبارة عن ناد من الأندية التي كان اليونان يسمونها "الجمنازيوم" وكانوا يتلقون فيها العلوم العقلية والرياضية البدنية ويلقنون فيها عوائد وتقاليدهم (راجع تاريخ سورية ج ١ ص ٢٦٧، زكى شنودة: اليهود ص ١٥٣).

(٤) معناها أن يصبح اليهود انطيوخين أو مقدونيين فلم يكن لديهم أدنى اعتراض على ذلك لأنهم طمحو إلى هذا الشرف لينالوا المساواة مع اليونانيين (د/ حتى: تاريخ سورية ج ١ ص ٢٦٧، د/ فؤاد حسنين: فلسطين عربية ص ٩٠).

(٥) أى يلبسون قبعات يونانية وهم يمارسون الألعاب الرياضية (برترند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية: الكتاب الثانى: الفلسفة الكاثوليكية ص ٢٢ ترجمة د/ زكى نجيب محمود، راجعة المرحوم د/ أحمد أمين الطبعة الثانية ١٩٦٨ لجنة التأليف والترجمة والنشر).

الذى هو كافر لا كاهن أعظم، حتى إن الكهنة لم يعودوا يحرصون على خدمة المذبح واستهانوا بالهيكل وأهمّلوا الذبائح لينالوا حظاً في جوائز الملعب المحرقة بعد المباراة في رمى المطاث، وكانوا يستخفون بمآثر آبائهم ويتنافسون بمفاخر اليونان<sup>(١)</sup>.

ويذكر ول ديورانت أن شباب اليهود والكهنة قد اشتركوا في الألعاب الرياضية وهم عراة وبلغ من تحمس بعضهم للهلينية أن تحملوا جراحات في أجسامهم ليعالجوا بها بعض العيوب - كالتحтан مثلاً - التى قد تكشف عن أصلهم<sup>(٢)</sup>.

وقد حدث أن أقيمت حفلة مصارعة في صور حضرها الملك لمناسبة عيد الإله الوثنى هيراكليوس فأرسل ياسون بعض شبان اليهود ومعهم ثمن ذبيحة ليقدموها لذلك الإله في معبد صور<sup>(٣)</sup> ولكن على الرغم مما بذله ياسون في نشر الهلينية إلا أن أنطيوخوس سرعان ماعين منلوس بدلاً منه بعد أن وعد بأكثر مما وعده به سلفه ونفحه برشوة أكبر<sup>(٤)</sup>.

ولم يكن منلاوس هذا على شيء مما يليق بالكهنوت الأعظم وإنما كانت له أخلاق غاشم عنيف وأحقاد وحش ضار<sup>(٥)</sup>، ولما عجز عن الوفاء بما وعد به الملك من المال لجأ إلى سرقة بعض آنية الهيكل الذهبية وبيعها وقدم للملك ثمنها<sup>(٦)</sup>، واستقر في الرئاسة بشره ذوى الأحكام وكان لا يزداد إلا خبثاً ولم يزل لأهل وطنه كميناً مهلكاً<sup>(٧)</sup>.

---

(١) سفر المكايين الثانى ٧: ٤-١٥.

(٢) قصة الحضارة (٨) ص ٥٥ راجع أيضاً الأب ديل: تاريخ شعب العهد القديم ص ٣٨٨، د/ فؤاد حسنين على: فلسطين العربية ص ٩٠.

(٣) راجع سفر المكايين الثانى ١٨: ٤-٢٠.

(٤) ول ديورانت: قصة الحضارة (٨) ص ٥٥ وورد في سفر المكايين الثانى أن "ياسون كان قد وجه منلاوس هذا إلى الملك ليقدم له أموالاً فتزلف إلى الملك وأطراً عظيمة سلطانه وأحال الكهنوت الأعظم إلى نفسه بأن زاد ثلاث مائة قنطار فضة على ما أعطى ياسون (٢٣: ٤-٢٤).

(٥) سفر المكايين الثانى ٢٥: ٤.

(٦) المصدر السابق: ٢٧: ٤، ٣٢، ٣٩.

(٧) المصدر السابق ٤: ٥٠.

ثم حدث أن قام انطيوخس الرابع بغزو مصر وهزم ملكها بطليموس السادس (١٨٠-١٤٥ ق.م)، وتمكن من محاصرة الإسكندرية، لكنه لم يلبث أن بلغته أنباء اضطرابات وقلاقل أثارها اليهود في أورشليم<sup>(١)</sup> وأشاعوا أنه قد مات في مصر، فعاد الملك إلى أورشليم واتهم اليهود بالخيانة له التآمر عليه<sup>(٢)</sup> فتنمر في قلبه - حسب تعبير المكابيين - وبدأ في عام ١٦٨ ق.م - فيما يرى د/ المسلى - أول اضطهاد ديني كبير سجله التاريخ<sup>(٣)</sup>.

فقد دخل أورشليم بجيش كثيف - كما يقول سفر المكابيين - وأمر الجنود أن يقتلوا كل من صادفوه دون رحمة ويذبحوا المختبئين في البيوت، فطفقوا يهلكون الشباب والشيوخ ويبيدون الرجال والنساء والأولاد ويذبحون العذارى والأطفال، فهلك ثمانون ألف نفس في ثلاثة أيام منهم أربعون ألف في المعركة وبيع منهم عدد ليس بأقل من القتلى<sup>(٤)</sup>.

ولم يكتف بذلك بل اجتراً ودخل الهيكل الذي هو أقدس موضع في الأرض كلها وكان دليله منلاوس الخائن للشريعة والوطن، وأخذ الآنية المقدسة بيديه الدنستين مع ما أهدته ملوك الأجانب لزينة الموضع وبهائه وكرامته وقبض عليها بيديه النجستين ومضى<sup>(٥)</sup>.

ويصف سفر المكابيين الأول تلك الأحداث بقوله "أكثر من القتل وتكلم بتجبر عظيم، فكانت مناحة عظيمة في إسرائيل في كل أرضهم، وانتحب الرؤساء والشيوخ وخارت العذارى الفتیان وتغير جمال النساء، وكل عروس اتخذت مرثاة والجالسة في الحجلة عقدت مناحة، فارتجت الأرض على سكانها وجميع آل يعقوب لبسوا الخزي"<sup>(٦)</sup>.

(١) راجع تفاصيل هذه الغزوة: د/ إبراهيم نصحي: تاريخ مصر في عصر البطالمة ج ١ ص ٢٠٦-٢٠٩

(٢) سفر المكابيين الثاني ٥: ١١-١.

(٣) سقوط أورشليم وأهميته العالمية ص-٦٥٠ المجلد الثالث من كتاب تاريخ العالم نشر جون هامرتون.

(٤) سفر المكابيين الأول ١: ٢٢، سفر المكابيين الثاني ٥: ١٢-١٤.

(٥) المكابيين الثاني ٥: ١٥-١٦ وراجع أيضاً مكابيين أول ١: ٢٣-٢٤.

(٦) المكابيين الأول ١: ٢٥-٢٩.

ويستطرد السفر في عرض اضطهاد أنطيوخوس فيذكر أنه بعد ذلك "أرسل رئيس الجزية إلى مدن يهوذا فوفد على أورشليم بجيش كثيف وخاطبهم خطاب سلام مكرًا فوثقوا به، ثم هجم على المدينة فجأة وضربها ضربة عظيمة وأهلك شعبًا كثيرًا من إسرائيل وسلب غنائم المدينة وأحرقها بالنار وهدم بيوتها وأسوارها من حولها، وسبوا النساء والأولاد واستولوا على المواشى وبنوا على مدينة داود سورًا عظيمًا متينًا وبروجًا حصينة فصارت قلعة لهم، وجعلوا هناك أمة أثيمة رجالًا منافقين فتحصنوا فيها ووضعوا فيها السلاح والطعام وجمعوا غنائم أورشليم ووضعوها هناك فصاروا لهم شركًا مهلكًا، وكان مكننا للمقدس وشيطانًا خبيثًا لإسرائيل على الدوام فسفكوا الدم الزكى حول المقدس ونجسوا المقدس فهرب أهل أورشليم بسببهم فأمتست مساكن غرباء وصارت غربة للمولودين فيها وأبنائها هجروها، ورد مقدسها خرابًا كالقفر وحولت أعيادها مناحاوسبوتها عارا وعزها اضمحلًا، وعلى قدر مجدها أكثر هوانها ورفعتها وآلت إلى مناحة"<sup>(١)</sup>.

ويواصل السفر فيذكر كيف أن أنطيوخوس حاول فرض الثقافة الهلينية على جميع مملكته ومنها بلاد يهوذا فيقول "وكتب الملك أنطيوخوس إلى مملكته كلها بأن يكونوا جميعهم شعبًا ويتركوا كل واحد سنته فأذعنت الأمم بأسرها لكلام الملك وكثيرون من إسرائيل ارتضوا دينه وذبحوا للأصنام ودنسوا السبت، فقد أنفذ الملك كتبًا على أيدي رسل إلى أورشليم ومدن يهوذا أن يتبعوا سنن الأجانب في الأرض ويمتنعوا عن المحرقات والذبيحة والسكيب في المقدس ويدنسوا السبت والأعياد وينجسوا المقدس والقديسين ويبتنوا مذابح وهياكل ومعابد للأصنام ويذبحوا الخنازير والحيوانات النجسة، ويتركوا بنيتهم خلفًا ويقذروا أنفسهم بكل نجاسة ورجس حتى ينسوا الشريعة ويغيروا جميع الأحكام ومن لا يعمل بمقتضى كلام الملك يقتل، وكتب بمثل هذا الكلام كله إلى مملكته بأسرها وأقام رقباء على جميع الشعب، وأمر مدائن يهوذا بأن يذبحوا في كل مدينة، فانضم إليهم كثيرون من الشعب كل من نبذ

---

(١) مكابيين أول ١ : ٣٠-٤٢، وراجع مكابيين ثان: ٥ : ٢٤-٢٦.

الشرية فصنعوا الشر فى الأرض وألجأوا إسرائيل إلى المختبات فى كل موضع فروا إليه<sup>(١)</sup>.

وذكر سفر المكابيين الثانى أن الملك أرسل شيخا أثينا ليضطر اليهود أن يرددوا عن شريعة آبائهم ولا يتبعوا شريعة الله وليدنس هيكل أورشليم ويجعله على اسم زوس الأولمبى ويجعل هيكل جرزيم على اسم زوس مؤوى الغرباء لأن أهل الموضع كانوا غرباء، فاشتد انفجار الشر وعظم على الجماهير وامتلاء الهيكل عسهرًا وفسوقًا، وأخذ الأمم يفسقون بالمبؤنين والنساء فى الدور المقدسة ويدخلون إليها ما لا يحل، وكان المذبح مغطى بالمحارم التى نهت الشريعة عنها، ولم يكن لأحد أن يعيد السبت ولا يحفظ أعياد الآباء، ولا يعترف بأنه يهودى أصلا، وكانوا كل شهر يوم مولد الملك يساقون قسرا للتضحية، وفى عيد ديوتيسيون يضطرون إلى الطواف إجلالا له وعليهم أكاليل من اللباب، وصدر أمر إلى المدن اليونانية المجاورة بإجراء البطالة أن يلزموا بمثل ذلك وبالتضحية<sup>(٢)</sup>.

وأصدر الملك أوامر أن من أبى أن يتخذ السنن اليونانية يقتل فذاق اليهود بذلك أمر البلاء، وأن كل من وجد عنده سفر من العهد أو اتبع الشريعة فإنه مقتول بأمر الملك، ولذلك فما وجد الجنود من أسفار الشريعة مزقوه وأحرقوه بالنار، والنساء اللواتى ختن أولادهن قتلوهن بمقتضى الأمر وعلقوا الأطفال فى أعناقهن ونهبوا بيوتهن وقتلوا الذين ختنوهم، ولجأ قوم إلى مغاور كانت بالقرب منهم لإقامة السبت سرا فوشى بهم إلى فيلبس (الحاكم) فأحرقهم بالنار وهم لا يجترئون أن يدافعوا عن أنفسهم إجلالا لهذا اليوم العظيم<sup>(٣)</sup>.

وزاد الاضطهاد شدة على مر الزمن ذلك أنه - كما يقول ول ديورانت - "يوجد دائما فى كل مجتمع أقلية فطرت على الابتهاج إذا أذن لها بالاضطهاد ولأنها ترى فى هذا الاضطهاد انطلاقا من قيود الحضارة وكان عملاء انطيوخوس من هذه الأقلية

(١) سفر المكابيين الأول ١ : ٤٣-٥٦.

(٢) سفر المكابيين الثانى ٦ : ٨١.

(٣) مكابيين أول ١ : ٥٩-٦٥.

مكابيين ثان ٦ : ٩-١١.

فإنهم بعد أن قضوا على المظاهر اليهودية في أورشليم انطلقوا انطلاق الهب يبحثون عن هذه المظاهر في المدائن والقرى وكانوا أينما حلوا يخبرون الأهلىن بين الموت والاشتراك فى العبادات الهللىنة<sup>(١)</sup>.

وهكذا - كما رأىنا من وصف سفرى المكابىن - أصدر انطىوخوس الرابى أوامره بفرض الثقافة الهللىنة على بلاد يهوذا فرضا جبرىا وإرغام اليهود جمىعا على الدخول فى الديانة اليونانىة والارتداد عن دىانتهم ارتدادا تاما، وكما رأىنا أيضا فإن أغلب اليهود قد امتثلوا لأوامر الملك وارتدوا عن دىانتهم وتخلوا عن أعيادهم واعتنقوا الديانة اليونانىة وقربوا لأهتها ومارسوا طقوسها الوثنىة.

### الشتات الهللىنى:

لقد سبق أن أشرت إلى أن كثيرا من اليهود الذىن سبوا على بابل آثروا الإقامة بها ولم يفضلوا العودة إلى فلسطين فى العصر الفارسى فأطلق عليهم "يهود الشتات" أو "الدىاسبورا".

وكذلك فى العصر الهلستى فإن كثيرا من اليهود كانوا يقيمون خارج بلاد يهوذا وسط الوثنىين إما بمحض إرادتهم وإما فرارا من اضطهاد انطىوكوس الرابى فأطلق عليهم أيضا بالشتات الهللىنى<sup>(٢)</sup>

وإذا كان الشتات الأول سسمى بالشتات البابلى فإن الشتات فى العصر اليونانى أو الهلنستى سسمى بالشتات الهللىنى<sup>(٣)</sup>.

وقد كان تشتت اليهود وانتشارهم على نطاق واسع فى الدول الهلنستىة ظاهرة عامة تميزت بها حياتهم فى ذلك العصر وتميزوا أيضا بازدياد تقلبهم للاضطباغ بالروح الهللىنىة<sup>(٤)</sup>.

(١) قصة الحضارة (٨) ص ٥٦.

(٢) د/ مصطفى عبد العلىم : اليهود فى مصر ص ٢٩، د/ إبراهيم نصحى: تاريخ مصر فى عصر البطالمىة ج ٢ ص ١٦٢.

(٣) د/ حمال حمدان: اليهود انثروبولوجىا ص ١٧، ١٤.

(٤) برتراندرسل: تاريخ الفلسفة الغربىة : الفلسفة الكاثولىكىة ص ٢٤، د مصطفى عبد العلىم اليهود فى مصر ص ٢٩.

ويذكر المؤرخون أن عدد يهود الشتات قد زاد كثيرا عن عدد اليهود الذين بقوا في يهوذا فقد بلغ عددهم مثلا في سوريا ومصر حسب تقدير المؤرخين أضعاف عدد اليهود في يهوذا<sup>(١)</sup>.

، إذ كانت مصر تحت حكم البطالمة من بين الدول الهلنستية التي استوعبت عددا كبيرا من يهود الشتات الذين هاجروا من يهوذا وانتشوا على نطاق واسع في تلك الدول، ولم تكن مصر لتخلوا تماما من اليهود في العصر البطلمي.

ومن المرجح أنه كانت لا تزال بها بقايا بعض الجاليات اليهودية من العصر الفارسي وإن هجرة اليهود الجديدة دفعتها وبعثت فيها الحياة من جديد وعلى أى حال إن اليهود قد انتشروا من أرجاء مصر وقامت لهم بها جاليات منظمة كان من أبرزها جالية الإسكندرية دون شك<sup>(٢)</sup>.

وكان أفراد هذه الجالية يسكنون في حى من أحيائها، وكان عددهم يفوق عدد اليهود في أورشليم ذاتها<sup>(٣)</sup>، وقد نقلوا إلى تلك المدينة التي أصبحت في وقت وجيز من أهم مدن العالم الهلنستى نشاطهم الفكرى والاقتصادى مما جعل منها مركزا من أهم مراكز اليهودية حتى إنه كان لا يقل خطورة وأهمية عن أورشليم أو بابل يوم أن كانت من أهم تلك المراكز في العالم القديم<sup>(٤)</sup>.

وأصبح اليهود الاسكندريون أكثر اصطباغا بالصبغة الهيلينية من اليهود الذين أقاموا في بلاد اليهودية ذاتها ونسوا اللغة العبرية حتى لقد بات من الضروري أن تترجم التوراة إلى اليونانية<sup>(٥)</sup>، فأخرجوا ليهود العالم المنتشرين في كثير

---

(١) د/ مصطفى عبد العليم: المصدر السابق.

(٢) راجع ويلز معالم تاريخ الإنسانية مجلد ٢ ك ٤٤ ص ٤٦٤، د/ مصطفى عبد العليم: اليهود في مصر ص ٢٨، د/ إبراهيم نصحي: تاريخ مصر في عصر البطالمة ج ٢ ص ١٥٤-١٥٥.

(٣) ويلز: معالم تاريخ الإنسانية ملج ٢ ك ٤٦٤، ويذكر الدكتور جمال حمدان أن ثلث سكان الإسكندرية البطلمية كانوا من اليهود كما يقال إنهم قاموا فيها بثورة قتلوا فيها ٢٢٠ ألفا من السكان الأصليين (اليهود انثروبولوجيا ص ١٧).

(٤) د/ مصطفى عبد العليم: اليهود في مصر ص ٢٩، د/ عبد الحميد زايد: القدس الخالدة ص ١٠٩.

(٥) برتراندرسل: الفلسفة الكاثوليكية ص ٣٢، د/ إبراهيم نصحي ج ٢ ص ١٥٩-١٦٠.

من أنحائه الترجمة الإغريقية للتوراة أو بعبارة أخرى التوراة في صورتها الإغريقية<sup>(١)</sup>.

ومن الإسكندرية انساب اليهود إلى كثير من أقطار البحر الأبيض المتوسط وأصبحوا عنصرا هاما من عناصر سكانها<sup>(٢)</sup>.

وبجانب مصر فقد وجد اليهود في سوريا وآسيا الصغرى وكان ثمة مركزان رئيسيان لتمرکز اليهود: البلقان، وسواحل البحر الأسود<sup>(٣)</sup>.

وكذلك كان يوجد عدد كبير من اليهود في إنطاكية عاصمة السلوقيين، وعاشوا في جالية منظمة وكان بوسع من شاء من أفرادها أن يصبح أهلاً للحصول على حقوق المواطنين كاملة إذا ما تخلى عن عقيدته وقام بعبادة آلهة المدينة<sup>(٤)</sup>.

وهكذا فإن يهود الشتات أو يهود المهجر - كما أطلق عليهم شارل جنيير - قد انتشروا في أنحاء كثيرة من العالم الهلنستي والبيزنطي وتشعبوا بالثقافة اليونانية وتأثروا بالعقائد الوثنية، وأدى ذلك إلى تشرب بنى إسرائيل بالكثير من الأفكار الخارجية خلال القرون الثلاثة السابقة للتاريخ المسيحي<sup>(٥)</sup>.

---

(١) برتر اندرسل: المصدر السابق ص ٣٢-٣٣، د/ مصطفى عبد العليم: اليهود في مصر ص ٢٩.

(٢) د/ مصطفى عبد العليم: اليهود في مصر ص ٢٩.

(٣) د/ جمال حمدان: اليهود انثروبولوجيا ص ١٧.

(٤) راجع الحديث بالتفصيل عن مدينة إنطاكية وعن الجالية اليهودية بها: جلانفيل داوئي: إنطاكية القديمة ص ٤٥ وما بعدها، ص ٨٤-٨٧، ١٦٩ ترجمة د/ إبراهيم نصحي الناشر: دار نهضة مصر ١٩٦٧.

(٥) راجع شال جنيير: المسيحية نشأتها وتطورها ص ٤٠، ٤١، ٧٦-٧٧، ١٠٤-١٠٥ ترجمة د/ عبد الحليم محمود دار المعارف بمصر ١٩٨١.

## المبحث السابع

### الاضطهاد الرومانى والشتات الأخير

سبق أن أشرت إلى أن اليهود قاموا بالثورة المكابية كرد فعل للاضطهاد العنيف الذى تعرضوا له على يد انطيوخوس الرابع، وأنهم تمتعوا بنوع من الاستقلال الذاتى فى ما يسمى بالعصر المكابى (١٦٧ - ٣٧ ق م) تحت أسرة المكابين أو الحشمونائيين وهو الاسم الذى غلب عليهم<sup>(١)</sup>.

ولم يكن انتصار المكابين معناه - كما يقول د/ المسلمي "أن كل يهودى قد أشرب من التحمس للشرعية قدراً يوازى تحمسه للحرب، كما أنه لم يغير شيئاً من ثقافة العالم بوجه عام فما زالت أورشليم جزيرة فى محيط الهيلينية لا أكثر وما زال الإغراء باعتباره المبالغة فى حفظ الناموس ضرباً من الظلامية، والاصطباغ بالصبغة الهيلينية إلى حد ما، ما زال هذا الإغراء يحمل فى مثابرة وقوة كما كان يعمل من قبل"<sup>(٢)</sup>.

ويذكر ول ديورانت أن الهسمونيين أنفسهم قد فقدوا غيرتهم الدينية واستسلموا شيئاً فشيئاً لما كان فى العناصر التى ضموها إلى البلاد من نزعة هلنسية<sup>(٣)</sup>، وكان من سوء الطالع أن تتأجج نار الحزبية فى عهد ملوكهم الكهنة، وتندلع ألسنتها بين الحين

(١) وسمون أيضاً "الهسمونيين".

(٢) سقوط أورشليم ص ٦٥١.

(٣) قصة الحضارة (١١) الجزء الثالث من المجلد الثالث: قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية ص ١٦١ - ترجمة محمد بدران الطبعة الثالثة ١٩٧٣.

في صورة اضطهاد مروع وتقتيل بشع، وأن تصبح هذه الحزبية منذ ذلك الحين أشد العوامل فتكا في مأساة السياسة اليهودية<sup>(١)</sup>.

وكان الرومان في عصر المكابيين قد ظهروا كقوة كبرى مرهوبة الجانب في العالم القديم فلما سمع يهوذا المكابي بمدى قدرتهم وسرعة مناصرتهم لأتباعهم استنجد بهم من السلوقيين بعد أن تودد إليهم وعرض عليهم أن يكون اليهود من جملة مناصريهم وأوليائهم فقبل الرومان ولاء اليهود وحذروا ملك السلوقيين من التعرض لهم<sup>(٢)</sup>.

وحين اشتعلت الحرب الاهلية بين اليهود في عهد اسكندر حنايوس (١٠٤ - ٧٨ ق.م) وظهر على مسرح الحوادث حزبان يهوديان ينتمى أولهما إلى هر كانوس الثاني وثانيهما إلى أخية ارستوبولس وأخذا يتنازعان السلطة بعد موت أمهم اسكندرة، واستمر الصراع بينهما فترة طويلة استجار بعدها كل منهما واستنجد بالقائد الروماني بومبي وكانت روما - حينذاك - قد بلغت ذروتها في الجبروت والعظمة، وأصبحت معنية أشد العناية بشئون مصر والشرق الأدنى القديم فزحف الجيش الروماني بقيادة بومبي على أورشليم عام ٦٣ ق.م، وبعد أن حاصرها مدة ثلاثة شهور تمكن من فتحها بعد معركة دامية ذبح فيها من اليهود اثني عشر ألفاً، وانتهك حرمة المعبد بدخوله قدس الأقداس ونصب هر كانوس الثاني حاكماً اعظم وحاكماً بالاسم على بلاد اليهود، ولكنه كان في حراسة أنتباتر الأدومي الذي أعانه في هذه الحرب، وبذلك خضع اليهود للرومان بعد أن قضوا على استقلالهم وأصبحت اليهودية جزءاً من ولاية سورية الرومانية<sup>(٣)</sup>.

---

(١) سقوط أورشليم ص ٦٥١ المجلد الثالث من تاريخ العالم نشر جون هامرتون، راجع تفاصيل الصراع الحزبي وأثاره على السياسة اليهودية في نفس المصدر ص ٦٥١-٦٥٢.

(٢) راجع تفاصيل ذلك في سفر المكابيين الفصل الثامن كله وفيه إبراز لمدى ما وصل إليه الرومان من شوكة واقتدار ونص لعقد المناصرة والولاء الذي وقعه الجانبان وكيف أن يهوذا المكابي قد أرسل إلى الرومان مبعوثين من قبله ليقدموا لهم فروض الولاء.

(٣) راجع تفاصيل هذه الأحداث: د/ المسلمي: سقوط أورشليم وأهميته العالمية ص ٦٥٢-٦٥٣، كاترين هنري: التاريخ في الكتاب ص ١٣١-١٣٢ ول ديورانت: قصة الحضارة (١١) ص ١٦١ - ١٦٢ أولبرايت: آثار فلسطين ص ٢٠١٤.

وقد ازدحم النصف الثاني من القرن الأول ق. م بالأحداث الخطيرة التي صبحت انتقال روما من النظام الجمهورى إلى النظام الإمبراطورى<sup>(١)</sup>.

وكان انتيپاتر الأدومى أثناء ذلك يتحين الفرص وهو محتجب خلف هركانوس الثانى فالتمس الخطوة عند الرومان، واستطاع فى النهاية أن يقدم ليوليوس قيصر (الإمبراطور الرومانى) من الخدمات أثناء الحملة التى قادها ضد بطليموس ملك مصر عام ٤٧ ق.م - ما حمل قيصر على مكافأته بجباية فلسطين كلها وعلى منح اليهود امتيازات كثيرة، ولكن اليهود كانوا يكرهونه رغم هذه الامتيازات<sup>(٢)</sup>.

على أن مقتله عام ٤٣ ق.م أسلمهم إلى قبضة هيرودوس ثانى أولاده - والذى سُمى بهيرود الكبير - بعد نضال هائل انتهى بفرض الحصار من جديد على أورشليم والاستيلاء عليها<sup>(٣)</sup>.

---

(١) د/ المسلمى: سقوط اورشليم ص ٦٥٣ راجع تفاصيل هذه الأحداث فى كتاب م.ب تشارلز وورث: الأمبراطورية الرومانية ص ١٠-١٧، راجع أيضا الفصل الأول من الباب الأول من هذا البحث.

(٢) د/ المسلمى: سقوط اورشليم ص ٦٥٣ قصو الحضارة (١١) ص ١٦٣، وكان اليهود يكرهون أنتيپاتر ويكرهون ابنه هيرود الكبير نظرا لأصلها الأدومى، وكان المكابيون بقيادة هركانوس الأول قد اضطهدوا الأدوميين وأكروههم على الاختتان واعتناق اليهودية عام ١٢٦ ق.م، ولعلهم عوقبوا على ذلك بتولى هيرودس الأول أو هيرود الكبير على اليهودية عام ٣٧ ق.م (راجع مكابيين أول ٢٩:٤ / ٥:٥٦، د/ حتى تاريخ سورية ج ١ ص ٣٦٩، سقوط أورشليم ص ٦٥٢، قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٠٨، أولبرايت: آثار فلسطين ص ١٥١).

(٣) حين تولى أنتيپاتر حاكما على اليهودية قام بتعيين ولده البكر فاسيل حاكما على أورشليم وابنه الثانى هيرود حاكما على الجليل فلما مات بالسنة عام ٤٣ ق.م تقاسم الاثنان سلطته وكان قسم هيرود هو الأكبر، وفى هذا الوقت زحف - البارثيون على بلاد اليهود وعينوا أنتيجوس آخر ملوك الهسمونيين ملكا على البلاد بعد أن استولوا على أورشليم وهرب هيرود إلى روما مستغيثا بالرومان فقرروا تنصيبه ملكا على بلاد اليهود، وتجهز بجيش كثيف من الرومان والمرتقة والسوريين والأودميين وطرد البارثيين من البلاد وأرسل أنتيجوس إلى انطونيوس ليعده وذبح جميع زعماء اليهود الذين عاونوه (الآب ديل: تاريخ شعب الهد القديم ص ٤٠٠-٤٠١. ول ديورانت: قصة الحضارة (١١) ص ١٦٢-١٦٣، قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٠٨-١٠٠٩، د/ عبد الحميد زايد القدس الخالدة ص ١١٩-١٢٠).

ثم تهيأت له أسباب الحكم على بلاد اليهود وتم تعيينه ملكاً عليها من قبل الرومان عام ٣٧ ق.م واستمر على خضوعه وانقياده لهم حتى مات عام ٤ ق.م<sup>(١)</sup>.

ولكن اليهود لم يروا فيه ملكاً حقيقياً لبنى إسرائيل فقد ظل في نظرهم أდومياً يتربع على عرض داود، والحق - فيما يقول د؟ المسلى - أنه كان لرعيته العذر كل العذر في مقتته بصرف النظر عن أصله الأدومي، فقد روعتهم كثيراً هذه الوحشية التي عامل بها خصومه - المعروفين منهم والمظنونين - على الرغم من أن الناس كانوا قد ألغوا الفظائع والأهوال وأفرعتهم كثرة ما اقترفه من التقتيل والإعدام بين أفراد أسرته (ومنهم زوجته وولدها) بسبب ما كان يخالجه من شكوك في نواياهم<sup>(٢)</sup> وكان

---

(١) ول ديورانت: قصة الحضارة (١١) ص ١٦٣-١٦٥، أولبرايت: آثار فلسطين ص ١٤٩، دي بورج: تراث العالم القديم. ج ١ ص ١٠٥.

(٢) اصطبط عهد هيرودس كله بالدماء وبأشعث مذابح القتل التي شهدتها التاريخ إذ أنه اكتشف مؤامرات حيكت ضده فقبض على المشتركين فيها وعذبهم وقتلهم ولم يكتف بقتلهم وحدهم بل قتل أسرهم كلها في بعض الأحيان وأطلق عيونه بين الشعب وتخفى ليتجسس بنفسه على رعاياه فكان يعاقبهم على كل كلمة يشتم منها رائحة العداء له، فقد قتل أعضاء مجلس السند ريم جميعاً حين صارحوه بكراهيتهم له وذبح عدداً كبيراً من شيوخ اليهود وكهنتهم الذين بدرت منهم أقل بادرة من المعارضة لحكمه، ولم يسلم من بطشه حتى أهل بيته وأقرب الأقربين إليه فقتل زوجته وعدداً من أولاده وزوج أخته، وكان مغرماً بإبادة أعداد كبيرة من الناس بالجملة فقتل مائة من تلاميذ الفريسيين مع اثنين من زعمائهم، وحين بلغه نبأ ميلاد المسيح في بيت لحم وعلم أنه سيكون ملكاً على اليهود أمر بقتل كل أطفال المدينة من ابن سنتين فأقل فذهب ضحية هذه المذبحة عدة آلاف من الأطفال الأبرياء وحين اقترب من الموت - وكان موقناً بأن اليهود سيفرحون بموته - أصدر أمره بدعوة شيوخ أكبر العائلات في بلاد اليهودية كلها إلى أريحا ثم أغلق عليهم ملعب الخيل وطلب إلى أخته سالومي أن تأمر الجنود بذبحهم جميعاً في اللحظة التي يموت هو فيها، وهكذا اتسم عهد هذا الطاغية بأشعث صور الشراسة والوحشية والتعطش إلى الدماء والتفنى في أساليب القتل بالخنق والشنق والحرق وتمزيق الجسم إلى نصفين، وانتزاع الاعترافات بتعذيبات لا مثيل لبشاعتها، كما اتسمت طبيعته بالشر والضعف والحقد والرغبة العامة في التنكيل بكل من يحيطون به والتمثيل بهم والانتقام منهم حتى أن سفراء اليهود اشتكوه لدى قيصر قائلين: "إن الذين بقوا أحياء أثناء حكمه كانوا أنعس من الذين أصابهم بطشه" راجع د/ المسلمي: سقوط أورشليم ص ٦٥٣، ول ديورانت: قصة الحضارة (١١) ص ١٦٨-١٦٩، زكى شنوده: اليهود ص ١٩٧-١٩٨، قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٠٩، الأب ديلي: تاريخ شعب العهد القديم ص ٤٠٢.

أكثر ما أسخطهم عليه هذا الاحتقار المقنع الذى كانت تنطوى عليه يهوديته الزائفة<sup>(١)</sup>.

وقد جر منصب رئاسة الكهنة إلى الحضيض يخلعه على الأشرار المفسدين ممن يختارهم على هواه<sup>(٢)</sup>، بالإضافة إلى أنه رغم تهوده إلا أنه لم يكن مؤمناً باليهودية عن عقيدة وإنما كان فى طويته هيلينيا كافرا<sup>(٣)</sup> فقد أظهر ميوله الحقيقية مع الهلينية بأن بنى مدنا جديدة فى فلسطين على غرار المدن الاغريقية وتشيده المعابد الوثنية فيها<sup>(٤)</sup>.

وأنشأ فى أورشليم داراً فخمة للتمثيل ومدرجا وزينها بتمائيل يونانية أثارت دهشة اليهود وغضبهم بعريها، كما أثار غضبهم عرى المصارعين فى الألعاب الرياضية<sup>(٥)</sup>.

وبلغ من شدة خضوعه للرومان والعمل بكل وسيلة على إرضائهم والتقرب إليهم أن أقام هياكل وثنية لعبادة الإمبراطور الرومانى فى أورشليم ذاتها ووضع على باب الهيكل تمثالا ضخما من الذهب للنشر الذى هو شعار الدولة الرومانية، فاعتبر اليهود ذلك النسر صنما وثنيا<sup>(٦)</sup>.

وقد شاد لنفسه قصراً أقامه على الطراز اليونانى وملاه بالذهب والرخام

---

(١) سقوط أورشليم ص ٦٥٣.

(٢) المصدر السابق ص ٦٥٣، زكى شنوده: اليهود ص ٤٠٢.

(٣) سقوط أورشليم ص ٦٥٣، برتراندرسل: الفلسفة الكاثوليكية ص ٣١، ول ديورانت: قصة الحضارة (١١) ص ١٦٥.

(٤) من أمثال هذه المدن قيصرية فيلبس التى أصبحت ميناء فلسطين الرومانية وسماها قيصرية تكريماً لمولاة أو غسطنس قيصر (راجع الحديث عنها د/ حتى: موجز تاريخ الشرق الأدنى ص ١١٣، قاموس الكتاب المقدس ص ٧٥٥-٧٥٦).

(٥) سقوط أورشليم ص ٦٥٣، قصة الحضارة (١١) ص ١٦٦.

(٦) قصة الحضارة (١١) ص ١٦٦، راجع الوصف الكامل لعمارة هذا القصر وغيره من القصور التى أقامها فى أورشليم: ط/ عبد الحميد زايد: القدس الخالدة ص ١٢١-١٢٢.

والآثاث الفخم الثمين وأحاطه بحدائق واسعة محتذا في ذلك حذو أسياده الرومان<sup>(١)</sup>، وصدم مشاعر الشعب حين أعلن أن الهيكل الذى شاده زوبابل منذ خمسة قرون كان ضيقا وأنه يعتزم أن يهدمه ويقيم في مكانه هيكلاً أوسع منه<sup>(٢)</sup>، وصدم مشاعر الشعب حين أعلن أن الهيكل الذى شاده زوبابل منذ خمسة قرون كان ضيقاً وأنه يعتزم أن يهدمه ويقيم في مكانه هيكلاً أوسع منه<sup>(٣)</sup>، ولم يبال باحتجاج الأهلين ومخاوفهم وحقق رغبته بأن أقام المعبد الفخم - الذى سيدمره تيطس عام ٧٠م كما سنرى - على الطراز الهيلينى ووضع عليه النسر الذهبى الكبير الذى أشرت إليه أنفا والذى تحدى به اليهود<sup>(٤)</sup>.

وجدير بالذكر أن هذا الهيكل هو الذى كان يعلم فيه السيد المسيح<sup>(٥)</sup>.

وقد اتضح لليهود أن هيرودس يريد أن يكون معبود العالم اليونانى لا ملكا لهم فحسب ومن أجل هذا كان انتصار الروح الهلينية على الروح العبرانية في شخص حاكمهم نذيراً لهم بكارثة مدلهمة لا تقل عما حل بهم من الاضطهاد على يد أنطيوخوس الرابع<sup>(٦)</sup>.

فلا عجب بعد ذلك أن اغتبط اليهود بما رافق مرضه وموته عام ٤ ق.م من

---

(١) سقوط أورشليم ص ٦٥٣، قصة الحضارة (١١) ص ١٦٦.

(٢) قصة الحضارة (١١) ص ١٦٦، راجع الوصف الكامل لعمارة هذا القصر وغيره من القصور التى أقامها في أورشليم: د/ عبد الحميد زايد: القدس الخالدة ص ١٢١-١٢٢.

(٣) يذكر د/ المسلى أن هيرودس شرع في عام ٢٠ ق.م في بناء هيكل جديد يحل محل هيكل زربابل وكان قد تهدم أثناء القتال قبل ذلك بسبعة عشر عاماً فأزيلت كل المباني غير القريبة من التل وشيد فوق هذه البقعة الفسيحة هيكل لم تر أورشليم له نظيراً في الفخامة والروعة (سقوط أورشليم ص ٦٥٤).

(٤) قصة الحضارة (١١) ص ١٦٦-١٦٨، برتراندرسل الفلسفة الكاثوليكية ص ٣١، راجع التفاصيل الكاملة لهذا المعبد والأبحاث الأثرية التى دارت حوله: د/ عبد الحميد زايد: القدس الخالدة ص ١٢٣-١٣٦، قاموس الكتاب المقدس ص ١٠١٤-١٠١٥.

(٥) د/ فيليب حتى: موجز تاريخ الشرق الأدنى ص ١١٣.

(٦) ول ديورانت: قصة الحضارة (١١) ص ١٦٨.

عذاب نفسى وبدنى أليم<sup>(١)</sup> حتى لقد قالوا عنه "إنه تسلل إلى العرش تسلل الثعلب  
وحكم حكم النمر ومات ميتة الكلب"<sup>(٢)</sup>.

وكان هيرود قد أوصى قبل وفاته بأن تقسيم مملكته بين أبنائه الثلاثة الباقين  
أحياء<sup>(٣)</sup>، فتولى أرخيلائوس على اليهود وهيرودس أنتيباس على الجليل<sup>(٤)</sup> وفيلبس  
على الإقليم الشرقى المعروف باسم بتانيا<sup>(٥)</sup> وقد تابع الثلاثة سياسة أبيهم في  
التزلف إلى الرومان والانبهار بوثنيتهم<sup>(٦)</sup>.

غير أن أغسطس قيصر لم يلبث أن استجاب لشكوى اليهود بالغاء الملكية في بلاد  
اليهود على أثر فتن يهودية ومنازعات عائلية وخلع أرخيلائوس عام ٦ ق.م.  
وجعل اليهودية ولاية رومانية من الدرجة الثانية بأن عين عليها حاكما رومانيا  
مسئولا أمام وإلى سوريا الرومانية<sup>(٧)</sup> ودام هذا النوع من الحكم (فيما عدا فترة  
الثلاث سنوات ٤١-٤٤م عندما حكم هيرود أغربا الأول اليهودية كملك<sup>(٨)</sup>)

(١) سقوط أروشلیم ص ٦٥٣، أصيب هيرودس في أواخر أيامه بداء الاستسقاء والقروح والحمى  
والتشنج والنفس الكريه الرائحة حتى لقد أقدم قبل موته بخمسة أيام على محاولة للانتحار خلاصا  
من الأوجاع الرهيبة التى تتابته وظل هكذا فريسة العذاب الشنيع حتى زهقت روحه أخيراً وهو  
كاره للجميع مكروه من الجميع (قصة الحضارة (١١) ص ١٦٩، زكى شنودة لليهود: ص ١٩٨).

(٢) ول ديورانت: قصة الحضارة (١١) ص ١٦٩.

(٣) قصة الحضارة (١١) ص ١٧٥، ١٩٨.

(٤) هو الذى عاصر يوحنا المعمدان (راجع قاموس الكتاب المقدس ص ١٠١١).

(٥) وهى المناطق الواقعة شمال شرقى بحر الخليل وتشمل ايطورية وتراخونيس (زكى شنودة لليهود:  
ص ٢٠٣) ..

(٦) راجع زكى شنودة: اليهود أو الجزء الثامن من موسوعة تاريخ الأقباط ص ١٩٨-٢٠٣.

(٧) راجع ول ديورانت: قصة الحضارة (١١) ص ١٨٤، الأب ديل: تاريخ شعب العهد القديم ص  
٤١٣ دى بروج: تراث العالم القديم ج ١ ص ١٠٥، د/ المسلى: سقوط أروشلیم ص ٦٥٣، وكان  
الحاكم الرومانى فى عهد المسيح عليه السلام يسمى بيلاطس.

(٨) تولى الامبراطور تيربوس حكم الرومان بعد أغسطس ونعمت البلاد المضطربة بفترة صغيرة من  
السلام فلما جلس كلجولا على العرش أراد أن يجعل عبادة الأمبراطور ديناً يوحد به أجزاء  
الامبراطورية المختلفة فأمر أن تشمل كل العبادات قربانا يقرب لصورته وأصدر تعليماته إلى  
الموظفين فى اورشلیم أن يضعوا تمثاله فى الهيكل وكان اليهود فى عهد أغسطس وتيربوس قد خطوا  
نصف الریق إلى ترضية الأباطرة بأن كانوا يضحون بيهوه باسم الامبراطور ولكنهم عارضوا =

حتى الثورة العظيمة التى حدثت عام ٦٦م وتدمير طيطس لأورشليم فى عام ٧٠م<sup>(١)</sup>.

فعلى أثر المظالم المتتالية والاضطهادات المستمرة التى اقترفها الولاة الرومانيون<sup>(٢)</sup>. اندلعت ثورة اليهود فى أورشليم وقاموا بذبح الحامية الرومانية، وقبل أن يحل شهر سبتمبر من عام ٦٦ ق.م كان الثوار قد استولوا على أورشليم وعلى فلسطين كلها تقريباً<sup>(٣)</sup>.

= أمر كليجولا حتى مات وتلى من بعده الإمبراطور كلوديوس فقام بتعيين حفيد هيرودس الكبير ويسمى هيرود أغريبا أو أجربا - ملكا على فلسطين كلها سنة ٤١ فلما مات عام ٤٤ تم تعيين حاكم من قبل رومة كما كان من قبل (راجع تفاصيل ذلك فى قصة الحضارة (١١) ص ١٨٤-١٨٥).

(١) دى بورج: تراث العالم القديم ج ١ ص ١٠٥.

(٢) يذكر المؤرخون أن حكم الرومان لولاية اليهودية كان أكبر وصمة فى تاريخهم الإدارى - بسبب خطئهم وعدم توفيقهم فى تعيين ولاة عليها لا ترتفع كفايتهم عن الدرجة الثانية وتهبط أخلاقهم إلى الدرجة العاشرة فقد كان معظمهم عاجزين أو سفلة فكرهم اليهود ودأبوا على منا وأنهم، والتمرد عليهم، ولم تكن السنوات الشقية (٦-٧٠م) إلا كابوسا من المظالم القاسية التى لقيت مقاومة صحتها فظائع وحشية، وإذا كان بيلاطس الذى - عاصره المسيح عليه السلام - قد اشتهر اسمه دون غيره من الولاة الرومانيين على يهودا، فإنه رغم قسوته وإثارته لسخط الناس لم يكن من وجهة نظر اليهودية شر هؤلاء الولاة المتعاقبين، إلا أنه لابد من القول بأن اليهود كانوا فى نظر هؤلاء الولاة شعبا مشاكسا صعب المعاشرة صعب الانقياد وليس من السهل إخضاعه وأن المحافظة على الهدوء والنظام فى فلسطين كان عبئا ثقيلا ومطلبا عسيراً.

(راجع الأب ديل: تاريخ شعب العهد القديم ص ٤١٣، د/ المسلمى: سقوط - أورشليم ص ٦٥٣، ول ديورانت: قصة الحضارة (١١) ص ١٨٥، زكى شنودة اليهود ص ٢٠٤-٢٠٦، اندريه ايبار، وجانين ابوبابه: روما وإمبراطوريتها ص ٤١٧-٤١٨ ترجمة يوسف سعد دارم وفريدم. داغر: منشورات عويدات بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٩٦٤، وهو الجزء الثانى من تاريخ الحضارات العام بإشراف موريس كرويه.

(٣) بدأت الثورة بمظاهرة احتجاج مجموعة من شباب اليهود على الوالى الرومانى فلورس الذى تولى ٦٤م وتميز عهده بالمذاج - لكنه فرق المتظاهرين وقبض على زعماء الفتنة ثم قام بقتل ثلاثة آلاف وستائة يهودى فغضب اليهود وقبضوا على الحامية الرومانية ثم قتلوه عن آخرهم وهكذا استحال الفتنة إلى ثورة وخاصة أن الرومان قتلوا فى نفس هذا اليوم - الذى ذبحت فيه أفراد الحامية الرومانية - عشرين ألفا من اليهود فى قيصرية فيلبس وعشرة آلاف يهودى فى دمشق، وتخفى الآلاف من اليهود وقاموا بتدمير عدد كبير من المدن اليونانية فى فلسطين وسوريا وأحرقوا بعضها عن آخرها وقتلوا عدداً كبيراً من أهلها كما قتل منهم أيضاً كثيرون، ويقول يوسفوس اليهودى فى هذا "وكان من المناظر المألوفة فى ذلك الوقت أن ترى المدن مملوءة بجثث الموتى ملقاة فيها دون =

ولكن الرومان على الثورة كان عنيفاً، فقد انتقموا من اليهود شر انتقام إذ أرسلوا إليهم جيشاً ضخماً قوامه ستون ألف مقاتل في عام ٦٧م بقيادة فسباسان فحاصر أورشليم وظل يضيق الخناق على اليهود حتى إذا ما انتخبه الجيش الروماني امبراطوراً للدولة الرومانية في عام ٦٩م ترك ولده تيطس على أبواب أورشليم ليواصل الحصار، وظلت أورشليم تستميت في المقاومة حتى تمكن الجيش الروماني من فتح ثغرات في حصونها واختتمت آلام الجوع والوباء والتقتيل بإضرار النيران في الهيكل فاحترق عن آخره وتم الاستيلاء على اورشليم بعد أن خيم عليها الدمار والخراب في ٩ أغسطس عام ٧٠م<sup>(١)</sup>.

ويذكر المؤرخ يوسيفوس - أن عدد من أسر من اليهود وبيع في أسواق الرقيق بلغ سبعة وتسعين ألفاً وأن عدد من أريد وقتل قد تجاوز المليون.  
لكن هناك من المؤرخين مثل تاستس من يقدرهم بستمئة ألف قتيل فقط<sup>(٢)</sup>.

= أن تدفن وأن نشاهد جثث الشيوخ إلى جانب جثث الأطفال وبينها جثث النساء عارية من كل غطاء لكن الثوار تمكنوا في النهاية من السيطرة على أورشليم، وعلى معظم مدن فلسطين (راجع ول ديورانت: قصة الحضارة (١١) ص ١٨٥-١٨٧، د/ المسلي: سقوط اورشليم ص ٦٥٤ جلانفيل داوئي: انطاكية القديمة ص ١٢٣-١٢٤، تشارلز وورث: الامبراطورية الرومانية ص ٦٨، ٦٧. (١) د/ المسلي: سقوط اورشليم ص ٦٥٥، قصة الحضارة ١٨٧-١٨٨ (١١)، الامبراطورية الرومانية ص ٦٨، انطاكية القديمة ص ١٢٥، روما وامبراطوريتها ص ٤١٩، د/ عبد الحميد زايد القدس الخالدة ص ١٤٦-١٤٧، زكى شنودة: اليهود ص ٢٠٩-٢١١.

وقد قدم يوسيفوس وصفا مفصلاً لهذه الأحداث التي عاصرها فمما يذكر أن الرومان أسروا آلافاً من اليهود وصلبهم وقد بلغوا من الكثرة حدًا لم تتسع معه الأرض لإقامة الصليبان ولم يوجد من الصليبان ما يكفي لأجسامهم وازدحمت شوارع المدينة بجثث الموتى، وكانت جماعات من النهابين تطوف بالموتى وتقطع أجسامهم وتنهب ما لهم ويقال أن ١١٦.٠٠٠ جثة أُلقيت من فوق أسوار أورشليم وأن بعض اليهود بلعوا قطعاً من الذهب وخرجوا خلسة من أورشليم وأن الرومان أو السوريين الذين قبضوا عليهم شقوا بطونهم ليحصلوا على ما ابتلعوه من الذهب. (راجع قصة الحضارة (١١) ص ١٨٨).

(٢) قصة الحضارة (١١) زكى شنودة: اليهود ص ٢١٠.

وقد علق هنتيجتون - وهو جغرافي يهودي لا يخفى تعصبه على هذه الأرقام التي ذكرها يوسيفوس بأنها أرقام مبالغ فيها بلا شك، ويذكر الدكتور جمال حمدان أنه يمكننا نحن أيضًا أن ننبتها ونعدها خرافية تمامًا لأن الأدلة التاريخية وإشارات التوراة نفسها كما رأينا تضع كل تعداد اليهود في حدود تقصر دون ذلك كثيرًا جدًا ولا تتجاوز ثلاثة أرباع المليون كحد أعلى.

وعلى أى حال فإن تيطس عاد إلى روما وقدم هو ووالده بموكب كبير عرضت فيه كنوز الهيكل وأخصها الشمعدان الذهبى ذو السبع شعب، وشريرة اليهود، وسار فى الموكب أسرى اليهود الذين جئ بهم من أورشليم، وحتى يسجل استيلاء على أورشليم أقام قوساً للنصر سمى قوس النصر العظيم لتيطس بنى فى حاسة روما ونقش عليه الكثير من المظاهر<sup>(١)</sup>.

وقيل إن بعض اليهود ظلوا يقاومون فى أماكن متفرقة حتى عام ٧٣م لكن تدمير الهيكل كان فى واقع الأمر نهاية الفتنة ونهاية الدولة اليهودية، وصودرت أملاك الذين اشتركوا فى الثورة وبيعت، وكادت اليهودية أن تخلو من اليهود، وعاش من بقى منهم فى عيش الكفاف وكان أفقر فقرائهم برغم على أن تخلو من اليهود، وعاش من بقى منهم فيها عيش الكفاف وكان أفقر فقرائهم برغم على أن يؤدى للهيكل الوثنى فى رومة نصف الشاقل الذى كان - العبرانيون الصالحون يؤونه فى كل عام لصيانة هيكل أورشليم<sup>(٢)</sup>.

#### ثورة ١٣٥ والشتات الأخير:

وكانت آخر وقعة وقفها اليهود فى التاريخ القديم لاستعادة حريتهم تلك الثورة التى أشعلوها فى عام ١٣٢ بزعماء شمعون باركوشيبا أو باركوخيا<sup>(٣)</sup>.

= ومن الناحية الأخرى فإذا صح ما يقوله البعض من أن عدد من أبيد من اليهود فى هذه الثورة لا يقل عن ٦٠٠ ألف - ولعله أدنى إلى العقل - فذاك انقراض جنسى حقيقى لم يكدر يترك منهم شيئاً (راجع اليهود انثر وبولوجيا ص ١٩-٢٠).

(١) راجع جلانفيك داوونى: انطاكية القديمة ص ١٢٧-١٢٨، د/ عبد الحميد زايد: القدس الخالدة ص ١٤٦-١٤٧.

(٢) راجع قصة الحضارة (١١) الجزء الثالث من المجلد الثالث: قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية/ ترجمة محمد بدران ص ١٨٨-١٨٩ / الطبعة الثالثة ١٩٧٣.

(٣) يذكر المؤرخون أن الرومان بحمقهم وبلاهم هم الذين أشعلوا نار هذه الثورة ذلك أن هديران أعلن فى عام ١٣٠م أنه يعتزم بناء ضريح لجوبيتر فى مكان الهيكل ثم أصدر فى عام ١٣١ مرسوماً بتحريم الختان وتعليم الشريعة اليهودية علناً وكان شمعون بن كوزيبا الذى اطلق عليه باركوخيا قد ادعى أنه المسيح المنتظر فالتفت حوله اليهود وقاموا بتلك الثورة

راجع روما وامبراطوريتها ص ٤١٩، ول ديورانت: قصة الحضارة (١١) ١٩٤٥، د/ عبد الحميد زايد: القدس الخالدة ص ١٥٤.

لكن الرومان تمكنوا من قمعها والقضاء عليها في عام ١٣٥م بعد أن قاموا بمذبحة رهيبية ونهائية قضت على اليهود وختمت على مصيرهم في فلسطين كدولة قومية فعدا تدمير أورشليم والهيكل مرة أخرى صفيت بقايا اليهود بالابادة والهجرة<sup>(١)</sup>.

فقد اتسع شتات اليهود، وفر كثير منهم ورحلوا عن فلسطين وحل محلهم فيها أقوام جديدة من عروق مختلفة<sup>(٢)</sup>.

وبنى الامبراطور هدریان فوق أطلال أورشليم مدينة جديدة عرفت باسم "إيليا كابتوليا"<sup>(٣)</sup> وشيد فيها معبدًا للاله جوبيتر على أنقاض الهيكل القديم وأقام لنفسه تمثالًا لنفسه أمام هذا الهيكل، وأحيا فيها ما يعرف بعبادة الإمبراطور، كما شيد أيضا معبدًا للاله فينوس عند موقع الجلجثة ونصب عنده تمثال الزهرة عشت<sup>(٤)</sup>.

وهكذا ومن هذا التاريخ (١٣٥م) ومن يوم أن جعل هدریان أورشليم قاعًا صفصفاً حكم الرومان على اليهود بالتشتيت النهائي حيث حرّموا عليهم دخول

---

(١) يذكر المؤرخون أن الرومان قد دمروا تسعمائة وخمسة وثلاثين قرية ومدينة في فلسطين وذبحوا خمسمائة وثلاثين ألفاً من اليهود، ويقال إن الذين ماتوا من الجوع والمرض والحريق كانوا أكثر من هذا العدد وخربت بلاد اليهود كلها تقريباً وخر باركوشيا أو باركوخيا نفسه صريعاً وكان الذي يبعوا من اليهود في أسواق الرقيق من الكثرة بحيث انخفض ثمن الواحد منهم حتى ساوى ثمن الحصان واختبأ آلاف منهم في سراديب تحت الأرض مفضلين ذلك على الأسر ولما أحاط بهم الرومان هلكوا من الجوع واحداً بعد واحد وكان الأحياء منهم يأكلون جثث الموتى (راجع قصة الحضارة (١١) ص ١٩٤-١٩٥، الأب دبل: تاريخ شعب العهد القديم ص ٤١٣، د/ جمال حمدان: اليهود انثروبولوجيا ص ١٩.

(٢) روما امبراطوريتها ص ٤١٩.

(٣) واليا هو لقب أسرة الأمبراطور الروماني هدریان أو هدریوناس قبل ارتقائه العرش وكابتولين جوبيتر هو الاله الروماني الرئيس (راجع روما وامبراطوريتها ص ٤١٩، القدس الخالدة ص ١٥٤-١٥٥.

(٤) راجع روما وامبراطوريتها ص ٤١٩، قصة الحضارة (١١) ص ١٩٥، القدس الخالدة ص ١٥٤-١٥٥.

أورشليم نهائياً<sup>(١)</sup>، وطردهم من فلسطين إلى كل أجزاء الإمبراطورية، وانتهت  
علاقتهم بها سياسياً وسكانياً في التاريخ القديم.  
وعرف هذا الشتات أو الخروج بالشتات الأخير<sup>(٢)</sup>.

كذلك فقد قتل الرومان أو طردوا كل اليهود في قبرص، وحتى ندرك ضالة ما  
تبقى من اليهود بعد هذه المذابح والمطاردات يكفي أن نذكر أن عدد يهود الخروج  
الأخير أو الشتات الأخير هذا يقدر بنحو أربعين ألفاً فقط وهو رقم لا بد أن نتذكره  
دائماً لما سيكون له من دلالات جنسية وتاريخية وسياسية عميقة المغزى، أما ما تبقى  
بعد هذا وذاك من يهود فلسطين فشرادم ضئيلة ازدادت تناقصاً فيما بعد بتحول  
بعض أفرادها إلى المسيحية<sup>(٣)</sup>.

هذا وقد ظل اليهود قروناً عدة يعانون آثار النكبة التي حلت بهم بعد ثورة  
١٣٥م - ودخلوا من هذه اللحظة في دور الكهولة وتخلوا عن كل العلوم الدنيوية ما  
عدا الطب، ولم يتلقوا السلوك أو الوحدة إلا من أحبارهم وشعرائهم الصوفيين،  
وكما يقول ول ديورانت: (لقد حرم عليهم أن يدخلوا المدينة المقدسة وأرغموا على

---

(١) استثنى من هذا التحريم يوم واحد سمح فيه الرومان لليهود بالدخول في أورشليم وهو اليوم التاسع  
من أغسطس (الدكتور عبد الحميد زايد أن هذا الاستثناء لم يحدث إلا في القرن الرابع الميلادي، ثم  
الغى التحريم في القرن التالي حينما تدخلت الأمباطورة ايدوسيا أرملة الامبراطور ثيودوسيوس  
الثاني واستطاع اليهود الإقامة مرة أخرى في المدينة (راجع قصة الحضارة (١١) ص ١٩٥، (١٤)  
ص ٤ روما وامبراطوريتها ص ٤١٩، القدس الخالدة ص ١٥٥.

(٢) القدس الخالدة ص ١٥٥، اليهود انثروبولوجيا ص ٢٠ - على أن يهود الشتات الروماني لم يكونوا  
من طريدى فلسطين وحدها وإنما من كل مستعمراتهم السابقة القائمة في العالم الهلنستي فتبعوا  
الرومان إلى إيطاليا وألمانيا حتى الراين - راجع تفاصيل ذلك: د/ جمال حمدان: اليهود انثروبولوجيا  
ص ٢١-٢٢.

(٣) ولعل أهم تلك البقايا: الشامريون الذين تحولوا إلى قوقعة قزمية مغلقة في نابلس (شكيم  
القديم) حتى أنها لا تزيد اليوم عن مائة أو مائتين، وفي بداية القرن التاسع عشر لم يكن عدد  
اليهود في فلسطين كلها ليزيد عن عشرة آلاف نسمة (د/ جمال حمدان: اليهود انثروبولوجيا  
ص ٢٠، - ٢١).

تسليمها للوثنية ثم المسيحية، وشرّدوا في كل ولاية من ولايات الدولة الرومانية وإلى ما وراء حدود تلك الدولة وضربت عليهم الذلة والمسكنة<sup>(١)</sup>.

ولم يجدوا لهم صديقاً حتى بين الفلاسفة والقديسين فابتعدوا عن المناصب العامة وعكفوا على عزلتهم، واستمسكوا أشد الاستمساك بأقوال علمائهم وأخذوا يتأهبون لكتابتها آخر الأمر في تلمود بابل وفلسطين، وهكذا اختبأت اليهودية في ظلمات الخوف والفرع بينما كانت ولیدتها المسيحية تخرج إلى العالم<sup>(٢)</sup>.

---

(١) الملاحظ أن تحولاً جذرياً قد طرأ على اليهود بعد هذه الإبادة الشاملة والتشريد فتاريخهم قبل عصر التوراة وبعده تاريخ دموى حربي كله الغزو والعدوان وتغلب عليهم فيه صفة الشراسة والعنف، أما بعد مجازر الآشوريين والبابليين ثم اليونان والرومان فقد تحول اليهودي فجأة إلى شخصية مستضعفة خائفة تحقيق أغراضها بالوسائل الناعمة والمتلذذة وبالتزلف والمكر والخديعة، ويرجع هتيتجتون هذا التحول في الشخصية الجماعية إلى عمليات الانتخاب التي فرضتها تلك المجازر - حيث بادت فيها العناصر المناضلة المقاومة ولم يبق إلا عناصر الجبن والمسكنة والخبث، ومنها ومن حينها أخذ اليهود طابعهم الذي عرفوا به في كل العالم حتى اليوم.

(د. جمال حمدان: اليهود أنثروبوجيا ص ٢١).

(٢). قصة الحضارة (١١) ص ١٩٥ - ١٩٦، راجع أيضاً قصة الحضارة (١٤) الجزء الثالث من المجلد الرابع عصر الإيمان ص ٤-٩ ترجمة محمد بدران طبعة ١٩٧٥ وفي هذه الصفحات يتحدث المؤلف عن مصير اليهود بعد الشتات الأخيرة وحياتهم بين عام ١٣٥ إلى عام ٥٦٥م.

## المبحث الثامن

### اختلاط اليهود بالشعوب الوثنية وزواجهم بالوثنيات

وهكذا كان اليهود - على مدار تاريخهم القديم - كالكرة تتقاذفها الأقدام وتنتقل من قدم إلى الأخرى، وعاشوا يلقون الصفعات المتتالية والضربات المستمرة ما أن يفيقوا من صفعة حتى تنهال عليهم ضربة أشد.

ولعل عزرا يشير إلى ذلك حين تضرع إلى الرب وقال "اللهم إني أخجل وأخزى من أرفع يا إلهي وجهي نحوك لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤسنا وآثامنا تعاظمت إلى السماء منذ أيام آبائنا نحن في إثم عظيم إلى هذا اليوم ولأجل ذنوبنا قد دفعنا نحن وملوكنا وكهنتنا ليد ملوك الأرض للسياط والسبي والنهب وخزى الوجوه كهذا اليوم"<sup>(١)</sup>.

وكما لاحظنا فإن الإسرائيليين قد اضطهدوا في مصر سنوات طويلة وعانوا فيها ظلم العبودية وبؤس السخرة ثم تاهوا في البرية أربعين سنة يهيمون على وجوههم في ضلال وضياع، وحين دخلوا كنعان ظلوا في نزاع دائم وحرب مستمرة في عهد يشوع، وفي عصر القضاة لاقوا الذل والمرارة على أيدي شعوب فلسطين.

ولم يشعروا بكيانهم إلا في عصر المملكة الموحدة وخاصة في عهدي داود وسليمان عليهما السلام، ولكن سرعان ما تتجرأ المملكة ويدخل عصر الانقسام بنزاعاته الدائمة وصراعاته المستمرة حتى تزول مملكة الشمال ويتم تخريب السامرة

---

(١) عزرا ٩: ٦-٧.

على أيدي الآشوريين ويقع السبي الآشوري ٧٢٢ ق. م وتنتهي مملكة الجنوب ويتم تدمير أورشليم على أيدي البابليين ويحدث السبي البابلي ٥٨٦ ق. م.

وما أن ينعمون بفترة من الهدوء في العصر الفارسي حتى يفجعهم الاضطهاد اليوناني ويبدأ الشتات الهيليني، ثم يحى الاضطهاد الروماني وتحرق اورشليم بهيكلها عام ٧٠ ثم تكون الإبادة الشاملة عام ١٣٥ م ويبدأ الشتات الروماني أو ما يعرف بالشتات الأخير.

فعاش اليهود أغلب حياتهم تحت سياط القهر والاستعباد، وعانوا مزيداً من الذل والاضطهاد، وصحب كل ذلك تحريق وتخريب وتدمير وانتهى كل ذلك أيضاً إلى تيه وضياح، وإلى سبي وتشرد وشتات.

وقد أدى هذا كله إلى زلزلة كيان اليهودى وانهيائه داخلياً وانزاهه نفسياً، مما ساعد على تقبله الأفكار الوثنية واستغراقه الكامل في عقائدهم، وعكوفه الدائم على طقوسها وعباداتها.

ولكن في فترات السلم والهدوء التي تمتع بها اليهود سواء في مصر أو في كنعان وسواء - أكانوا في أورشليم أو بابل تحت رعاية البابليين أو في بابل وأورشليم تحت عناية الفرس أو في فترة البطالة والمكايين فإنهم أيضاً سرعان ما اختلطوا بالشعوب الوثنية واندمجوا فيهم مما أدى إلى الامتزاج بهم ثقافياً والتأثر بهم دينياً.

ففى مصر اتصل الإسرائيليون بالمصريين واختلطوا بهم وتمت بينهم مصاهرة ومجانسة، وبمرور الزمن اختلط الحابل بالنابل وأصبح الابن لأب مصرى وأم إسرائيلية أو لأم مصرية وأب إسرائيلي.

وإذا كان بنو إسرائيل يطلقون على ابن الصرى أنه ابن غريب، فقد كان أكثر الذين ولدو من آباء مصريين يتولون القيادة في بنى إسرائيل لميزة الشجاعة والجرأة -

"وحيث أن التاريخ لم يثبت وجود سجلات لقيد بنى اسرائيل يبين فيها الأصل والفرع، فلا يمكن أن نتبين الخلاصة من بنى إسرائيل الذين لم يختلطوا بالمصريين

حيث أن مدة إقامة بنى إسرائيل بمصر كانت مدة طويلة جداً يتوه فيها الأصل والفرع" (١).

ومن ثم فإن العلماء والمؤرخين ينتهون إلى أن بنى إسرائيل قد ذابوا في البيئة المصرية (٢).

وأما في كنعان فإن الإسرائيليين حين دخلوا وجدوا الكنعانيين على مرحلة متقدمة من الحضارة فنقلوا عنهم وامتزجوا بهم وتشعبوا بثقافتهم وانصهروا فيهم، ولئن لم تستطع الآثار المعاصرة أن تقدم دليلاً مادياً ينهض على وجود ثغرة بين المرحلة الكنعانية والمرحلة الإسرائيلية فليس ذلك إلا لأن الإسرائيليين استطاعوا أن يصطبغوا بصبغة الكنعانيين بمجرد الاتصال بهم (٣).

وكما يقول بريستيد فغنه بعد زمان معين لم يعد التفريق بينهم وبين الكنعانيين الذين ساكنوهم ممكناً، لا في المنظر الخارجى ولا في المهنة ولا في أسلوب المعيشة، لأنهم اقتبسوا الحضارة الكنعانية كما يقتبس المهاجرون إلى أمريكا في هذه الأيام عادات الأميركيين وأخلاقهم وملابسهم (٤).

وقد كانت النتيجة أن أخذ الإسرائيليون يتكلمون لغة الكنعانيين ويتصاهرون معهم، - ونستطيع أن ندرك بسهولة - فيما يقول الأب ديلي - ما يجره عليهم مثل هذا التقرب إلى شعب وثنى من الأخطار (٥).

---

(١) راجع محمد فؤاد الهاشمي: اليهود من الكتب المقدسة ص ٧ وص ٨.

(٢) راجع د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود في التاريخ ص ٤٨٥.

(٣) راجع تفاصيل ذلك: د/ فيليب حنى: تاريخ سورية ج ١ ص ١٩١-٢٢١، موجز تاريخ الشرق الأدنى ص ٨٢ - ٨٤، تاريخ لبنان ص ١١٣، تاريخ العرب ج ١ ص ٥١، ٥٢، غوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص ٤٣-٤٤، دى بورج: تراث العالم القديم ج ١ ص ٤٨، موسكاتي: الحضارة السامية القديمة ص ١٤٠، كاترين هنرى: التاريخ في الكتاب ص ٤٢، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم ج ٣ ص ٢٨٩، حسين حمادة: آثار فلسطين ص ١٢٣.

(٤) العصور القديمة ص ٢٢٢.

(٥) تاريخ شعب العهد القديم ص ١٨٦.

وكان زواج الإسرائيليين بالوثنيات من أخطر الوسائل وأشدّها أثرًا على عقائد اليهود وعبادتهم، ولعل ذلك هو السر في أن الرب قد نهاهم عن فعله وحذرهم من ممارسته أكثر من مرة<sup>(١)</sup>.

لكن الإسرائيليين منذ عهد أبيهم يعقوب لم يكفوا عن الزواج بالوثنيات ففيما عدا الآباء الثلاثة الأوائل (إبراهيم وإسحاق ويعقوب) الذين اتخذوا زوجات آراميات من جنسهم، نجد أسفار العهد القديم زاخرة بعد عهدهم بأخبار زواج اليهود من نساء الأمم الوثنية، فقد تزوج يهوذا بن يعقوب من امرأة كنعانية<sup>(٢)</sup>.

ولم تذكر لنا التوراة شيئًا عن زواج أبناء يعقوب الباقين، بيد أن الراجح - كما يقول الأستاذ زكي شنوده - أن أغلبهم تزوج من نساء يهوديات، كما أن الراجح أن اليهود طوال إقامتهم في مصر لمدة أربعمئة وثلاثين عامًا قد اختلطوا بالمصريين وتزوجوا من بناتهم وعبدوا معبوداتهم<sup>(٣)</sup>.

وحينما حارب بنو إسرائيل المديانيين كانت الوصية لهم من الرب - فيما يزعم كاتب سر العدد اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر

---

(١) ورد في سفر الخروج أن الرب أوصى موسى قائلا: احترز من أن تقطع عهدًا مع سكان - الأرض فيزنون وراء آهتهم ويذبحون لأهتهم فتدعى من ذبيحتهم، وتأخذ من بناتهم لبنيك فتزني بناتهم وراء آهتهم ويجعلن بنيك يزنون وراء آهتهم" (خروج ٣٤: ١٥-١٦). وجاء في سفر التثنية "متى أتى بك الرب الهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتملكها وطرده شعوبًا كثيرة من أمامك الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع شعوب أكثر وأعظم منك، ودفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم فإنك تحرمهم لا تقطع لهم عهدًا ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم بنتك لا تعط لابنه وبنته لا تأخذ لابنك، لأنه يرد أبنك من ورائي فيعبد آلهة أخرى فيحمي غضب الرب عليكم ويهلككم سريعًا".

تثنية ٧: ١-٤

(٢) تكوين ٣٨: ١-٥ وما يذكر أن يوسف قد تزوج مصرية بنت كاهن مصري وأنجب منها ولدين: منسى وأفرايم (راجع تكوين ٤١: ٤٥، ٥٠-٥٢) ومن المعروف أنه نبي معصوم فلا يستبعد أن تكون هذه الزوجة قد أسلمت وحسن اسلامها، لكن الإسرائيليين بعد أن طال عليهم الأمد تزوجوا بمصريات وثنيات انطلاقًا من زواج يوسف عليه السلام بمصرية.

(٣) المجتمع اليهودي ص ١٢-١٣، راجع أيضًا د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود في التاريخ ص ٤٨٥، محمد فؤاد الهاشمي: اليهود من الكتب المقدسة ص ٧-٨.

اقتلوها، لكن جميع الأطفال من النساء اللواتى لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهم لكم حيات"<sup>(١)</sup>.

وانتهى القتال بأن اغتتم الإسرائيليون منهم أعدادًا غفيرة، وكان عدد النساء اللواتى لم يعرفن مضاجعة ذكر اثنتين وثلاثين ألفًا، وهكذا نجد الإسرائيليين قد أسروا هذا - العدد من الوثنيات واتخذوهن زوجات لأنفسهم.

وفي عصر القضاة يذكر السفر أن بنى إسرائيل "سكنوا في وسط الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنهم وعبدوا آلهتهم"<sup>(٢)</sup>.

وحتى القضاة أنفسهم الذين يزعم كتاب الأسفار أن الرب قد أقامهم كانوا يصاهرون الوثنيين"<sup>(٣)</sup>.

وفي عصر الانقسام ازداد التزاوج بين الإسرائيليين والوثنيات وبلغ ذروته في عهد اخآب - حيث ايزابل الفينيقية التى أدخلت عبادة البعل إلى المملكة الشمالية<sup>(٤)</sup> وتزوج يهورام - ملك يهوذا من ابنتها عثليا التى نقلت هذه العبادة إلى المملكة الجنوبية<sup>(٥)</sup>.

---

(١) عدد ٣١: ١٧ - ١٨، ٣٢، وقد وردت في سفر التثنية قاعدة الشريعة بالنسبة لزواج اليهود من السبابا الأجنيبات "راجع سفر التثنية ٢١ : ١٠-١٤، ولمعرفة مزيد من التفاصيل حول زواج اليهود بالأجنيبات وأثره على عقائد وأفكار اليهود راجع موسكاتى: الحضارات السامية القديمة ص ٥٥، ٦٥، قاموس الكتاب المقدس ص ٦٥٦، ٤٦٤، زكى شنودة المجتمع اليهودى ص ١٣-١٤، ثروت الأسبوطى: نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين بنوا إسرائيل ص ١٨٠-١٨١.

(٢) قضاة ٣: ٥-٦.

(٣) فعلى سبيل المثال نجد القاضى يفتاح كان له ثلاثون ابنا وثلاثون ابنة أرسلهن إلى الخارج وأتى من الخارج بثلاثين ابنة لبنيه) قضاة ١٢: ٩) والقاضى شمشون تزوج من بنات الفلسطينيين (قضاة ١٤: ٩-١)، وفي عصر القضاة أيضا تزوج الاسرائيليون من الموآبيات وخاصة المراتين: عرفة وراعوث التى هى جدة داود فيما يزعمون (راجع راعوث ١-٤ / ١٣-١٧).

(٤) ملوك أول ١٦: ٣١-٣٢.

(٥) ملوك ثان ٨: ١٨، ٢٧.

وحين سمح ملك الفرس لليهود بالعودة إلى فلسطين رفض الكثيرون منهم أن يعودوا وآثروا البقاء في بابل لأنهم كانوا قد تزوجوا من بنات البابليين والأشوريين واستقر بهم المقام في بلاد زوجاتهم<sup>(١)</sup>.

وحتى الذين عادوا إلى فلسطين استمروا بعد ذلك يتزوجوه من الوثنيات حتى عاد عليهم نحميا ومن بعده عزرا فهالهما ذلك الأمر الخطير:

يقول نحميا "في تلك الأيام رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات<sup>(٢)</sup> وعمونيات ومؤايبات، ونصف كلام بينهم باللسان الاشدودى ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودى بل بلسان شعب وشعب، فخاصمتهم ولعتهم وضربت منهم أناساً ومنتفت شعورهم واستحلفتهم بالله قائلاً: لا تعطوا بناتكم لبنينهم لا تأخذوا من بناتهم لبنينكم ولا لأنفسكم"<sup>(٣)</sup>.

ويذكر السفر أنه قال لهم "أليس من أجل هؤلاء أخطأ سليمان ملك إسرائيل ولم يكن في الأمم الكثيرة ملك مثله وكان محبوباً إلى إلهه فجعله الله ملكاً على كل إسرائيل هو أيضاً جعلته النساء الأجنبية يخطئ<sup>(٤)</sup> فهل

---

(١) زكى شنودة: المجتمع اليهودى ص ٢٠.

(٢) الاشدوديات: نسبة إلى اشدود وهى احدى مدن فلسطين الخمس فالمقصود بالاشدوديات الفلسطينيات (راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٧٧).

(٣) نحميا ١٣: ٢٣-٢٥.

(٤) نحميا ١٣: ٢٦، ونحميا يشير إلى ما ورد في سفر الملوك الأول "وصاهر سليمان فرعون ملك مصر وأخذ بنت فرعون وأتى بها إلى مدينة داود"<sup>(١: ٣)</sup>.

"وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون مؤايبات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحيتيات، من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل لا تدخلون إليهم وهو لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آهتهم، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكانت له سبع مائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السراى، فأملت نساؤه قلبه وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساء آملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إله قلب داود أبيه، فذهب سليمان وراء عشتور الآلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين... وهكذا فعل لجميع نساءه الغربيات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن" (ملوك أول ١١: ١-٨)

نسكت لكم أن تعملوا كل هذا الشر العظيم بالخيانة ضد إلهنا بمساكنة نساء أجنبيات" (١).

ويذكر أنه طرد أحد أبناء الكهنة فعلوا ذلك وأنه توجه إلى الرب ليذكرهم لأنهم نجسوا الكهنوت وعهد الكهنوت واللاويين وأنه طهرهم من كل غريب (٢).

ويبدو أن أسلوب نحميا لم يكن مجديا وصارمًا في القضاء على الزواج من الأجنيات والحد من خطورته، حيث أننا نجد عزرا يذكر أن الرؤساء قد تقدموا إليه قائلين "لم ينفصل شعب إسرائيل والكهنة واللاويين من شعوب الأراضى حسب رجاستهم من الكنعانيين والحثيين والفرزيين واليوسيين، والعمونيين، والموآبيين، والمصريين والأمويين، لأنهم اتخذوا من بناتهم لأنفسهم ولبنينهم واختلط الزرع المقدس بشعوب الأراضى، وكانت يد الرؤساء والولاة في هذه الخيانة أولاً" (٣).

يقول عزرا "فلما سمعت بهذا الأمر مزقت ثيابي وردائي وנתفت شعر رأسي وذقني وجلست متحيرة، فاجتمع إلى كل من ارتعد من كلام إله إسرائيل من أجل خيانة المسيبين وأنا جلست متحيرة إلى تقدمه المساء" (٤).

ويذكر أنه أخذ يتذلل للرب ويعتذر عما فعله اليهود (٥).

ومما قاله "والآن فماذا نقول يا إلهنا بعد هذا لأننا قد تركنا وصاياك، التي أوصيت

---

= وقد سبق أن بينت بطلان هذا السخف وبراءة سيدنا سليمان مما نسب إليه، لكنه يمكن القول بأن سليمان عليه السلام قد تزوج فعلا من النساء الأجنيات وليس هناك ما يمنع ذلك ولعله قد هداهن إلى الإسلام كما فعل بملكة سبأ حين قالت "وأسلمتُ مع سليمان الله رب العالمين" أو على الأقل لم يتأثر أصلا بوثنيتهم أن هن بقين عليها أو بعضهن.

واننى ارجح أن الكهنة الذين اكثروا من الزواج بالأجنبيات وتأثروا بوثنيتهم أرادوا - أن يبرروا فعلهم هذا فعمدوا إلى الصاقه بالنبي سليمان عليه السلام

(١) نحميا ١٣: ٢٧.

(٢) المصدر السابق ١٣: ١-٢.

(٣) راجع عزرا ٩: ١-٢.

(٤) عزرا ٩: ٣-٤.

(٥) راجع عزرا ٩: ٥-٩.

بها عن يد عبيدك الأنبياء قائلاً أن الأرض التي تدخلون لتمتلكوها هي أرض نجسة بنجاسة شعوب الأراضي برجاساتهم التي ملأوها بها من جهة إلى جهة أخرى بنجاستهم، والآن فلا تعطوا بناتكم لبنينهم ولا تأخذوا بناتهم لبنينكم، ولا تطلبوا سلامتهم وخيرهم إلى الأبد لأجل أعمالنا الرديئة وآثامنا العظيمة، لأنك قد جازيتنا يا إلهنا أقل من آثامنا وأعطينا نجاة كهذه، أفنعود ونتعدى وصاياك ونصاهر شعوب هذه الرجاسات، أما تسخط علينا حتى تفينا فلا تكون بقية ولا نجاة"<sup>(١)</sup>.

### ثم يذكر الإصحاح العاشر من السفر:

"أنه لما صلي عزرا واعترف وهو باك وساقط أمام بيت الله اجتمع إليه من إسرائيل جماعة كثيرة جداً من الرجال والنساء والأولاد لأن الشعب بكى بكاء عظيماً ومما قالوه لعزرا "أنا قد خنا إلهنا واتخذنا نساء غريبة من شعوب الأرض ولكن الآن يوجد رجاء في إسرائيل في هذا، فنقطع الآن عهداً مع إلهنا أن نخرج كل النساء والذين ولدوا منهم حسب مشورة سيدي والذين يخشون وصية إلهنا وليعمل حسب الشريعة، قم فإن عليك الأمر ونحن معك تشجع وافعل"<sup>(٢)</sup>.

فقام عزرا واستخلف رؤساء الكهنة واللاويين وكل إسرائيل أن يعلموا حسب هذا الأمر فحلفوا، ثم قام عزرا من أمام بيت الله وذهب إلى مخدع يهو حاثان بن الياشيب، فانطلق إلى هناك وهو لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماءً لأنه كان ينوح بسبب خيانة أهل السبي، وأطلقوا نداءً في يهوذا وأورشليم إلى جميع بنى السبي لكي يجتمعوا إلى أورشليم، وكل من لا يأتي في ثلاثة أيام حسب مشورة الرؤساء والشيوخ يحرم كل ماله وهو يفرز من جماعة أهل السبي"<sup>(٣)</sup>.

فاجتمع كل رجال يهوذا وبنيامين إلى أورشليم في ثلاثة أيام، وجلس جميع

(١) عزرا ٩: ١٠-١٤.

(٢) عزرا ١٠: ١-٤.

(٣) عزرا ١٠: ٥-٨.

الشعب فى ساحة بيت الله مرتعدين من الأمر ومن الأمطار وقام عزرا الكاهن وقال لهم إنكم قد ختمتم واتخذتم نساء غريبة لتزيدوا على إثم إسرائيل، فاعترفوا الآن للرب إله آبائكم واعملوا مرضاته وانفصلوا عن شعوب الأرض وعن النساء الغريبة.

فأجاب كل الجماعة وقالوا بصوت عظيم كما كلمتنا كذلك نعمل، إلا أن الشعب كثير والوقت وقت أمطار لا طاقة لنا على الوقوف فى الخارج والعمل ليس ليوم واحد أو لاثنتين لأننا قد أكثرنا الذنب فى هذا الأمر.

فليقف رؤسائنا لكل الجماعة وكل الذين فى مدننا قد اتخذوا نساء غريبة فليأتوا فى أوقات معينة ومعهم شيوخ مدينة فمدينة وقضاةهم حتى يترد عنا همو غضب إلهنا من أجل هذا الأمر....<sup>(١)</sup>.

وفعل هكذا بنو السبى وانفصل عزرا الكاهن والرؤساء وجلسوا للفحص عن هذا الأمر وانتهوا من كل الرجال الذين اتخذوا نساء غريبة<sup>(٢)</sup>. فوجد بين بنى الكهنة من اتخذ نساء غريبة<sup>(٣)</sup>.

وهكذا كان من عوامل تأثر اليهودية بالأديان الوثنية اختلاط اليهود بالشعوب والسلالات الوثنية التى أقامت معهم، واتخاذهم زوجات وثنيات كان لهن أثر كبير فى انحرافهم عن شريعة موسى وانسياقهم نحو الوثنية.

---

(١) عزرا ١٠: ٩-٤.

(٢) عزرا ١٠: ١٦-١٧.

ويذكر أن يونثان بن عسائيل ويجزينا أن بنقوة فقط قاما على هذا وساعداهما مشلام وشبيتاي اللاوي. (عزرا ١٠: ١٥).

(٣) يذكر السفر أنهم وجدوا بين الكهنة من اتخذ نساء غريبة، فمن بنى يشوع بن يوصاداق وأخوته معشيا واليغزرويا ريب وجدليا، واعطو أيديهم لإخراج نسائهم مقرين كيش غنم لاجل أثمهم وأخذ السفر يذكر أسماء الذين اتخذوا نساء غريبة وأن منهم نساء قد وضعن بنين (راجع عزرا ١٠: ٤٤-١٨).

obeikandi.com

## الفصل الثاني

فقران و تحريف اليهود للتوراة  
المنزلة على سيرنا موسى عليه السلام  
وانتفاء قرسية أسفار العهد القديم

obeikandi.com

## فقدان اليهود للتوراة المنزلة وتحريفهم لها وانتفاء قدسية أسفار العهد القديم

من العوامل التي ساعدت أيضًا على تأثر اليهودية بالأديان الوثنية فقدان اليهود للتوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام وتحريفهم لها وانتفاء قدسية بقية أسفار العهد القديم.

فلم يكن لديهم حفظ للوحي الصحيح، يصون عقائدهم وشرائعهم ويضمن لهم بقاءها واستمرارها، ويقيهم شر الوثنيات التي تسربت إليهم، واختلطت بأفكارهم وامتزجت بعباداتهم.

ولكى نبرهن على صحة ذلك ينبغي أن نقوم بدراسة سريعة لأسفار العهد القديم بما فيها الأسفار الخمسة التي يزعمون نسبتها إلى سيدنا موسى عليه السلام أو أنها نسبة خاطئة وباطلة، وكذلك الأمر في بقية الأسفار هل هي منسوبة لأصحابها حقًا وهل هي وحي صحيح لم يتغير أو يتبدل أو أنها أهواء كتاب وأفكار بشر؟.

### أولاً: التوراة أو الأسفار الخمسة:

سبق أن ذكرت في المدخل أن التوراة أو الأسفار الخمسة تقع ضمن أسفار العهد القديم وتمثل الجزء الأول والأهم من أجزائه الرئيسية الثلاثة<sup>(١)</sup> أو الأربعة<sup>(٢)</sup> ونريد

(١) حسب النسخة العربية الفلسطينية.

(٢) حسب النسخة اليونانية الإسكندرية.

الآن أن نعرف ما هي صلة هذه الأسفار الخمسة بسيدنا موسى عليه السلام، هل هو الذى كتبها؟ وهل هي التوراة حقاً أو أن التوراة الأصلية شئ آخر فقدت وضاعت.

وكما يقول الدكتور نجيب ميخائيل: أم هي موجودة في ثنايا التوراة التي بين أيدينا ولكنها لا تستطيع أن تطل علينا من بين صفحاتهم الكثيرة إلى جعلتها تضيع في ثنايا هذا السفر الضخم<sup>(١)</sup>.

وأخيراً أين هي التوراة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم على أنها الكتاب السماوى الذى أنزله الله على النبي موسى عليه السلام وبعثه به إلى بنى إسرائيل؟ ثم جاء سيدنا عيسى عليه السلام بالإنجيل مصداً لما بين يديه من هذه التوراة، ثم أتى سيدنا محمد "صلى الله عليه وسلم" خاتم الأنبياء بخاتم الكتب السماوية: القرآن الكريم: مصداً لما بين يديه من الكتاب (توراة موسى ، وإنجيل عيسى) ومهيماً عليه؟.

من الأفضل أن نجيب على هذا السؤال أولاً من واقع نصوص الأسفار التي يؤمن بها اليهود.

### كتابة الأسفار الخمسة:

يشير سفر الخروج إلى أن موسى عليه السلام قد تلقى التوراة في البداية مشافهة من ربه ثم سجلها كتابة بعد أن قرأها على قومه، وأخذ منهم الميثاق على إتباعها إذ يذكر أنه: حدث الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام فأجاب جميع الشعب بصوت واحد وقالوا كل الأقوال التي تكلم بها الرب نفعل، فكتب موسى جميع أقوال الرب.. وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب، فقالوا كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقالوا هوذا دم العهد الذى قطعه الرب معكم على جميع الأقوال<sup>(٢)</sup>.

(١) د. نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم: الجزء الثالث: سوروية صـ ١٦٩.

(٢) راجع خروج ٢٤: ٣-٤، ٦-٨.

بيد أن هذا لم يكن كافياً إذ أن الرب - أراد أن يسجل بيده التعليمات التي يريد للإسرائيليين أن يتبعوها فقال لموسى - فيما يذكر السفر - "أصعد إلىَّ إلى الجبل وكُنْ هناك فأعطيك لوحى الحجارة والشرعة والوصية التى كتبتها لتعليمهم" <sup>(١)</sup>، "ودخل موسى فى وسط السحاب وصعد إلى الجبل، وكان موسى فى الجبل أربعين نهراً وأربعين ليلة" <sup>(٢)</sup> "ثم أعطى (أى الرب) موسى عند فراغه من الكلام معه فى جبل سيناء لوحى الشهادة لوحى حجر مكتوبين بأصبع الله" <sup>(٣)</sup>.

ومن ثم فإن ما كتبه الله هو "لوحى الشهادة" وأما الوصية فلا يشار إليها هنا.

ويذكر السفر أن موسى قد انصرف ونزل من الجبل ولوحا الشهادة فى يده لوحان مكتوبان على جانبيهما، من هنا وهنا كانا مكتوبين، واللوحان هما صنعة الله والكتابة الله منقوشة على اللوحين <sup>(٤)</sup>.

وحينما رجع إلى قومه وجدهم عاكفين على عبادة العجل <sup>(٥)</sup> ويرقصون حوله "فحمى غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسرها أسفل الجبل" <sup>(٦)</sup>، فما كان من الرب - فيما يذكر السفر - إلا أن قال لموسى "انحت لك لوحين من حجر الأولين، فأكتب أنا على اللوحين الكلمات التى كانت على اللوحين الأولين اللذين كسرتهما، وأمره أن يصعد إلى جبل سيناء ولا يصعد معه أحد" <sup>(٧)</sup>، ففعل موسى ما أمره به وأخذ يستغفره حتى ألقى عليه عدة وصايا وأمره بحفظها <sup>(٨)</sup>، وقال له: "اكتب لنفسك هذه الكلمات، لأننى بحسب هذه الكلمات قطعت عهداً معك ومع إسرائيل".

---

(١) خروج ٢٤: ١٢.

(٢) خروج ٢٤: ١٨.

(٣) خروج ٣١: ١٨.

(٤) خروج ٣٢: ١٥-١٦.

(٥) تفصيل الحديث عن اتخاذهم العجل فى الباب الثالث إن شاء الله.

(٦) راجع خروج ٣٢: ١٧-١٩.

(٧) خروج ٣٤: ١-٤.

(٨) راجع خروج ٣٤: ٤-٢٦ وفيها تفصيل لتلك الوصايا.

"وكان هناك عند الرب أربعين نهراً وأربعين ليلة لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماء فكتب على اللوحين كلمات العهد: الكلمات العشر<sup>(١)</sup>، وتعرف هذه الكلمات بالوصايا العشر<sup>(٢)</sup>."

ثم ورد بعد ذلك في سفر التثنية "وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بنى لاوى - حاملى تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ إسرائيل وأمرهم موسى قائلاً: فى نهاية السبع سنين فى ميعاد سنة الإبراء فى عيد المظال حينما يجرى جميع إسرائيل لكى يظهروا أمام الرب إلهك فى المكان الذى يختاره تقرأ هذه التوراة أمام كل إسرائيل فى مسامعهم، اجمع الشعب الرجال والنساء والأطفال والغريب الذى فى أبوابك لكى يسمعوأ ويتعلموا أن يتقوا الرب إلهكم ويحرصوا أن يعلموا بجميع كلمات هذه التوراة..."<sup>(٣)</sup>.

"فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة فى كتاب إلى تمامها، أمر موسى اللاويين حاملى تابوت عهد الرب قائلاً أخذوا كتاب التوراة وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون شاهداً عليكم، لأننى عارف تمردكم ورقابكم الصلبة هوذا وأنا بعد حى معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحرى بعد موتى.

اجمعوا إلى كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق فى مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض لأننى عارف أنكم بعد موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق الذى أوصيتكم به ويصيبكم الشر فى آخر الأيام لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيطوه بأعمال أيديكم<sup>(٤)</sup>."

(١) خروج ٣٤: ٢٧-٢٨.

(٢) وردت الوصايا العشر فى سفر الخروج (٢٠: ١-٢١)، وفى سفر التثنية ٥: ١-٣٠، راجع الحديث عنها بالتفصيل: د/ محمد بحر عبد المجيد: اليهودية: ص ٢٥-٢٨ جرهاردوس فوس علم اللاهوت الكتابى ص ٢٠٧-٢١٤ ترجمة د/ عزت زكى: الطبعة الأولى ١٩٨٢ دار الثقافة بالقاهرة، قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٢٩.

(٣) تثنية ٣١: ٩-١٢ راجع أيضاً ٣١: ١٣.

(٤) تثنية ٣١: ٢٤-٣٠.

والأمر هنا كما يقول الدكتور نجيب ميخائيل - واضح لا يحتاج إلى تعليق فالوصايا كتبها الله بخط يده والتعليمات ألقاها موسى مشافهة ثم سجلها كتابة ثم هو يدرى تماما نفسية قومه وفساد سرائرهم ويقدر ما سوف يحل بهم بعد موته وما سوف يرتكبونه من معصية وزيف.

وإذن فالتوراة هنا محدودة لا تحتل لبسا أو تأويلا، هي ما كتبه الله وما سجله موسى وما أمر أن يوضع في تابوت العهد وإلى جانب تابوت العهد ما طلب إليهم أن يسجل على لوحى الحجر اللذين يصنعونها بعد عبور النهر<sup>(١)</sup>.

وحينما تولى يشوع بن نون زعامة إسرائيل بعد وفاة موسى يذكر السفر أنه بنى مذبح حجارة صحيحة - كما هو مكتوب في سفر توراة موسى - وكتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى التى كتبها أمام بنى إسرائيل<sup>(٢)</sup>.

"وبعد ذلك قرأ جميع كلام التوراة، البركة واللعنة حسب كل ما كتب في التوراة، لم تكن كلمة من كل ما أمر به موسى لم يقرأ يشوع قدام كل جماعة إسرائيل<sup>(٣)</sup>.

ولكن يشوع جمع الشعب في أواخر حياته<sup>(٤)</sup> وكما يذكر السفر "وقطع يشوع عهدا للشعب في ذلك اليوم وجعل لهم فريضة وحكما في شكيم وكتب يشوع هذا الكلام في سفر شريعة الله<sup>(٥)</sup>.

ومعنى هذا أن يشوع أضاف من عنده فرائض وأحكام جديدة إلى سفر شريعة الله.

---

(١) مصر والشرق الأدنى القديم ج٣ سوربة ص ١٧٧. وينتهى الدكتور نجيب ميخائيل إلى القول بأن التوراة هنا شئ محدد المعالم وأنها مع ذلك ليست الشئ الذى يعرف اليوم بـ "العهد القديم" وإن كانت موجودة بداخله في التثنية ٢٩-٣١ وأكدها موسى في ٣٢: ٤٤-٤٧ (المصدر السابق ص ١٧٧).

(٢) راجع يشوع ٨: ٣٠-٣٢.

(٣) يشوع ٨: ٣٤-٣٥.

(٤) راجع يشوع ٢٤: ١.

(٥) يشوع ٢٤: ٢٥-٢٦.

ولعل هذه هي أول إضافة أو زيادة للتوراة التي أسلمها موسى إليهم<sup>(١)</sup>.

ولم يرد في الأسفار ذكر لقراءة التوراة بعد هذه القراءة التي قام بها يشوع فقد بدأ عصر القضاة بما فيه من فوضى وارتداد ووثنية<sup>(٢)</sup> إلى أن استصحب الإسرائيليون معهم التابوت الذي كان محفوظاً في شيلوه<sup>(٣)</sup> في حربهم ضد الفلسطينيين<sup>(٤)</sup>، ولما خسر المعركة استولى الفلسطينيون على التابوت ولوحى الحجر ونسخة التوراة وظل التابوت في بلادهم سبعة شهور<sup>(٥)</sup>.

ثم تم استرجاعه ووضع في قرية يعاريم<sup>(٦)</sup>، وظل بها عشرين عاماً سقط خلالها بطريقة غير مفهومة في غياهب النسيان ربما لأنه كان قد فقد مكانته بعد أن سلبه الفلسطينيون، ومن ثم فقد أصبح يعيش حوله عدد ضئيل من الكهنة أو الحفاظ الذين لا مكانة لهم<sup>(٧)</sup>.

---

(١) سبينوزا: رسالة اللاهوت والسياسة ص ٢٧٢ ترجمة د/ حسن حنفي، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم ج ٣ ص ١٧٨، د/ محمد مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ج ٩ ص ٢١.

ويذكر سبينوزا أن أحد شراح التوراة واسمه يوناتان تعسف في تأويل الكلمات حسب هواه فترجم إلى الكلدانية هذه الكلمات من سفر يشوع، وكتب يشوع هذا الكلام في سفر تورا الله بقوله: وكتب يشوع هذا الكلام وحفظه مع سفر تورا الله " فلقد فضل أن يحرف الكتاب بعد أن اقلقته إضافة يشوع لتوراة موسى (رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٢٧٢)

(٢) راجع عصر القضاة في الفصل الأول من الباب الأول وسيتبين لنا في الفصل الثالث من هذا الباب كيف أنه كان عصر وثنية وارتداد.

(٣) مدينة شمال بيت ايل في منتصف الطريق بين بيتين وشكيم (أى نابلس) ويرجح أنها المسماة الآن سيلون التي تبعد ١٧ ميلاً شمالاً أورشليم، راجع: قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٥ - ٥٣٦.

(٤) راجع تفاصيل أحداث هذه الحروب في فصل قنوات الاتصال التاريخية

(٥) راجع صموئيل أول: ٤: ٣-٧ / ١: ١١-١٠

د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى ج ٣ ص ١٧٠

(٦) يعاريم: جبل في تخم يهوذا الشمالى وقرية يعاريم معناها مدينة الغابات وهى إحدى مدن الجبعونيين الأربع، ويرجح أنها الآن قرية العنب التى تقع على مسافة ٩ أميال من غربى القدس.

(٧) راجع تفاصيل الحديث عنها: قاموس الكتاب المقدس ص ٧٢٨ - ٧٢٩، ١٠٧٢

(٧) صموئيل أول ٦: ١ / ٧: ١-٢.

د/ إسماعيل الفاروقى: أصول الصهيونية في الدين اليهودى ص ٤٦

د/ محمد بيومى مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ج ٩ ص ٢٣

وفي عهد داود تم نقل التابوت إلى مدينته في احتفال عظيم<sup>(١)</sup>.

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن القرآن الكريم قد بين لنا أن التابوت لم يكن فيه إلا بقية مما ترك آل موسى وآل هارون وكان ذلك في عهد شاول (طالوت) في القرآن الكريم).

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن هذه البقية هي ما يشير إليها السفر حين ذكر أن سليمان جمع شيوخ إسرائيل لإصعاد التابوت إلى الهيكل "لم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك في حوريب حين عاهد الرب بنى إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر"<sup>(٣)</sup>.

وورد على لسان سليمان أيضًا قوله "ووضعت هناك التابوت الذي فيه عهد الرب الذي قطعه مع بنى إسرائيل"<sup>(٤)</sup>.

وعلى ذلك فالتابوت في هذه المرحلة لم يكن به سوى لوحى الحجر، أما التوراة فلم يرد لها ذكر ولم يعلم مصيرها أحد، وتفيد عبارة الأسفار أنها قد فقدت<sup>(٥)</sup>.

---

(١) راجع تفاصيل هذا الاحتفال في سفر صموئيل الثانى ٦: ١-٢٠ (وفيه يذكر أن داود كان يرقص بكل قوته أمام تابوت الرب وأن زوجته ميكال بنت شاول حين رآته يفعل ذلك احتقرته في قلبها) (صموئيل الثانى ٦: ١٤-١٦).

(٢) سورة البقرة: ٢٤٨ (وتشير الآيات الكريمة السابقة والتالية لهذه الآية إلى أن الذى استرد التابوت من الفلسطينيين إنما كان "طالوت" المذكور فى التوراة باسم شاول وتؤكد رواية التوراة هذه الحقيقة وذلك عندما تروى كما قلنا أن داود وجد التابوت فى قرية "بعاريم" بعد أن بقى بها عشرين عاما قبل أن ينقله داود إلى عاصمته "أورشليم".

(راجع د/ محمد بيومى مهران ج٩ ص٢٥، راجع تفسير المنار ج٢ ص ٣٧٣ وما بعدها).

(٣) ملوك أول ٨: ٨.

(٤) أخبار ثان ٦: ١١.

(٥) راجع د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج٣ ص١٧١، محمد عزة دروزة: تاريخ بنى إسرائيل ص٢٠.

ويؤكد ذلك الشيخ رحمت الله الهندي فيذكر أن نسخة التوراة الموضوعة في جنب الصندوق قد ضاعت ولا يعلم جزماً متى ضاعت<sup>(١)</sup>.

وقد اعترف علماء اللاهوت من النصارى بفقدان توراة موسى الأصلية التي هي أصل دينهم وأساسه، قال صاحب كتاب "خلاصة الأدلة السنية على صدق الديانة المسيحية": والأمر مستحيل أن تبقى نسخة موسى الأصلية في الوجود إلى الآن ولا نعلم ماذا كان من أمرها، والمرجح أنها فقدت مع التابوت<sup>(٢)</sup> بل إن اللوحين قد انقطع خبرهما أيضاً بعد ذلك فلم يرد إشارة إليهما حيث يرجح أنها قد فقدت أيضاً بعد سليمان.

وخلاصة الأمر أن التوراة فقدت فلم يطلع عليها الملوك أو الأنبياء ولم يعرفوا ما بها من أحكام<sup>(٣)</sup>.

إذ بدأ عصر الانقسام بعد وفاة سليمان وشاع فيه الارتداد وغلبت عليه الوثنية وعاش اليهود خلاله - في كل من المملكتين إسرائيل ويهوذا - يعانون مرارة الانقسامات الداخلية والتهديدات الخارجية كما سبق أنفاً<sup>(٤)</sup>.

ولم ترد أدنى إشارة للتوراة في الأسفار بعد سليمان<sup>(٥)</sup> واختفت حتى ورد أنه تم

---

(١) إظهار الحق جـ ٢ ص ٥٩٩ دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور محمد أحمد ملكاوى طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد بالرياض السعودية ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.  
(٢) راجع السيد محمد رشيد رضا: تفسير المنار الجزء الثالث من المجلد الثاني ص ١٣٠- ١٣١ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣.

(٣) د/ نجيب ميخائيل: المصدر السابق ص ١٧١ محمد عزة دروزة: المصدر السابق ص ٢٠.  
(٤) راجع أحداث عصر الانقسام في الفصل الأول من الباب الأول والفصل الأول من الباب الثاني وستين لنا في الفصل الثالث من هذا الباب كيف أن عصر الانقسام كان عصر وثنية وارتداد.  
(٥) كما أشرت من قبل إلى أن الأسفار قد أرجعت الانقسام إلى انحراف سليمان المزعوم (راجع ملوك أول ١١: ١-١٣)، وطبعاً نحن كمسلمين نستحيل علينا أن نصدق هذا البهتان العظيم في حق سيدنا سليمان عليه السلام، إلا أن الشيخ رحمت الله الهندي يقول: "ثم وقع الانقلاب العظيم في آخر سلطنة سليمان عليه السلام على ما تشهد به أسفارهم المقدسة بأن ارتد سليمان والعياذ بالله تعالى في آخر عمره بترغيب الأزواج وعبد الأصنام وبنى المعابد لها ويقول الشيخ رحمت الله" وإذا صار مرتداً وثنياً ما بقي له غرض بالتوراة" (إظهار الحق ص ٢٨٢ طبعة دار التراث العربي) وطبعاً هو يذكر =

العثور عليها فجأة وبمحض الصدفة في عهد يوشيا<sup>(١)</sup> (٦٤١ - ٦١١ ق.م) أى بعد وفاة موسى بأكثر من سبعة مائة سنة.

### السفر الذى طالعه يوشيا:

فقد جاء في سفر الملوك الثانى أن هذا الملك قد أرسل في السنة الثامنة عشرة من ملكه (حوالى عام ٦٢٣ ق.م) شافان بن أصليا الكاتب إلى بيت الرب ليحسب مع كاهنة الأعظم حلقيًا النقود التى دخلت الهيكل من الزائرين لكى تصرف على ترميمه<sup>(٢)</sup> فلما ذهب إليه قال له حلقيًا "قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب"، وهذا يشير إلى أنه كان قد فقد من زمن طول وأن العثور عليه تم أثناء عملية ترميم البيت كما ورد في سفر الأخبار<sup>(٣)</sup>.

وعلى أى حال فإن حلقيًا سلم السفر لشافان فقرأه وعاد شافان إلى الملك يوشيا وقال له "قد أعطاني حلقيًا الكاهن سفرًا وقرأه أمامه، فلما سمع الملك كلام سفر الشريعة مزق ثيابه وأرسل إلى حلقيًا وقال له مع غيره من الكهنة " اذهبوا أسألوا

---

= هذا من باب محاجة اليهود بما في كتبهم، ولكن الحقيقة أنه بصرف النظر عن هذه المحاجة والزامهم بما في أسفارهم فإننى لا أجد في القرآن الكريم ما يشير إلى أن سليمان عليه السلام كان يعتمد على توراة موسى عليه السلام بل إن داود قد آتاه الله الزبور، ولم يرد في القرآن ما يشير إلى الارتباط بين موسى وسليمان عليهما السلام، ومعنى ذلك أن عصر داود وسليمان فيما أحتمل كان بعيدًا عن توراة موسى، ويقول الدكتور فؤاد حسنين "الملاحظة الجديرة بالذكر أن المزامير تتحدث أحيانا عن شريعة (يهوه) أو شريعة الله ولا تذكر شريعة موسى التى كثيراً ما نجدها في الأسفار التاريخية" (التوراة الهيروغليفية) ص ٤١.

(١) ملك يهوذا في عصر الانقسام (راجع الفصل الأول من الباب الأول) في الأصل (الرسالة المخطوطة).

(٢) راجع ملوك ثان ٢٢: ٣-٧.

(٣) أورد سفر الأخبار أن يوشيا قام بعملية تطهير من المعبودات الأجنبية وقام بتكسیر ما فيه من الأوثان والأصنام في السنة الثانية عشرة من ملكه أى قبل العثور على السفر بست سنوات ويذكر أنه في العام الثامن عشر من ملكه أوفد رسلاً لترميم البيت وأنه عند اخراجهم الفضة المدخلة إلى بيت الرب وجد حلقيًا الكاهن سفر شريعة الرب بيد موسى فقال لشافان قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب.

(راجع أخبار الأيام الثانى ٣٤: ٣-١٥)

الرب لأجل ولأجل الشعب ولأجل كل يهوذا من جهة كلام هذا السفر الذى وجد لأنه عظيم هو غضب الرب الذى اشتعل علينا من أجل أن آباءنا لم يسمعوا لكلام هذا السفر ليعلموا حسب كل ما هو مكتوب علينا<sup>(١)</sup>.

وهنا يبدو واضحًا أن التوراة لم تكن نسيًا منسيا على أيام يوشيا فقط ولكن في عهد أسلافه أيضًا كما تصرح بذلك الجملة الأخيرة، تضيع التوراة وفي أورشليم هيكل يراعاه جمع من المسؤولين على رأسهم كاهن أعظم هو حلقيا!!! وأغرب من ذلك أن تكون بين اليهود في داخل مدينة أورشليم مع ضياع التوراة منها وفي هذا الوقت عينه امرأة (نبية) يبدو أنها لم تكن تدرى عن موسى شيئًا ولا تذكر كلمة من توراته<sup>(٢)</sup>.

وتذكر الأسفار أن الملك قد أرسل إلى كل شيوخ يهوذا وأورشليم وجمعهم مع كل رجال يهوذا وسكان أورشليم والكهنة واللاويين وكل الشعب من الكبير إلى الصغير وقرأ في آذانهم كل كلام سفر العهد الذى وجد في بيت الرب، وقطع معهم عهدًا أمام الرب لإقامة كلام هذا العهد المكتوب في هذا السفر<sup>(٣)</sup>.

ويرفض المحققون من العلماء والباحثين ادعاء حلقيا الكاهن بعثوره على سفر شريعة موسى.

---

(١) راجع الملوك الثانى ٢٢: ٨-١٣ أخبار الأيام الثانى ٣٤: ١٦-٢١.

(٢) وكان اسم هذه المرأة النبية: خلدة وهى امرأة شالوم وكانت نبية شهيرة سكنت القسم الثانى من أورشليم في عهد الملك يوشيا، (قاموس الكتاب المقدس ص٤٤٤).

وتذكر الأسفار أن حلقيا ومن معه من الكهنة ذهبوا إليها فقالت لهم "قولوا للرجل الذى ارسلكم إلى هكذا قال الرب اننى جالب شرًا على المكان وعلى سكانه من كل كلام الكتاب الذى قراه ملك يهوذا لانهم تركونى وأحرقوا الألهة غريبة لاجل اغصابى بكل أعمال أيديهم، فاحتمد سخطى على هذا المكان....

وخلاصة القول أن النبىة خلدة تنبأت بخراب أورشليم ولكنها أضافت انه نظرًا لتقوى الملك فإنه سيموت قبل أن يشهد بعينيه هذه الكارثة.

(راجع الملوك الثانى ٢٢: ١٤-٢٠ الأخبار الثانى ٣٤: ٢٢-٢٨).

(راجع أيضًا د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى الاسرائيلى ص٢٥-٢٦)

(٣) راجع سفر الملوك الثانى ٢٣: ١-٣.

أخبار الأيام الثانى ٣٤: ٢٩-٣١

فيرى الشيخ رحمت الله الهندى أنه "لا يعتمد على هذه النسخة (المعثور عليها) ولا على قول حلقيا لأن البيت نهب مرتين قبل عهد أخزيا، ثم جعل بيتا للأصنام، وسدنة يوشيا أيضًا اسم التوراة ولا رآها مع أن السلطان والأمراء والرعايا كانوا في غاية الاجتهاد لاتباع الملة الموسوية، وكان الكهنة يدخلون كل يوم إلى هذه المدة، فالعجب كل العجب أن تكون النسخة في البيت ولا يراها أحد.

ويقرر الشيخ رحمت الله الهندى أن هذه النسخة ما كانت إلا من مخترعات حلقيا، فإنه لما رأى توجه السلطان يوشيا إلى اتباع الملة الموسوية جمعها من الروايات اللسانية التي وصلت إليه من أفواه الناس سواء كانت صادقة أو غير صادقة، وكان إلى هذه المدة في جمعها وتأليفها، وبعد ما جمع نسب ما جمعه إلى موسى عليه السلام، ومثل هذا الافتراء والكذب لترويج الملة وإشاعة الحق وكان من المستحبات الدينية عند متأخرى اليهود وقدماء المسيحيين<sup>(١)</sup>.

ويذهب ول ديورانت إلى أن الكهنة حينما وجدوا الشعب قد ارتد عن عبادة يهوه إلى الآلهة الأجنبية رأوا أن يعزو إليه ما يحىء في صدورهم من عواطف يؤمنون بها فاعتزموا أن يبلغوا الناس رسالة من الله نفسه في صورة سنن الهية تبث النشاط والقوة في حياة الأمة الخلقية ويضمنون بها معونة الأنبياء، وسرعان ما ضموا إلى جانبهم الملك يوشيا<sup>(٢)</sup>، الذى يرجح الدكتور نجيب ميخائيل أنه تأثر بهم وبما وجده من الانحلال الشامل للإسرائيليين فاصطنع هذا السفر ليخفيهم به وليمنع الشرور ويوقف عبادة الأصنام.

ذلك لأن العثور عله بعد ما حل بالبيت من خراب ومن غزوات في مختلف عهود الملوك من فراعنة وملوك بابلين لأمر يدعو للشك<sup>(٣)</sup>.

(١) إظهار الحق ج ٢ ص ٦٠٤ - ٦٠٥.

(٢) قصة الحضارة الجزء الثانى من المجلد الأول: الشرق الأدنى ص ٣٥٦.

(٣) مصر والشرق الأدنى القديم ج ٣ سورية ١٧١، (ويستبعد محمد عزة دروزة العثور على هذا السفر لأنه لم يظهر في التابوت حينما نقله سليمان إلى المعبد فكيف وجد في المعبد وبعده (تاريخ بنى إسرائيل ص ٢٠) راجع أيضًا د/ أحمد شلبي: اليهودية ص ٢٥٩.

ويذكر الدكتور سامى سعيد الأحمد أن الحاخام حلقيا قد ادعى أنه رأى فى أثناء منامه النبى موسى وأنه أخبره بأن إسرائيل قد ضلت سواء السبيل وأن الكتاب الحقيقى الذى كتبه بيديه من كلمات الخالق موجودة فى المحل الفانى من المعبد، وعندما استيقظ وحفر فى المكان المذكور وجد كتابا، فصدق الكل حتى الملك يوشيا أعداء هذا الحاخام وأخذوه مأخذ الحقيقة<sup>(١)</sup>.

وسواء أكان حلقيا صادقا فى إدعائه أم كاذبا فإننا لا ندرى على التحقيق، أو كما يقول ول ديورانت: لا نعلم علم اليقين ماهية هذا السفر الذى قرأه يوشيا على الشعب وأطلق عليه سفر الشريعة.

وعلى أية حال فهو لا يمكن أن تكن التوراة التى نعرفها اليوم فى صورتها المتداولة وربما يكون منه شئ فى سفر الخروج من الإصحاح العشرين إلى الإصحاح الثالث والعشرين، وربما فى سفر التثنية أو جانب منه ومهما يكن من أمر فهو سفر صغير يتضمن ملخصا للتعاليم والوصايا دون أن يتعرض للسرد التاريخى.

وأيا كان مصدر هذه التعاليم فإن الذين استمعوا لها وهى تقرأ عليهم أو سمعوا بها ولم يكونوا حاضرين وقت قراءتها قد تأثروا بها أشد الأثر واغتتم الملك يوشيا هذه الفرصة السانحة فاستعان بهذه العواطف الجياشة على تحطيم مذابح الآلهة الأجنبية وتطهير الهيكل من العبادات الوثنية<sup>(٢)</sup>.

ومهما ترجح كفة رأى من الآراء فإن السؤال يظل حائرا دون جواب - إلا الترجيح مع الحذر - حتى العثور على وثيقة لا يرقى إليها الشك هى ما كتبه موسى فعلا وعرف باسم "سفر الشريعة" الذى كان يصحب عهد الرب والذى طالعه يوشيا الملك، وفيما عدا ذلك فالأمر لا يعدو مرحلة الحدس والترجيح<sup>(٣)</sup>.

(١) الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية ص ٢٥ رقم (١) من سلسلة منشورات تاريخية إصدار الجمعية العراقية والآثار، بغداد ١٩٦٩ م.

(٢) راجع قصة الحضارة: الجزء الثانى من المجلد الأول ص ٣٥٧.

د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى ج ٣ ص ١٨٠

(٣) د/ نجيب ميخائيل: المصدر السابق ص ١٨٠.

ويذكر سفر الملوك الثانى أو يوشيا أقام كلام الشريعة المكتوب فى السفر الذى وجده حلقيا الكاهن بقية حكمه وتقدر بثلاثة عشر عاما<sup>(١)</sup>، وأنه لم يكن قبله ملك مثله قد رجع إلى الرب بكل قلبه وكل نفسه وكل قوته حسب كل شريعة موسى وبعده لم يقيم مثله<sup>(٢)</sup>.

فالملوك الذى جاءوا بعد يوشيا عطلوا الحكم بما عرف بسفر الشريعة، ولا ندرى أن نذهب به، كل ما يمكن أن يقال إن يوشيا قد قتل على يد فرعون مصر وبدأت سيطرة المصريين على مملكة يهوذا ثم انتقلت السيطرة بعدهم إلى الكلدانيين الذى حاصرت جيوشهم أورشليم مرتين ونهبت فيهما الهيكل وفى المرة الثانية قامت بتدميره وتخريب أورشليم عام ٥٨٦ وسبوا اليهود إلى بابل<sup>(٣)</sup> وظل اليهود فى السبى مدة خمسين عاما حتى سمح لهم ملك الفرس بالعودة إلى أورشليم<sup>(٤)</sup>.

وبعد أن عادوا لم يكن فى وسعهم أن يقيموا لهم دولة حربية، ذلك أنهم لم يكن لهم من العدد ومن الثروة ما يمكنهم فى إقامة الدولة ولما كانوا فى حاجة إلى نوع من الإدارة يعترفون فيه بسيادة الفرس عليهم ويهينى لهم فى الوقت نفسه سبيل الوحدة القومية والنظام، فقد شرع الكهنة فى وضع قواعد حكم دينى يقوم كما كان يقوم حكم يوشيا على المأثور من أقوال الكهنة وتقاليدهم وعلى أوامر الله.

### السفر الذى قرأه عزرا:

ثم عاد عزرا الكاهن والكاتب فى عام ٣٩٨ - على أرجح الآراء كما ذكرت<sup>(٥)</sup> - إلى أورشليم ودعا اليهود إلى اجتماع خطير وشرع يقرأ عليهم من مطلع النهار إلى

---

(١) لأن مدة حكمه كما يذكر السفر إحدى وثلاثين سنة (ملوك ثان ٢٢: ١).

(٢) ملوك ثان ٢٣: ٢٤-٢٥.

(٣) راجع تفاصيل ذلك فى فصل السبى والاضطهاد التى تعرض لها اليهود، وما يذكر أن الملوك الذين جاءوا من بعد يوشيا شجعوا على الوثنية وأعادوا حياة الارتداد والكفر.

(٤) راجع الفصل الخاص بقنوات الاتصال التاريخية (اتصال اليهود بالفرس).  
والفصل الخاص بفترات السبى والاضطهاد (السبى البابلى).

(٥) راجع فصل قنوات الاتصال التاريخية (اتصال اليهود بالفرس).

منتصفه "سفر شريعة موسى" وظل هو وزملاؤه اللاويون سبعة أيام كاملة يقرءون عليهم ما يحتويه ملفات هذا السفر.

ولما فرغوا من قراءتها أقسم الكهنة والزعماء والشعب على أن يطيعوا هذه الشرائع ويتخذوها دستوراً يتبعونه ومبادئ خلقية يشيرون على هديها ويطيعونها إلى أبد الأبدين، وظلت هذه الشرائع - كما يقول ول ديورانت - منذ تلك الأيام النكدة إلى يومنا هذا المحور الذى تدور عليه حياة اليهود ولا يزال تقيدهم بها طوال تجوالهم ومحنهم من أهم الظواهر فى تاريخ العالم<sup>(١)</sup>.

ولنا أن نتساءل الآن: ماذا كان سفر شريعة موسى هذا الذى كان يطالعه عزرا؟ والجواب أنه لم يكن هو بعينه كتاب العهد الذى قرأه يوشيا من قبل لأن هذا العهد قد جاء فيه بصريح العبارة أنه قرئ على اليهود مرتين كاملتين فى يوم واحد.

على حين أن قراءة الكتاب الآخر قد احتاجت إلى أسبوع كامل، وكل ما فى وسعنا أن نفعله هو أن نحذر أن الكتاب الكبير كان يحتوى على جزء هام من أسفار العهد القديم الخمسة الآن، التى يسميها اليهود "تورة" ويسميها غيرهم البنتاتوس أو الأسفار الخمسة<sup>(٢)</sup>.

وهكذا يتضح لنا من خلال هذا العرض السريع أن ما يطلق عليه الآن فى الأسفار (سفر تورا موسى أو تورا الرب) يختلف عن السفر الذى ادعى حلقيا العثور عليه وأنها معا يختلفان أيضاً عن السفر الذى طالعه عزرا بعد عودته إلى أورشليم.

ويزيد سبينوزا ذلك الأمر وضوحاً فيذكر أننا إذا أردنا أن نبحث بمزيد من الدقة فى الأسفار التى كتبها موسى نفسه والمذكور فى الأسفار الخمسة فسنجد من الثابت

(١) نحميا: الاصحاح الثامن كله ٩: ١-٣.

ول ديورانت: قصة الحضارة الجزء الثانى من المجلد الأول ص ٣٦٦

وراجع أيضاً د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم ج ٣ ص ١٦٦

(٢) ول ديورانت: قصة الحضارة الجزء الثانى من المجلد الأول الشرق الأدنى ص ٣٦٦-٣٦٧.

أولاً في سفر الخروج أن موسى كتب بأمر الله عن الحرب ضد عماليق ١٧ : ١٤ ولا يقول لنا هذا الإصحاح نفسه أى سفر كتب بل ترد في سفر العدد ٢١ : ١٤ إشارة إلى سفر يسمى حروب الرب.

كما جاء في سفر الخروج ٢١ : ١٤ أن هناك سفرًا آخر يعرف باسم "سفر العهد"<sup>(١)</sup>، قرأه موسى أمام الإسرائيليين عندما عقدوا عهدًا مع الله.

ولا يحتوى هذا السفر الرسالة إلا على أشياء قليلة أى أنه لا يحتوى إلا على شرائع الله ووصاياه الموجودة في سفر الخروج في الإصحاح ٢٠ الآية ٢٢ حتى الإصحاح ٢٤.

ولا يمكن أن ينكر ذلك من يقرأ هذا الإصحاح المذكور بشئ من الفهم السليم دون تحيز.

ففيه يروى أنه بمجرد أن عرف رأى الشعب في العهد المبرم مع الله كتب على التوراة كلمات الله ووصاياه، ثم قرأ أمام المجمع العام للشعب شروط العهد في الصباح بعد إقامة بعض الطقوس، وبعد هذه القراءة دخل الشعب في هذا العهد بمحض رضاه بعد أن عرف الناس كلهم بلا شك هذه الشروط.

ونظرًا إلى ضيق الوقت الذى استغرقته كتابة العهد المبرم، وكذلك نظرًا إلى طبيعة هذا العهد، كان حتمًا ألا يحتوى هذا السفر أكثر مما قلته الآن<sup>(٢)</sup>.

وأيضًا فمن الثابت أن موسى قد شرح جميع الشرائع التى سنّها في السنة الأربعين بعد الخروج من مصر<sup>(٣)</sup> وأخذ من الشعب وعدًا جديدًا بأن يظلّوا خاضعين لهذه الشرائع<sup>(٤)</sup>.

(١) تعنى كلمة سفر في اللغة العبرية رسالة أو ورقة.

(٢) رسالة في اللاهوت والسياسة: ترجمة وتقديم د/ حسن حنفى ص ٢٧١.

ويقصد سبينوزا ما قاله في الصفحة السابقة من أن هذا السفر لا يحتوى إلا على الشرائع والوصايا الموجودة في سفر الخروج (من الآية ٢٢ في الإصحاح ٢٠ حتى الإصحاح ٢٤)

(٣) تثنية ١ : ٥.

(٤) تثنية ٢٩ : ١٤.

ثم كتب سفرًا يحتوي على هذه الشرائع التى تشرح هذا العهد الجديد<sup>(١)</sup>، وقد سمي هذا السفر سفر تورااة الله وقد أضاف إليه يشوع بعد ذلك بمدة طويلة رواية العهد الذى قطعه الشعب على نفسه من جديد فى أيامه، وهو ثالث عهد يقيمونه مع الله<sup>(٢)</sup>.

وينتهى سبينوزا إلى أنه لما لم يكن لدينا أى سفر يحتوى فى الوقت نفسه على عهد موسى وعهد يشوع فيجب أن نعترف ضرورة بأن هذا السفر قد فقد<sup>(٣)</sup>.

ويستنتج أن سفر تورااة الله هذا الذى كتبه موسى لم يكن من الأسفار الخمسة بل كان سفرًا مختلفًا، أدخله مؤلف الأسفار الخمسة فى سفره فى المكان الذى ارتآه.

ويظهر ذلك بوضوح تام مما سبق وما يروى فى سفر التشية من أن موسى كتب سفر التورااة ثم أعطاه للأحبار وطلب إليهم قراءته أمام الشعب فى أوقات معلومة.

وهذا يدل على أن السفر كان أقل حجماً من الأسفار الخمسة، إذ كان من الممكن قراءته كله فى مجمع عام بحيث يفهمه الجميع.

ويقول "ولا ننسى أنه من بين جميع الأسفار التى كتبها موسى، لم يأمر بالمحافظة دينيا إلا على سفر واحد وبالحرص على الإبقاء عليه وهو سفر العهد الثانى والنشيد (الذى كتبه بعد ذلك لكى يعلمه لجميع أفراد الشعب)<sup>(٤)</sup>.

ويخلص سبينوزا إلى القول بأنه لم يكن من الثابت أن موسى قد كتب أسفاراً أخرى سوى هذه الأسفار، ولم يوص بنفسه بالمحافظة دينيا للأجيال

(١) تشية ٣١: ٩.

(٢) يشوع ٢٤: ٢٥-٢٦ رسالة فى اللاهوت ص ٢٧١-٢٧٢.

(٣) رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ٢٧٢.

(٤) فبالنسبة إلى العهد الأول كان الحاضرون وحدهم هم الملتزمين به، وأما العهد الثانى فكان ملزماً للخلف (تشية ٢٩: ١٤-١٥) لذلك أمر بالمحافظة دينياً على "سفر العهد الثانى للأجيال المقبلة، وكذلك بالمحافظة على النشيد الذى يخص القرون التالية (رسالة فى اللاهوت ص ٢٧٣).

القادمة إلا على سفر التوراة الصغيرة والنشيد، وأنه لما كانت توجد نصوص كثيرة فى الأسفار الخمسة لا يمكن أن يكون موسى كاتبها فإن أحدا لا يستطيع أن يؤكد عن حق، أن موسى هو مؤلف الأسفار الخمسة، بل على العكس يكذب العقل هذه النسبة<sup>(١)</sup>.

### نسبة الأسفار الخمسة إلى سيدنا موسى والنقول ببطلانها:

وهذه النسبة كانت إحدى العقائد الأساسية والتقاليد الثابتة لدى اليهود والمسيحيين إلى فترة طويلة ولا يزال يعتنقها الكثيرون منها، فما الذى أدى إلى التشكيك فى هذه النسبة وانتفاء قدسيتها؟

لعل من الأجدر أولا أن نشير إلى أنه منذ ترميم المعبد وإعادة العبادة عن طريق نحميا وعزرا بدأ اليهود يعتبرون الأسفار الخمسة (التناوك) - وهى أساس الدين اليهودى كأنها هى من عمل موسى متضمنة فى ذلك "الناموس والأنبياء"<sup>(٢)</sup>.

ومع ذلك فإن هذا القول لا يمكن أن يؤخذ بحرفيته لأن ذلك لا يعنى أكثر مما يعنى قولنا إن نابليون هو واضع أسس القانون الفرنسى إذ أنه عرف بين سلالة إسرائيل أن عزرا هو جامع الكتابات والتراث الموسوى الذى كان قد تناوله التدمير عند خراب مملكة يهوذا<sup>(٣)</sup>.

إلا أن اليهود قد اعتقدوا نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى واعتباره هو مؤلفها منذ عهد فيلون الاسكندرى (القرن الأول ق.م والأول الميلادى) ويوسيفوس

---

(١) سبينوزا: رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ٢٧٣.

(٢) راجع عزرا ١ : ١-١١ / ٦ : ٣-٥، نحميا ٨ : ١-١٨ ح ١ : ١-٢. ونوٹ وروث وكوك نقلًا عن د/ مهران: دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ص ٩، إسرائيل ص ١٣٦، راجع أيضا د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى ج ٣ ص ١٨٦.

(٣) راجع عزرا ٨ : ١٠-١١، مرقس ١٢ : ١٩، لوقا ٢٠ : ٢٨، يوحنا ١ : ٤٥، رومية ١٠ : ٥، راجع أيضا د/ نجيب ميخائيل المصدر السابق ج ٣ ص ١٨٦.

اللذين عاصرا المسيح وأعلننا أن موسى هو مؤلف التوراة وأخذا يدافعان عن ذلك الاعتقاد<sup>(١)</sup>.

وكان طبيعياً أن يميل اليهود إلى إرجاع الفضل في شرائعهم ونظمهم إلى الزعيم الذى - حسبوه أعلى سلطة في تاريخهم المبكر، ولما تناول المسيحيون العهد القديم من اليهود أخذوا عنهم في الوقت عينه نظريتهم عن الأداء التى كتبت بها الأسفار واعتقادهم الراسخ بأن موسى هو كاتب الأسفار الخمسة، وظل هذا الاعتقاد قائماً أجيالاً طويلة لم يتعرض له أحد<sup>(٢)</sup> ولم يكن ذلك الاعتقاد نتيجة بحث تاريخي بل كان عقيدة عامة لا أساس لها من الواقع واعتماداً على آراء تقليدية نقلها الخلف عن السلف<sup>(٣)</sup>.

والأسفار الخمسة بالصورة التى وصلت بها إلينا تعتبر هى القاعدة الأساسية للعهد القديم والدين اليهودى بأسرها، ولكنها كما يقول موسكاتى تنطوى على أخطر المشاكل النقدية.

وتفسير أقدم تاريخ سياسى ودينى للعبريين يعتمد كله أخيراً على تاريخ تأليفها وتحديد مصادرها وتاريخها والقيمة التى تعلق عليها، فلا عجب إذا كانت موضوع جدل معقد طويل<sup>(٤)</sup>.

---

(١) د/ فؤاد حسنين على التوراة الهيروغليفية ص ٤٠ مقدمة العهد العتيق من الكتاب المقدس طبعة الكاثوليك ص ٣ طبعة ١٩٨٦، موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٢٧ دار المعارف بمصر.

ويدعى اليهود أن التوراة التى بين أيدينا (الأسفار الخمسة) كتبت أيام موسى فيقول موسى بن ميمون - فى العقيدة الثامنة من الثلاثة عشرة عقيدة "أنا أؤمن إيماناً تاماً أن الشريعة (التوراة) الموجودة بأيدينا هى العطاة لسيدنا موسى عليه السلام وفى العقيدة التاسعة يقول: أنا أؤمن إيماناً تاماً أن هذه الشريعة لا تتغير لا تكون شريعة أخرى من لدن الخالق تبارك اسمه. (د/ محمد بحر عبد الحميد: اليهودية ص ٣٦ ويذكر سينيورا أن فرقة الفريسيين قد أيدت هذا الرأى - نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى - بإصرار شديد حتى إنهم عدوا من يظن خلاف ذلك من المارقين (رسالة فى اللاهوت ص ٢٦٦)

(٢) حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٧٠ مورس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص ٢٦ مقدمة العهد العتيق من الكتاب المقدس الطبعة الكاثوليكية ص ٣.

(٣) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى ج ٣ ص ١٨٧. د/ محمد بحر عبد الحميد: اليهودية ص ٣٦.

(٤) الحضارة السامية القديمة ص ١٥٦ ..

وتنسب الرواية اليهودية والمسيحية القديمة - كما رأينا - تأليف الأسفار الخمسة في صورتها الحالية إلى موسى، وهذا يجعلها في صدر العهد القديم من حيث ترتيب التأليف والترتيب الزمني لمادتها أيضًا، وكذلك ظن أن بقية أسفار العهد القديم ألقت بالترتيب الذى نراه عليه الآن. ولكن صعوبة قبول هذا الترتيب في التأليف أدت قرب نهاية القرن الثامن عشر إلى فحص نقدى شامل للمسألة<sup>(١)</sup>.

وقبل أن نصل إلى هذه الفترة يحسن بنا أن نرجع كثيرًا إلى الوراء حتى نطلع على المحاولات النقدية الأولى للتوراة.

فقد بدأت هذه المحاولات منذ العصور الأولى لنشأة المسيحية ربما تسبب ترجمتها إلى اليونانية، وكان القديس "أوريجين" (١٨٥ - ٢٥٤م) الفيلسوف المسيحي المصرى - من رواد هذا الميدان، كما يبدو ذلك واضحًا في الـ "هكسبلا" حيث تناول نص التوراة - نقدًا ودرسًا، وإن كان قد تجنب نقد العقيدة واقتنع بدراسة النص لإدراك المعنى الحقيقى للكلمة الإلهية الحقيقية، فكان النقد ينصرف غالبًا إلى الأسفار والحكم عليها من حيث مكانتها<sup>(٢)</sup>.

ولذلك فإن نقده لم يتعد تطبيق المبادئ اللغوية التى كانت معروفة في ذلك الوقت في مدرسة الإسكندرية، ووضع لأول مرة التوراة في ستة عواميد لمقارنة النص العبرى بالنصوص اليونانية المختلفة، كما أنه وضع عدة شروح لتأويل النصوص<sup>(٣)</sup>.

### ابن عزرا:

ولكن المبادرة الحقيقية ربما تعود إلى العالم اليهودى الكبير إبراهيم بن عزرا، الذى يكاد المرء أن يتلمس الشكوك في كتاباته فيما بين السطور ولكن صاحبها أحكم لفها

(١) المصدر السابق ص ١٥٦.

(٢) د/ فؤاد حسنين على: التوراة الهيروغليفية ص ٥٣، د/ حسن حنفى في مقدمته، وترجمته لكتاب رسالة في اللاهوت والسياسة ص ١٨ د/ محمد بيومى مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى ج ٩ ص ١٣٧-١٣٨.

(٣) مقدمة الكتاب رسالة في اللاهوت والسياسة ص ١٨-١٩.

بمدارة - ومداورة فلا تثير غلاة المتعصبين - عن صحة نسبة أسفار الشريعة إلى موسى عليه السلام<sup>(١)</sup>.

فقد كان ابن عزرا - فيما يرى اسينوزا - أول من تنبه إلى خطأ نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى ورغم أن فكره كان حرًا إلى حد ما ولم يكن علمه يستهان به إلا إنه لم يجرؤ على الإفصاح عن رأيه صراحة واكتفى بالإشارة إليه بألفاظ مبهمه.

فقال في شرحه على "التثنية" فيما وراء نهر الأردن الخ لو كنت تعرف سر الأثنى عشرة.. كتب موسى شريعته أيضًا.. وكان الكنعاني على الأرض.. سيوحى به على جبل الله.. ها هو ذا سريرته سرير من حديد، حيثئذ تعرف الحقيقة.

وابن عزرا بهذه الكلمات القليلة يبين يثبت في الوقت ذاته أن موسى ليس هو مؤلف الأسفار الخمسة بل إن مؤلفها شخص آخر عاش بعده بزمان طويل وأن موسى كتب سفرًا مختلفًا ويذكر للبرهنة على ذلك:

أ- لم يكتب موسى مقدمة سفر التثنية لأنه لم يعبر نهر الأردن.

ب- كان سفر موسى مكتوبًا على حائط المعبد الذى لم يتجاوز اثني عشر لوحًا، أى أن السفر كان أصغر بكثير مما لدينا الآن.

ج- قيل في سفر التثنية "وقد كتب موسى التوراة (ولا يمكن أن يقول موسى ذلك أن كان هو كاتبها).

---

(١) راجع حسين ذو الفقار صبرى: توراة اليهود بين أصول متشعبة وسعى إلى انعقاد ص٧٠ مجلة المجلة عدد يناير ١٩٧٠ ناقلا عن مصادر أجنبية

وابراهيم بن عزرا شخصية فذة أبدعها المجتمع الاندلسى المتفتح فقد نشأ في طليطلة حيث ولد عام ١٠٩٢ وانطلق منها فتعرف على علماء العصر في كل مكان مسهبا بنصيب في شتى العلوم والفنون واستقر بعض الوقت في روما حيث عكف على كتابة التفاسير الدينية ثم وضع كتابا ربما هو أول ما ألف باللغة العبرية على النحو العبرى تميزت بابتكار ودقة ضبط عن المراجع التى اعتمد عليها وهى الدراسات التى كان ألفها بالعربية بعض بنى ملته مهتدين بالكتب الأصول فى النحو العربى وقيل أنه ولد عام ١٠٨٩، وتوفى عام ١١٦٤م.

(راجع المصدر السابق ص٧٠ د/ عبد المنعم الحفنى: الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص٣٣ - ٣٤ د/ إبراهيم موسى هندواى: الأثر العربى فى الفكر اليهودى ص ١٥-١٦ مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٣م.

د- في سفر التكوين يعلق الكاتب قائلاً "وكان الكنعانيون في هذه الأرض" مما يدل على أن الوضع قد تغير وقت تدوين الكاتب هذا السفر أى بعد موت موسى وطرده الكنعانيين "وبذلك لا يكون موسى هو الراوي".

هـ- في سفر التكوين سمي "جبل مورياً" جبل الله، ولم يسم بهذا الاسم إلا بعد بناء المعبد، وهو ما تم بعد عصر موسى.

و- في سفر التثنية وضعت بعض الآيات في قصة أوج، توحى بأن الرواية كتبت بعد موت موسى بمدة طويلة إذ يروى المؤلف أشياء حدثت منذ زمن بعيد<sup>(١)</sup>.

حتى إذا ما بدأ عهد الإصلاح الديني<sup>(٢)</sup> في العصور الوسطى نلتقى بكارلتشات الذى يبدأ في المناذاة بأن موسى ليس كاتب الأسفار الخمسة وأنه يستحيل أن يكون موسى قد كتب بنفسه كيف مات<sup>(٣)</sup>.

وبعد قرابة قرن من الزمان نرى "هوبز" يقول أن الأسفار الخمسة كتبت عن موسى ولم يكتبها هو.

وعند هذه المرحلة بدأت دراسات جدية لتمحيص هذه الأفكار الجديدة ومناقشتها على ضوء دراسة عميقة للتوراة ثم البحث عن مصادرها<sup>(٤)</sup>.

---

(١) من هذه الآيات قول كاتب سفر التثنية "ولقد بقى عوج ملك باشان وحده من بين العمالقة الآخرين وها هو سريره، سرير من حديد، هذا السرير الذى طوله تسعة أذرع الموجود فى الرباط عند أطفال أمون...

هذه الإضافة تدل بوضوح تام على أن من كتب هذه الأسفار عاش بعد موسى بمدة طويلة. فطريقته فى الحديث عن الأشياء طريقة مؤلفة يروى قصصاً قديمة جداً، ويذكر بعض الآثار التى مازالت باقية من هذا الزمن البعيد لجعل كلامه موثقاً به.. إلى غير ذلك من الإضافات.

راجع شرح سبينوزا لأقوال ابن عزرا بالتفصيل فى كتابه رسالة فى اللاهوت والسياسة ص٢٢، ٢٦٦ - ٢٦٨

(٢) يذكر الدكتور فؤاد حسنين أن مارتن لوثر كان من رواد نقاد الكتاب المقدس وقد هاجم شريعة موسى وقسمها إلى شريعة شعبية وأخرى رسمية ثم شريعة العقيدة الحب.

(التوراة المبروغة لغيره ص٥٣)

(٣) موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص٢٧.

د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق ج٣ ص١٨٧.

(٤) د/ نجيب ميخائيل: المصدر السابق.

وكان من أوائل من عرضوا لهذه الدراسة رجلا من أبرز رجالات الجالية اليهودية بأمستردام كلاهما يمت إلى أصول برتغالية تسنى لها أن تنهل من تراث الحضارة الإسلامية الأندلسية المتفتحة.

أولهما: أوربيل أكوستا (١٥٨٥ - ١٦٤٠م) الذى اتهم الأخبار بتحريف عقيدة موسى وبدأ ما يسمى فى تاريخ الكتب المقدسة بحركة تفسرها تفسيرًا تاريخيًا، وشكك فى صدق نسبتها لله أو صدورها عن صدرت عنهم بإلهام من الله للتناقض الواضح بين نصوصها، ولكن الأخبار تألبوا عليه، فقاموا بإحراق كتاباته واستنزلوا عليه اللعنات فعاش منبوذًا حتى من أقرب أقربائه فى عزلة قاتلة<sup>(١)</sup>.

**سبينوزا:**

أما ثانيهما: فهو الفيلسوف ذائع الصيت باروخ سبينوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧) الذى فرض نفسه على الحياة الفكرية بعد دراسات متعمقة فى أبواب الفقه اليهودى جميعًا وضاق بسيطرة الفكر التلمودى الخائفة فتجاسر وتعرض لنصوص التوراة ذاتها فحلت به هو الآخر لعنة التحريم<sup>(٢)</sup>.

(١) يضرب بأكوستا جبريل أو أوربيل أكوستا المثل فى الثورة على الجمود الدينى اليهودى، وكان من يهود المارانوا البرتغاليين إلى أن تصروا تحت ضغط الاضطهاد الكنسى ولكنه عاد إلى اليهودية بعد أن هاجر إلى أمستردام (١٦١٥م) وفيها اصطدام بتعصب - الأخبار ووجد منهم تعنتا أدهى وأمر من التزم المتفشى بين اساقفة الكاثوليك بالبرتغال فأخذ يعرض بهم تعريضًا عنيفًا وينقد الأسفار نقدًا تاريخيًا ألبو عليه الحكومة فصادروا - كتبه وأحرقوها وطردوه من مجتمعهم وكانوا يصقون فى وجهه ويلقون على بيته القاذورات والجيف، ولم يحتمل الرجل سؤ المعاملة والفقر فندم وأعلن توبته بعد خمس عشرة سنة من المهانة ولكنه لم يقبل الطقوس اليهودية، ومنع اثنين من المسيحيين من اعتناق اليهودية فجددوا اتهامه بالكفر ولم يقبلوا منه التوبة مرة أخرى إلا بعد أن جلدوه امام جمهور اليهود تسعًا وثلاثين جلدة.

(راجع الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ٥١، ٥٢)

(حسين ذو الفقار صبرى: تورا اليهود ص ٧ نقلا عن مصادر أجنبية).

(٢) أ. وف. توملين: فلاسفة الشرق ص ١٠٠ ترجمة عبد الحميد سليم دار المعارف ١٩٨٠م حسين ذو الفقار صبرى: تورا اليهود ص ٧ نقلا عن مصادر أجنبية. وباروخ سبينوزا من عائلة برتغالية يهودية أيضًا ولكنها كانت هاجرت منذ زمن، وقد ولد بأمستردام قبل وفاة أكوستا بقليل ولكنه كان أصلب عوداً منه (تورا اليهود ص ٧).

ويعتبر سبينوزا من أشهر نقاد العهد القديم وأعظم من تصدى لقومه بالنقد في أشهر كتبه "البحث اللاهوتي السياسي" أو رسالة في اللاهوت والسياسة ١٦٧٠م الذى يعتبر بحق البحث الرائد للدراسات النقدية لأسفار التوراة في العصر الحديث<sup>(١)</sup>.

ففى هذا الكتاب وضع نقدًا شاملاً للعهد القديم على أنه كتاب أدبى قومى ونقده نقداً تاريخياً وفلسفياً فعرض للغته ونصه وزمن تأليفه ومستوى مؤلفيه.

وأدت حركة النقد هذه إلى زعزعة الثقة فى الكتاب المقدس كما انتهى إلى تحويل كبير فى عقيدة الوحي وأصبح النقد لا يوجه إلى الموضوع بقدر اهتمامه بالإنسان الذى ألف هذه الأسفار والذى يقال أنه أقدم على ما أقدم عليه بوحي، حتى أصبحت أسفار الكتاب المقدس ليست وحياً إلهامياً مباشراً بل وثائق بشرية تاريخية موحي بها<sup>(٢)</sup>.

فقد قام سبينوزا بشرح ملاحظات ابن عزرا وذكر أنه قد فاتته ذكر ملاحظات أخرى - متعددة أكثر خطوة على الأسفار الخمسة وهى:

١- لا يتحدث الكتاب عن موسى بضمير الغائب فحسب وإنما يعطى عنه شهادات عديدة مثل "تحدث الله مع موسى" "كان الله مع موسى وجها لوجه"، "وكان موسى رجلاً حليماً جداً أكثر من جميع الناس"<sup>(٣)</sup>، "فسخط موسى على

---

(١) حسين ذو الفقار صبرى: توراة اليهود ص٧، د/ عبد المنعم الحفنى: الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص١٩، وسبينوزا فى هذا الكتاب يتضح تأثره من جهة بكتابات موسى ابن ميمون تأثراً كبيراً وليفى بن جرشوم وشهرته "لاتينيا جرسونيدس) ومن حيث النقد التوراتى بأراء ابراهيم ابن عزرا ولكنه طبعاً أضاف إليه وزاد عليه وجهر بما لم يجزؤ على الجهار به.

ثم أن فكرة المتوكد وجراته الفلسفية انساحت به مكتسحة الحواجز والقيود فأصبح من أعلام الفكر الأوربى كما أن مكانته بعد وفاته إلى ارتقاء مستمر، وكانت آراؤه الفلسفية أقوى من أن تحتويها أغلال من أى نوع كان.

(٢) د/ فؤاد حسين على: التوراة الهيروغليفية ص٥٤. راجع توراة اليهود ص٧، د/ إسرائيل ولفنسون: موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته ص١٣٩ الطبعة الأولى لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٥/

١٩٣٦م.

(٣) عدد ٢٥: ٣.

وكلاء الجيش" <sup>(١)</sup> "موسى رجل الله" <sup>(٢)</sup> لقد مات موسى خادماً لله ولم يبق من بعد نبي في إسرائيل كموسى <sup>(٣)</sup> وعلى العكس يتحدث موسى ويقص أفعاله بضمير المتكلم في سفر التثنية التى كتبت فيها الشريعة التى شرحها موسى ويقص أفعاله بضمير المتكلم في سفر التثنية الرب ورجوت الرب الخ. إلا فى آخر السفر حيث يستمر المؤرخ بعد أن نقل أقوال موسى ويحكى فى روايته كيف أعطى موسى الشعب هذه الشريعة (التى شرحها) كتابة ثم أعطاها تحذيراً أخيراً وبعد ذلك انتهت حياته.

كل ذلك - كما يقول سبينوزا - ويعنى طريقة الكلام ومجموع نصوص القصة كلها يدعو إلى الاعتقاد بأن موسى لم يكتب هذه الأسفار بل كتبها شخص آخر.

٢- يجب أن نذكر أيضاً أن هذه الرواية لا تقص فقط موت موسى ودفته وحزنه الأيام الثلاثين للبرانيين بل تروى أيضاً أنه فاق جميع الأنبياء إذا قورن بالأنبياء الذين عاشوا بعده - ولم يبق من بعد نبي فى إسرائيل كموسى الذى عرفه الرب وجها لوجه <sup>(٤)</sup>.

ويرى سبينوزا أن هذه شهادة لم تكن من الممكن أن يدلى بها موسى نفسه أو شخص آخر أتى بعده مباشرة بل شخص عاش بعده بقرون عديدة لاسيما أن المؤرخ استعمل صيغة الفعل الماضى ولم يبق الخ، ويقول عن القبر ولم يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا <sup>(٥)</sup>.

٣- يجب أن نذكر أيضاً - كما يقول سبينوزا - أن بعض الأماكن لم تطلق عليه الأسماء التى عرفت بها فى زمن موسى بل أطلقت عليه أسماء عرفت بعده بوقت

---

(١) راجع عدد ١٢: ٣.

(٢) تثنية ١٣: ١.

(٣) تثنية ٣٣: ١٠.

(٤) تثنية ٣٤: ١٠.

(٥) تثنية ٣٤: ٦ رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ٢٦٩.

طويل إذ يقال إن إبراهيم تابع أعداده حتى دان<sup>(١)</sup> وهو اسم لم تأخذه المدينة التي تحمله إلا بعد موت يشوع بمدة طويلة<sup>(٢)</sup>.

٤- تمتد الروايات في بعض الأحيان إلى ما بعد موت موسى فيروى في سفر الخروج أن بنى إسرائيل أكلوا المن أربعين يومًا حتى وصلوا إلى أرض مسكونة على حدود بلاد كنعان<sup>(٣)</sup> أى حتى هذه اللحظة التي يتحدث عنها سفر يشوع<sup>(٤)</sup> وكذلك يخبرنا سفر التكوين "وهؤلاء الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبل أن يملك ملك في بنى إسرائيل"<sup>(٥)</sup> ولاشك أن المؤرخ يتحدث عن الملوك الذين كانوا يحكمون الأدوميين قبل أن يخضعهم داود لحكمه ويضع حاميات ضده في اديميا<sup>(٦)</sup>.

وينتهى سبينوزا إلى أنه من هذه الملاحظات كلها يبدو واضحًا وضوح النهار أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة، بل كتبها شخص آخر عاش بعد موسى بقرون عديدة<sup>(٧)</sup> وأنه لما كانت توجد نصوص كثيرة أخرى في الأسفار الخمسة لا يمكن أن يكون موسى كاتبها فإن أحدًا لا يستطيع أن يؤكد عن حق أن موسى هو مؤلف الأسفار الخمسة بل على العكس يكذب العقل هذه النسبة<sup>(٨)</sup>.

ومن الذين حملوا لواء النقد أيضا بعد سبينوزا: القس الفرنسى ريتشارد سيمون، والطبيب جان استروك، ولكن الأعمال النقدية لـ "ريتشارد سيمون" تعد فاتحة على النقد الحديث<sup>(٩)</sup>.

---

(١) تكوين ١٤: ١٤ ودان اسم مدينة ويرجح أنها تقع على بعد ثلاثة أميال غربى بانياس وهى المعروفة بتل القاضي (راجع تفصيل الحديث عنها: قاموس الكتاب المقدس ص ٣٥٧).

(٢) قضاة ١٨: ٢٩.

(٣) خروج ١٦: ٣٥.

(٤) ١٢: ٥.

(٥) تكوين ١٦: ٣١.

(٦) صموئيل الثانى ٨: ١٤.

(٧) رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ٢٧١.

(٨) المصدر السابق ص ٢٧٣.

(٩) هذا الأعمال النقدية هى:

فقد أصدر عام ١٦٧٨م كتابه عن "التاريخ النقدي للعهد القديم" نفى فيه نفياً قاطعاً نسبة أسفار الشريعة إلى موسى، وأكد ما فيها من الصعوبات الخاصة بتسلسل الأحداث والتكرارات وفوضى الروايات وفوارق الأسلوب.

وتوصل إلى أنها عبارة عن مجموعة من مدونات مختلفة الأصول، كل منها تعود إلى جميل بعينه من الأجيال المتعاقبة لأنبياء اليهود يستخلصون لنبوءات من واقع تفسيرات متميزة لأحداث الماضي، فكأنهم أيضاً مؤرخون عكف كل باجتهاد وهوى على إعادة تقييم ما دونه الأسلاف - تحويراً وحذفاً وإضافة حتى توفر عليها آخر الأمر عزرا ومريدوه فجمعت أسفار الكتاب على الوجه الذى تطالعنا به اليوم<sup>(١)</sup>.

وقد أثار الكتاب ضجة وسخطاً وقوبلت دراسة ريتشارد سيمون بفرقة غضب واستنكار، فتصدى لها - ولما أن جرأت على ذلك جاليات اليهود - المفكرون المسيحيون - فإنها انتهك أيضاً لقدسية عهدهم القديم - وتزعم الحملة الكاتب الفرنسى الكبير "بوسيه" فهو من كبار أساقفة الكنيس الكاثوليكي، واستصدر قراراً بإعدام نسخ الكتاب جميعاً إلا من بضعة معدودات أفلتت فهربت إلى الخارج<sup>(٢)</sup>.

---

(أ) التاريخ النقدي لنصوص العهد القديم ودرس فيه تاريخ النصر العبرى منذ نشأته حتى الآن وشك في نسبة التوراة إلى موسى.

(ب) التاريخ النقدي لترجمات العهد العتيق وشرح فيه ظهور الترجمات ونقلها واختلافاتها.

(ج) التاريخ النقدي لنصوص العهد الجديد.

(د) التاريخ النقدي لنصوص العهد الجديد.

(هـ) التاريخ النقدي لنصوص العهد الجديد.

(راجع د/ حسن حنفى مقدمة كتاب سبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة ص ١٨- ١٩)

(١) موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص ٢٧- ٢٨.

(٢) حسين ذو الفقار صبرى: توراة اليهود ص ٧ نقلاً عن مصادر أجنبية موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص ٢٨.

أما الطبيب جان استروك<sup>(١)</sup> فقد كان أول الباحثين الذى فتحوا بابا جديداً وطرقوا الموضوع من زاويته. إذ أنه عالج "البتاتوك" من زاوية المعبود الذى يتردد - مرة تحت اسم "يهوه" وأخرى تحت اسم "الوهيم".

واستنتج من ذلك أن كلا من المجموعتين صادر عن أصل مختلف عن المجموعة الأخرى وأن هناك مجموعة ثالثة لا ترجع إلى الأصليين، وبعد دراسة طويلة نراه يقرر أن المجموعة الألوهيمية تكون الجانب الأكبر من سفر التكوين وأن المجموعة "اليهودية" ليست سوى - تكملة لها. كما أن الاصحاحات الأولى من سفر الخروج ذات أصول ألوهيمية كذلك<sup>(٢)</sup>.

ما بعد (استروك):

ودفع هذا البحث غير "استروك" للنزول فى الميدان، فاتفق معه انجهورن (١٧٨٠ - ١٧٨٢) وأضاف إليه أن الكتابات ذات الأصول الألوهيمية واليهوية لا

---

وكان ريتشارد سيمون قد تعمق فى دراسة اللاهوت بانجلترا محاولا استخلاص سمة من اتساق للمتناقضات التى تعج بها اليهوديات، ثم أصدر فى فرنسا مؤلفات فى الفلك والحساب ترجمت فيما بعد إلى اللاتينية، وقد راجت مؤلفاته فى أنحاء أوروبا، ذخراً للباحثين يهوداً كانوا أم مستشرقين حسين ذو الفقار: تورا اليهود ص٧.

(١) جان استروك: كان طبيباً للملك لويس الخامس عشر وكان يعمل استاذاً للطب فى جامعات مونبلييه وباريس وتولوز وكان ابن واعظ بروتستنى من أصل يهودى. (موريس بوكاى: دراسة الكتب المقدسة ص٢٨) (د/ بحر عبد المجيد: اليهودية ص٣٨).

(٢) ويذكر موريس بوكاى: أننا ندين لجان استروك بالبرهان الحاسم الذى قدمه فى تدحيض خرافة نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى فقد نشر فى بروكسل عام ١٧٥٣. دراسة بعنوان "قرائن عن المذكرات الأصلية التى استخدمها كاتب سفر التكوين" وأكد فيها على تعدد المصادر. ويرى موريس بوكاى أنه لم يمكن أول من أشار إلى هذا إلا أنه كانت لديه الشجاعة فى أن ينشر على الملأ ملاحظة أساسية هى وجود نصين جنبا إلى جنب فى سفر التكوين المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص٢٨. د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم ج ٣ ص ١٩١. راجع أيضا ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد/ ١ ج٢ ص٣٦٧).

تختلف فقط من ناحية اسم الرب تحت عنوان "يهوه" أو "الوهيم" بل أن هناك اختلافاً بيننا كذلك في الكلمات والجمل وطبيعة العقيدة نفسها<sup>(١)</sup>.

وأضاف باحث ثالث هو "فاتر" إلى ذلك رأياً مؤداه أننا لا نلتقى بهذه الظاهرة اليهودية والألوهيمية في التكوين وإصحاحي الخروج الأولين فحسب بل في كافة الأسفار الأربعة الأخرى ويرى أن الأسفار الخمسة تراث بدائي من مجموعتين منفصلتين متشابهتين في الوقت نفسه وربما كانت من عصرين متباعدين عرف الرب في أحدهما تحت اسم "يهوه" وفي الأخرى تحت اسم "الوهيم".

وأخذ "فاتر" يعالج الأسفار الخمسة على ضوء هذه النظرية فذهب إلى أن بالتكوين مجموعة من المتناقضات وأما الخروج فيميزه تباين المصادر اليهودية والألوهيمية وأما اللاويون فمجموعة من أشياء متباينة أما العدد فذو أصول يهوية في معظمه، وأم التثنية فالسلسلة محبوكة فيه أكثر منها في الأسفار السابقة<sup>(٢)</sup>.

ثم جاء ايلجين (١٧٩٨م) ولاحظ أن أحد النصين اللذين ميزهما استروك، هو النص الذي يسمى فيه الب بالوهيم ينقسم هو أيضاً إلى قسمين.

وبهذا - كما يقول موريس بوكاي - نفتت تماماً كتاب أسفار موسى الخمسة<sup>(٣)</sup>.

أما بحاث القرن التاسع عشر فقد كرسوا جهودهم في بحث عن مصادر أكثر دقة للأسفار الخمسة، وأوفى بيان لنتائج الأبحاث التي قاموا بها هو إلى صدر عن العالم الألماني المشهور يوليوس فلهاوزن.

ويمكن أن نقول دون أن نخوض في تفاصيل آراء فلهاوزن ومؤيديه أنهم عكسوا الترتيب التقليدي لتأليف أسفار العهد القديم، فنسبوا إلى زمن يلي موت

---

(١) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى ج ٣ ص ١٩١ - ١٩٢. د/ حسن حنفي: مقدمة رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٢٣. قارن موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص ٢٨.

(٢) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم ج ٣ ص ١٩٣.

(٣) موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص ٢٨.

موسى بعدة قرون وتكرار بعض القصص، والفروق البيئية فى اللغة والأسلوب بين أجزاء مختلفة من هذه المجموعة.

كل هذا أقنع العلماء الناقدين بأن الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى مركبة النشأة وأنها كانت فى الواقع نتيجة تصنيف من مصادر مختلفة<sup>(١)</sup>.

### المصادر الأربعة للتوراة:

وفى عام ١٨٥٤ كانت هناك أربعة مصادر مقبولة<sup>(٢)</sup> وظلت مقبولة حتى الآن وكما يقول الدكتور صبرى جرجس "والرأى يتجه الآن إلى أن الأسفار الخمسة هى مجموع أربع وثائق أدمجت بعضها فى بعض بواسطة الأحبار وصيغت فى صورتها الحالية فى القرن الرابع ق. م - وإن كانت كتابتها قد بدأت فيما يعتقد الكثيرون من الثقات أثناء فترة السبى البابلى فى القرن السادس ق. م<sup>(٣)</sup>.

وهكذا يثبت العلماء أن التوراة ترتد إلى أربعة ينابيع مختلفة: اثنان منها جوهريان قديمان، والثالث منفصل عنهما فى زمانه ومضمونه، وأما الرابع والأخير فإنه ينبثق فى مواضع معينة بصورة تكميلية وتوضيحية وهو أحدث هذه الينابيع تاريخياً<sup>(٤)</sup>.

---

(١) موسكاتى: الحضارة السامية القديمة ص ١٥٦ - ١٥٧، موريس بوكاى: دراسة الكتب المقدسة ص ٢٨، د/ صبرى جرجس: التراث اليهودى ص ٥٨. وقد أعلن فلهاوزن نظريته المشهورة القائمة على المصادر الأربعة للتوراة وتتلخص فى مبادئ ستة:

- ١- مجموعات أولى مثل كتاب أثر وكتاب حروب يهوه.
- ٢- ظهور النص الألوهيمى فى الشمال قبل النص الياهوى.
- ٣- ظهور النص الياهوى فى الجنوب الفه شخص أو جماعة.
- ٤- ضم النصين معا بعد سقوط السامرة.
- ٥- ظهور سفر التثنية من وضع أحد الأحبار وضمه للمجموعة الأولى.
- ٦- ظهور نص يحتوى على قوانين الرهينة أو القداسة، ومازالت هذه النظرية هى السائدة فى كل الدراسات النقدية عن العهد القديم (موسكاتى: الحضارات السامية ص ١٥٧ - ١٥٨، د/ حسن حنفى: مقدمة كتاب رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ٢٣ - ٢٤.

(٢) موريس بوكاى: المصدر السابق ص ٢٨-٢٩.

(٣) التراث اليهودى الصهيونى ص ٥٨.

(٤) د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى ص ٢٨.

وهذه الوثائق الأربع أو المصادر الرئيسية أطلق عليها:

#### ١- المصدر اليهودي:

وسمى بهذا الاسم لأنه يستعمل اسم العلم (يهوه) على الرب ويرمز لهذا المصدر بالحرف (j)<sup>(١)</sup> ويرجع تأليفه إلى القرن التاسع ق.م وحدده البعض بعام ٨٥٠ ق.م وتم هذا التأليف في مملكة الجنوب يهوذا<sup>(٢)</sup>.

#### ٢- المصدر الألوهيمي:

ويسمى بذلك لأنه يستعمل اسم العلم (الوهيم) على الرب ويرمز له بالحرف (E)<sup>(٣)</sup> ويرجع تأليفه إلى القرن الثامن ق.م أى حوالى ٧٧٠ ق.م فى المملكة الشمالية (إسرائيل)<sup>(٤)</sup>.

وهذان المصدران (اليهووى والألوهيمى) يتفقان فى الخطوط العريضة للموضوع - الذى يتناولانه، كما يتفقان فى طابع القصص وأسلوبه وربما كان قد حدث مزج بين الروايتين "اليهودية والألوهيمية" على ألسنة الناس فى القرون التالية على القرنين التاسع والثامن ق.م<sup>(٥)</sup>.

ويرى العلماء أن هذين المصدرين القديمين قد تم دمجهما فى مجموعة واحدة، وأن

---

(١) وهو الحرف الأول من Jahuist (اليهووى) (هوامش موسكاتى ص ٣٣٦).

(٢) موسكاتى: الحضارات السامية القديمة ص ١٥٧، ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٣٦٧، موريس بوكاى دراسة الكتب المقدسة ص ٢٧.

(٣) وهو الحرف الأول من Elahist (هوامش موسكاتى ص ٣٣٦ د/ السيد يعقوب بكر).

(٤) موسكاتى: الحضارات السامية القديمة ص ١٥٧ موريس بوكاى: المصدر السابق ص ٢٩، د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى ص ٢٩.

ويبدو أن الرواة الذين نقلوا عن هذا المصدر قديماً كانوا يعتقدون أن تسمية الرب "الوهيم" هى التسمية التقليدية القديمة للعبرانيين إلى ظهور موسى.

وأن اسم "يهوه" لم يظهر إلا مع الدعوة الموسوية نفسها لذلك حرصوا على تمييز المعبود باسم "الوهيم" لقدمه فى الأمة ولأن دلالة أعم فهو ليس اسم علم فى الأصل ومعناه إله أو آهة أو الله.

(د/ حسن ظاظا: المرجع السابق ص ٢٩).

(٥) د/ حسن ظاظا: المصدر السابق ص ٢٩.

القصص الخاصة بهما قد امتزجت في قصة واحدة ويذكر ول ديورانت أن ذلك تم بعد سقوط السامرة عام ٧٢٢ ق.م<sup>(١)</sup>.

ويرى موسكاتى أن ذلك تم في عام ٦٥٠ ق.م<sup>(٢)</sup>، وعلى أى حال فإنها قد امتزجا قبل أن تنبثق بقية المصادر الأربعة<sup>(٣)</sup>.

### ٣- المصدر التثنوى:

ويرمز لهذا المصدر بالحرف (D)<sup>(٤)</sup>، وقد أعلن العثور عليه في عهد الملك يوشيا (ملك يهوذا) في القرن السابع ق.م أى حوالى ٦٢٣ ق.م<sup>(٥)</sup>.

### ٤- المصدر الكهنوتى:

ويرمز له بالحرف (P)<sup>(٦)</sup> وهو عبارة عن حواش أو فصول أضافها الكهنة إلى نص التوراة على عهد نحميا وعزرا.

والرأى الغالب أن هذه الفصول تكون الجزء الأكبر من سفر الشريعة الذى أذاعه عزرا، وترجع هذه الفصول أو تلك الحواشى إلى عصر ما بعد النفى أى القرن السادس ق.م، وقيل إنها ترجع إلى القرن الخامس ق.م وإلى النصف الأخير منه على التحقيق<sup>(٧)</sup>.

(١) قصة الحضارة مجلد ١١ ج ٢ ص ٣٦٧-٣٦٨.

(٢) الحضارة السامية القديمة ص ١٧٥.

(٣) لوسيان جوتيه نقلاً عن د/ حسن ظاظا: المصدر السابق ص ٢٩-٣٠، وتقول كاترين هنرى "يعتقد كثيرون من العلماء أن مجموعات ووثائق هذين المصدرين كانت أول الأمر أحاديث سماعية متواترة ثم نسجت نسيجاً واحداً في قصة واحدة كما تنسج الخيوط المختلفة في قطعة واحدة من القماش (التاريخ في الكتاب ص ٥٠).

(٤) وهو الحرف الأول من (Deterenomy) أى التثنية (د/ السيد يعقوب بكر: هوامش موسكاتى ص ٣٣٦).

(٥) راجع موسكاتى: الحضارات السامية ص ١٥٧.

د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى ص ٣٠.

د/ فؤاد حسنين: التوراة الميروغليفية ص ٥١-٥٢.

(٦) وهو الحرف الأول من (Priestly) (الكهنوتى) (هوامش موسكاتى ص ٣٣٦).

(٧) راجع دول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٣٦٨، موسكاتى: الحضارات السامية ص ١٥٧، موريس بو كاي: دراسة الكتب المقدسة ص ٢٩، د/ فؤاد حسنين على: التوراة الميروغليفية ص ٤٧ - ٤٩، د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى ص ٣٠، د/ سامى سعيد الأحمد: الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية ص ٢٨.

بهذا أذن ومن خلال التواريخ المذكورة للمصادر الأربعة يتضح لنا أن تحرير نص الأسفار الخمسة قد امتد أكثر من ثلاثة قرون على أقل تقدير، ولكن المشكلة فيما يقول موريس بوكاي أكثر تعقيداً من هذا ففي سنة ١٩٤١ استطاع لودز أن يميز في الوثيقة اليهودية ثلاثة مصادر وفي الوثيقة الألوهيمية أربعة وفي سفر التثنية ستة وفي النص الكهنوتي تسعة وهذا "دون حساب الإضافات الموزعة بين ثمانية محررين"<sup>(١)</sup>.

وقد أدى تعدد مصادر الأسفار الخمسة إلى تنافر وتكرارات وتداخلات عديدة في نصوصها.

ويعطى الأب ديفو أمثلة على تعقد هذه الموروثة الخاصة بالخلق وأنسال قابيل والطوفان واختطاف يوسف وما جرى له بمصر والاختلافات الخاصة بأسماء شخص واحد والتصورات المختلفة للأحداث الهامة<sup>(٢)</sup>.

وبذلك يتضح أن الأسفار الخمسة قد تكونت من أقوال موروثة مختلفة جمعها بشكل يقل أو يزيد حذفاً، محررون وضعوا تارة ما جمعوا جنباً إلى جنباً إلى جنب وطوراً غيروا من شكل هذه الروايات بهدف إيجاد وحدة مركبة، تاركيين للعين أموراً غير معقولة وأخرى متنافرة كان من شأنها أن قادت المحدثين إلى البحث الموضوعي عن المصادر<sup>(٣)</sup>.

---

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٢٩.

وسيتضح لنا في الفصل الأول من الباب الثالث اكتشاف لودز وغيره لمصادر أخرى استقت منها الأسفار وهي مصادر سومرية وبابلية وكنعانية.

(٢) لقد تداخلت المصادر الأربعة بعضها في البعض الآخر والأمثلة على ذلك كثيرة ومنها الإصحاح الثاني عشر من سفر الخروج الذي تبين للعلماء أنه ليس وحدة متماسكة وإنما يتألف من أجزاء كانت مستقلة في الأصل ثم أدمج بعضها في بعض وخاصة البيات ٢١-٢٧ التي تتناول عيد الفصح، وأما عن تداخل وامتزاج ثلاثة مصادر وهي: اليهودى والألوهيمى والكهنوتى، فأوضح الأمثلة على ذلك الإصحاح السابع والثلاثون من سفر التكوين الخاص بفصل من فصول قصة يوسف، وقد قام الدكتور حسن ظاظا ببيان ذلك تفصيلياً في كتابه الفكر الدينى الإسرائيلى ص ٣١-٣٥.

وأما بخصوص قصتي الخلق والطوفان فتفصيل الحديث عنهما في الباب الثالث عند بيان مظاهر تأثر اليهودية بالأديان الوثنية في القصص الدينى والأساطير.

(٣) موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٢٩.

واستدل بعض الباحثين المعاصرين للبرهنة على أن الأسفار الخمسة ليست هي التوراة المنزلة على سيدنا موسى من حيث اللغة التى كتبت بها الأسفار.

فذكر الدكتور فؤاد حسنين على - فى رأى لم يسبق إليه كما يقول - أن التوراة العبرية التى هى بين أيدينا (الأسفار الخمسة الحالية) ويؤمن بها اليهود وغيرهم ليست توراتنا التى أنزلت على موسى لسبب جوهرى صحيح هو أنها جاءتنا فى اللغة العربية.

والعبرية لم يعرفها موسى ولم يعرفها الإسرائيليون طيلة حياة موسى، فموسى عاش وتوفى قبل أن توجد العبرية يعرفها الإسرائيليون فكما تذكر المصادر اليهودية وغيرها ولد فى مصر وتسمى باسم مصرى وتهذب بكل حكمة المصريين.

وينتهى الدكتور فؤاد حسنين إلى أن صحف موسى وتوراته لم تدون فى العبرية بل فى المصرية القديمة، فتوراة موسى إذن هيروغليفية الأصل<sup>(١)</sup>.

ويذهب الدكتور حسن ظاظا إلى أننا لا نعرف معرفة يقينية اللغة التى كتب بها موسى رسالته، ومهما يكن من شئ حتى على افتراض أنها العبرية فلاشك أنها كانت تختلف اختلافاً بيناً جداً عن عبرية النص المقدس الذى بين أيدينا اليوم.

فلا بد أنه مع جمع نصوص العهد القديم العبرى وكتابتها، حدث طوعاً أو كرهاً "تنسيق" لا فى السياق والترتيب فحسب بل فى اللغة أيضاً فبين موسى وتجميع الأسفار الخمسة ما يقرب من ألف عام لاشك أن اللغة ككل تطورت تطوراً كبيراً<sup>(٢)</sup>.

وهكذا - كما تبين لنا - وكما يقول الدكتور على عبد الواحد وافي - ظهر للمحدثين من الباحثين من ملاحظة اللغات والأساليب التى كتبت بها الأسفار الخمسة وما تشتمل عليه من موضوعات وأحكام وتشاريع، والبيئات الاجتماعية والسياسية

(١) راجع تفصيل هذا رأى: التوراة الهيروغليفية ص ٣-٨، ص ٥٧-٥٩.

(٢) الفكر الدينى الإسرائيلى ص ٢٧-٢٨.

التى تنعكس فيها، ظهر لهم من ملاحظة هذا كله أنها قد ألفت فى عصور لاحقة لعصر موسى بأمد غير قصير<sup>(١)</sup>.

وأن معظم سفرى التكوين والخروج ألف حوالى القرن التاسع ق.م وأن سفرى العدد واللاويين قد ألفا فى القرنين الخامس والرابع ق.م أى بعد النفى البابلى، وأنها جميعاً مكتوبة بأقلام اليهود، وتتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التى كانت سائدة لديهم فى مختلف أدوار تاريخهم.

فهى إذن تختلف كل الاختلاف عن التوراة التى يذكر القرآن الكريم أنها كتاب سماوى مقدس أنزله الله على سيدنا موسى عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

يقول تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنَى إِسْرَءِيلَ﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾<sup>(٥)</sup>.

#### القرآن الكريم وتعريف التوراة:

ومن الجدير بالذكر أن القرآن الكريم كان أول من نبه إلى أن اليهود قاموا بتضيع التوراة المنزلة على سيدنا موسى وتحريفها، وأن فريقاً منهم قام بتأليف أو بكتابة الكتاب بأيديهم ثم زعموا نسبته إلى الله وما هو من عند الله، وأنهم قاموا بإخفاء وكتمان أجزاء كثيرة من التوراة الصحيحة.

يقول الله تعالى فى بيان تضيع اليهود المنزلة وإهمالهم لها، وقلة مبالاتهم بها وبأحكامها:

(١) يقع عصر موسى على الأرجح فى القرن الثالث عشر ق.م.

(٢) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص ١٧.

(٣) هود: ١٧.

(٤) الإسراء: ٢.

(٥) آل عمران: ٢، ٣، ٤.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجِمَارِ تَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِقَايَتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وبين سبحانه أنهم فقدوا أجزاء منها، ونسوا أجزاء أخرى، وأن الأجزاء التي لم يفقدوها والتي نسوها قاموا بكتابتها وإخفائها، يقول تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضَلُّوا السَّبِيلَ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾<sup>(٣)</sup>

﴿قُلْ مَن أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ أَلَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿يَتَأْهَلِ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) الجمعة: ٥ (ويذكر المفسرون أن اليهود حملوا التوراة أى كلفوا أمانة العمل بها أو هى من الكفالة بمعنى أنهم ضمنوا أحكامها ولكنهم لم يحملوها أى لم يعملوا بها ولم ينفذوا أحكامها فصاروا كالخمار الذى يحمل الكتب الضخام وليس له منها إلا ثقلها وهو ليس صاحبها وليس شريكاً فى الغاية منها وهى صورة رزيه بائسة ومثل سئ شائن).

(راجع الفخر الرازى فى التفسير الكبير جـ ٢٠ صـ ٤-٦ الطبعة الثالثة دار إحياء التراث العربى بيروت).  
القرطبي: الجامع لأحكام القرآن جـ ١٨ صـ ٩٤-٩٥ نشر دار الكاتب العربى للطباعة والنشر وزارة الثقافة بمصر ١٩٦٧ م.

سيد قطب: فى ظلال القرآن المجلد السادس صـ ٣٥٦٧ دار الشروق ١٩٨٢ م.

(٢) النساء: ٤٤.

(٣) المائدة: ١٣ تعبير القرآن الكريم (أوتوا نصيباً من الكتاب) إشارة إلى أنهم لم يحفظوا الكتاب كله، بل فقدوا حظاً ونصيباً آخر منه بجانب الحظ الذى نسوه وكان ذلك لعدم حفظهم للكتاب فى صدورهم وعدم كتابتهم أكثر من نسخة منه، والظاهر أن التنكير فى قوله تعالى (نصيباً، وحظاً) للتعظيم أى ما نسوه واضاعوه كثير وما أوتوه وحفظوه كثير أيضاً.

(راجع تفسير المنار جـ ٣ صـ ١٢٩ - ١٣١ جـ ٥ صـ ١١١ - ١١٢ من المجلد الثالث والجزء السادس صـ ٢٣٤ - ٢٣٥، ٢٣٨).

(٤) الأنعام: ٩١.

(٥) المائدة: ١٥.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَدَشَرُوا بِهِ ثُمَّ قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾<sup>(٢)</sup> أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابُ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ<sup>(٣)</sup>.

ثم بين سبحانه أن الأجزاء التي لم ينسوها ولم يخفوها قاموا بتحريفها.

﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَفُوا الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾<sup>(٥)</sup>.

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) البقرة: ١٥٩.

(٢) البقرة: ٧٤: ١٧٥.

(ولعل القرآن الكريم يشير هنا إلى ما يعرف بالأسفار الخفية لدى اليهود ويذكر الدكتور وافي أن بعض هذه الأسفار غير مقدس ولا معتمد في نظرهم بينما بعضها الآخر مقدس ومعتمد في نظرهم ولكن رأى أحبارهم وجوب اخفائه وقرروا أنه لا يجوز أن يقف عليه الجمهور ولا أن يدرج في أسفار العهد القديم، ومن هذا يظهر أن السفر قد يكون خفياً ومقدساً في آن واحد عند اليهود.

(الأسفار المقدسة ص ١٢٣)

(٣) النساء: ٤٦.

(٤) المائدة: ١٣.

(٥) المائدة: ١٤ (والتحريف هو التغير والتبديل وأصله من الانحراف عن الشيء فمعنى يحرفونه: يبدلون معناه وتأويله ويغيرون والتحريف يكون في اللفظ والمعنى، وقد وقع النوعان معا من اليهود).

(راجع تفسير الطبري ج ٢ ص ٢٤٨ - ٢٤٩ الفخر الرازي ج ٣ ص ٢٣٤ - ١٣٥)

وأشار القرآن الكريم إلى أن فريقاً منهم هو الذى قام بالتحريف وأنهم يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله وما هو من عند الله.

﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ تَنَحَّرُوهٖ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَغْلَمُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۢ بَعْدِ اللَّهِ لَیْسَتْ بِهٖئِلَٰهِنَا قُلُوبٌ ۖ فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۢ بَعْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنَ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

ويبين القرآن الكريم أن هناك مجموعة أمية من اليهود تتلقى هذا التحريف وهذا التبديل دون أن تعلم إلا الأوهام والأمانى والظنون.

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانًى وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقد أشار الرسول "صلى الله عليه وسلم" إلى عبث اليهود بالتوراة وقيامهم بتحريفها وتغييرها إذ أنه رأى ورقة من التوراة فى يد عمر فأمره بإلقائها وأن لا يضيع وقته فى قراءة ما بها من كذب وتحريف ثم قال

(١) البقرة: ٧٥.

(٢) البقرة: ٧٩.

(٣) آل عمران: ٧٨.

والفريق المشار إليه فى الآية الكريمة هم أعلم اليهود وأعرفهم بالحقبة هم الأخبار والرabanion الذى حرفوا الكلام لا عن جهل ولكن عن عمد للتحريف وعلم به يدفعهم الهوى وتقودهم المصلحة ففى تلك الآية نص فى التعمد وسوء القصد.

(راجع تفسير الطبرى ج ٢ ص ٢٤٩، تفسير الفخر الرازى ج ٣ ص ١٣٥-١٣٦، تفسير النار ج ١ ص ٢٩٤-٢٩٦، سيد قطب: فى ظلال القرآن ج ١ ص ٨٤).

(٤) البقرة: ٧٨.

"ألم آتكم بها بيضاء نقية؟ والله لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا اتباعي" <sup>(١)</sup>.

أى أن هذه التوراة المزعومة ملطخة بسواد التحريف والتغيير وقد أنزل الله على رسوله "صلى الله عليه وسلم" في القرآن ملخصاً لما كانت تشتمل عليه التوراة من عقيدة وشريعة وقصص، فأحيائها في صورتها الصحيحة نقية بيضاء، وأن موسى لو بعث الآن لتبرأ من توراتهم واتبع القرآن الذى أنزل على سيدنا محمد "صلى الله عليه وسلم" <sup>(٢)</sup>.

ولعل من الأهمية أيضاً أن أشير إلى أن المنهج النقدي للتوراة لا يرجع الفضل في حدوثه إلى الكتاب الغربيين كما قد يظن، وإلى أنه ليس منهجاً مستحدثاً في العصر الحديث وإنما الحقيقة أنه يعود إلى المسلمين في عصور الإسلام الأولى.

### ابن حزم ونقد التوراة:

ومن أبرز العلماء المسلمين الذين تعرضوا لنقد التوراة بل من أوائلهم الإمام ابن حزم الظاهري المتوفى عام ٤٥٦ هـ.

ويعتبر كتابه "الفصل في الملل والأهواء والنحل" بما اشتمل عليه من نقد علمي للتوراة أول دراسة نقدية لنصوص الكتاب المقدس تسبق بآماد طويلة تلك الدراسة التي ظهرت بوادرها في أوروبا في القرن السابع عشر وازدهرت في القرن التاسع عشر كما ذكرت <sup>(٣)</sup>.

---

(١) (أورد ابن كثير نصوص عدد من الأحاديث في هذا المعنى عن الإمام أحمد) (راجع تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٤٦٧-٤٦٨). راجع أيضاً فتح الباري لابن حجر ج١٣ ص٥٢٢-٥٢٦ وجه ص٢٩١-٢٩٢ المطبعة السلفية محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب.

(٢) راجع د/ على وافي: الأسفار المقدسة ص١٨.

(٣) مما يشهد بسبق ابن حزم في نقد نصوص الكتاب المقدس ما ذكره مرجليوث في موسوعة الدين والأخلاق المجلد التاسع ص٤٨٢ إذ قال "إن دراسات ابن حزم للأسفار الخمسة في العهد القديم أدت به إلى السبق في إيراد بعض الاعتراضات التي أدلى بها النقاد الحديثون من أمثال الأسقف ج. كولنسو، ولهذا الأسقف كتاب ضخيم عنوانه (الفحص النقدي للأسفار الخمسة) وقد هاجم فيها

وفي هذا الكتاب اهتم ابن حزم بنقد التوراة التي بأيدي اليهود اهتماما كبيرا وأثبت أنهم حرفوها وبدلوها واعتمد في إثبات تحريفها على نظريتين أساسيتين:

١- النظرة إلى النصوص ذاتها من حيث كذبها وتناقضها ومغايرة الواقع الذي كشف عنه من داخل التوراة نفسها وأماط عنه اللثام ليكون برهاناً لكل ذى عينين على أنه لا يمكن أن يكون من عند الله - عز وجل - وبذلك استطاع أن يجعل التوراة نفسها تحمل بين جنبها دليل هدمها وبرهان بطلانها<sup>(١)</sup>.

٢- النظرة إلى عوامل تاريخية: ويقصد بها الظروف التي مرت بها التوراة منذ أن توفي موسى إلى وقت كتابتها بإجماع من كتبهم واتفاق من علمائهم، فبين أن بنى إسرائيل قد ارتدوا سبع ردادات فارقوا فيها الإيثار وجأهروا بالكفر وعبادة الأوثان<sup>(٢)</sup>.

ثم يتساءل بحق: أى كتاب يبقى مع تمادى الكفر ورفض الإيثار هذه المدد الطوال في بلد صغير مقدار ثلاثة أيام في مثلها فقط ليس على دينهم وإتباع كتابهم أحد على ظهر الأرض غيرهم؟!<sup>(٣)</sup>.

---

دعوى تأليف موسى للأسفار الخمسة ونشره في سبعة أجزاء من سنة ١٨٦٢-١٨٧٩م، وأيضاً فإن د/ فيليب حتى يقول عن ابن حزم "أما أنفس كتبه الباقية إلى الآن وأفيدها هو" الفصل في الملل والأهواء والنحل "الذى يؤهل مؤلفه لاحتلال مركز الأولوية بين العلماء الذين عنوا بدراسة الأديان على سبيل النقد والمعارضة، وفي هذا الكتاب لفت ابن حزم الانظار إلى بعض مشاكل في قصص التوراة لم يتنبه لها فكر أحد من العلماء حتى ظهور مدرسة نقد التوراة العلمى في القرن السادس عشر (راجع بيان ذلك بالتفصيل: د/ فيليب حتى: العرب: تاريخ موجز ص ١٨١ الطبعة الرابعة ١٩٦٨ دار العلم للملايين بيروت، عبد العزيز عبد الحق حلمي: مقدمة كتاب الرد الجميل للإمام الغزالي ص ٧٩-٨٣، نشر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م، د/ محمود على حمادة: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان ص ١٤٩-١٥١ دار المعارف الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

(١) راجع كتابة الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ص ٩٨-١٧٦ نشر مكتبة الخانجي القاهرة د/ محمود على حمادة: المصدر السابق ص ٢٥٤-٢٦٠.

(٢) راجع الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ص ١٨٧-٢١٠، د/ محمود على حمادة المصدر السابق ص ٢٦٠-٢٦٢.

(٣) د/ محمود على حمادة: المصدر السابق ص ٢٦٠.

فكان منهج ابن حزم في نقده للتوراة يتمثل في بيان معارضة نصوصها بعضها ببعض وإظهار ما فيها من اضطراب وتناقض واختلاف، ورد الروايات التاريخية التى تصادم مقررات العلوم على ما وصلت إليه في عصره من الحساب والهندسية والجغرافيا والحيوان والنبات، وبالجملة كل ما يتعارض مع القوانين اليقينية الثابتة المطردة التى يسير العالم والمجتمع الإنسانى حسب مقتضياتها.

وقد كان هذا عند ابن حزم كذبا ومجالا من باب ما يتسلى به العجائز من الخرافات والأسفار<sup>(١)</sup>.

وكان من أقوى ما استدل به ابن حزم على أن الأسفار الخمسة ليست لموسى عليه السلام حديث سفر التثنية عن وفاة موسى عليه السلام وأنه لم يعرف موضع قبره إلى اليوم.

فقد قال ابن حزم "هذا آخر توراتهم وتامها وهذا الفصل شاهد عدل وبرهان تام ودليل قاطع وحجة صادقة في أن توراتهم مبدلة وأنها تاريخ مؤلف كتبه لهم من تخرص بجهله أو تعمد بفكره، وأنها أيضا غير منزلة من عند الله تعالى إذ لا يمكن أن يكون هذا الفصل منزلاً على موسى في حياته فكان يكون إخباراً عنهما لم يكن بمساق ما قد كان.

وهذا هو محض الكذب تعالى الله عن ذلك، وقوله ولم يعرف قبره آدمى إلى اليوم بيان لما ذكرنا كاف وأنه تاريخ ألف بعد دهر طويل ولا بد<sup>(٢)</sup>.

---

(١) عبد العزيز عبد الحق: مقدمة الرد الجميل للإمام الغزالي ص ٨٤-٨٤. وجدير بالذكر أن العلامة الأنثروبولوجى السير جيمس فريزر (١٨٥٤-١٩٤١) قد عالج هذا الموضوع في كتابه (الفولكلور في العهد القديم) ترجمة: د/ نبيلة إبراهيم، وسأرجع إليه في الباب الثالث إن شاء الله.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج١ ص ١٨٦. ويقول ابن حزم بعد نقده للتوراة "ها هنا انتهى ما وجدنا من التوراة التى اتفق عليها اليهود والنصارى - من الكذب الظاهر في الأخبار وفيما يخبر به عن الله تعالى ثم عن ملائكته ثم عن رسله عليهم السلام، ولو لم يكن فيها إلا فصل واحد من الفصول التى ذكرنا لكان موجبا ولا بد لكونها موضوعة محرفة

وكان ذكر وفاة موسى في التوراة اليهودية من أظهر البراهين التي استدل بها أيضًا الإمام القرطبي ت(٦٧١هـ) على أنها ليست المنزلّة على سيدنا موسى وقد ناقش هذا الأمر مناقشة موضوعية وقيمة في كتابه "الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام"<sup>(١)</sup>.

فهو يقول "إنها - أى التوراة التي بأيدي اليهود - لم تترك على ما كانت في الألواح التي كتبها الله تعالى لموسى، ولا على ما انتسخها لهم موسى بل زيد فيها، ولا بد، ما ليس منها، ولا كان في الألواح التي كتبها الله لموسى.

ويدل على ذلك أن في آخر السفر الخامس أن "موسى توفي في أرض مؤاب... ولا يشك الواقف على هذا التاريخ وهذه الوفاة: أنها ليست مما أنزل الله على موسى ولا مما كتبها موسى عن نفسه، وإنما هي من إثبات من أراد أن يثبتها بعد وفاة موسى بزمان.

ويدل على ذلك قوله "ولم يعرف إنسان موضع قبره إلى اليوم" يريد به: اليوم الذى كتب فيه هذا، وهذا بين عند المنصف، ومع بيانه، فليس أحد من اليهود والنصارى فيما أعلم يقول: إن التوراة زيد فيها شئ بعد موسى، ولا يفرق بين هذا الكلام وغيره، بل هي كلها عندهم كلام الله، وهذا جهل عظيم، وخطب جسيم.

فهم بين أمرين: إما أن يقولوا: إن هذا الكلام هو مما كتبه الله لموسى وأخبر به موسى أو يقولوا: إنه ليس مما أخبر الله به موسى، ولم يخبر به موسى.

فإن قالوا: الأول: كذبهم مساق الكلام، فإنه المفهوم منه على القطع: أنه كتب بعد وفاة موسى بزمان.

---

مبدلة مكذوبة، فكيف وهى سبعة وخمسون فصلا من جملتها فصول تجمع الفصل الأول منها سبع كذبات أو متناقضات فأقل سوى ثمانية عشر فصلا لتكاذب فيها نص توراة اليهود مع نص تلك الأخبار بأعيننا عند النصارى والكذب لائح ولا بد في إحدى الحكايتين فما ظنكم بمثل هذا العدد من الكذب، والناقضة في مقادير توراتهم (راجع الفصل جـ ١ ص ١٨٦-١٨٧)

(١) تقديم وتحقيق وتعليق د/ احمد حجازى السقا - نشر دار التراث العربى بالقاهرة ١٩٨٠م.

وإن قيل بالقول الآخر قيل لهم: فلأى شئ خلطتم كلام الله بكلام غيره، وأجريتموها في نسق واحد، وزدتم على كلام الله ولم تشعروا بذلك، بل نسبتم كل ذلك إلى أن الله أنزله؟.

وإذا جاز مثل هذا، ولم يتحرز منه، جاز أن يكون كل حكاية منها لا يصح نسبتها إلى الله زائدة، ولا سيما الحكايات الركيكة التي تحكى فيها عن الأنبياء التي لا يليق ذكرها بسفلة الناس، وغالب الظن - ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى - أن السفر الأول هو سفر البدء والانساب (يقصد سفر التكوين) مما زيد على كلام الله تعالى ولم يشعروا بزيادته<sup>(١)</sup>.

ونستطيع أن نستخلص من خلال هذا العرض السريع من دراسات العلماء والباحثين القدماء منهم والمحدثين المسلمين منهم وغير المسلمين إلى أن كتبة التوراة أو الكهنة ما فتئوا يلحون في العبث بتوراة موسى فلم تقف أسفارها عند وضع ولا استقر قرارها حتى عهد الاسكندر الأكبر<sup>(٢)</sup>، فأصبحت تنطوى على أمور لا يسوغ أن تكون قد أوحى بها إلى موسى ولا أن يكون موسى قد جاء بها من عنده أو بلغت مسمعه<sup>(٣)</sup>.

بل إن الناظر فيها لا يجد فيها دليلاً على نسبتها إلى موسى عليه السلام فكما يقول

- 
- (١) راجع الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ١٤٨-١٤٩.
- راجع أيضاً في هذا الموضوع الفقيه علاء الدين البابجي الشافعي المتوفى ٧١٤هـ في كتابه على التوراة والذي نقد فيه التوراة اليونانية ص ١٤٨-١٤٩ تحقيق الدكتور/ أحمد حجازي السقا - نشر دار الأنصار ١٩٨٠.
- (٢) يذكر العلماء أن التوراة على شكلها الحالي قد مرت من غير شك بمراحل متعددة تطورت خلالها مادتها من رواية إلى اختيار وتنقيح وحذف ثم تدوين ولم يبق من النسخة المنقولة على ألسنة هؤلاء الكهنة إلا ما علق بالأذهان مما لا يعتمد عليه حتى ظهرت التوراة العبرية المتداولة الآن، وأن الأسفار الخمسة أخذت صورتها التي نعرفها خلال سبي اليهود في بابل على الأرجح بين عامي ٥٨٦-٥٣٨ ق.م ثم تناولها التنقيح منذ هذه المرحلة حتى قيام الاسكندر (مدى قرنين من الزمان)، ويذكر - ول ديورانت أنها قد اتخذت هذه الصورة الحاضرة حوالي عام ٣٠٠ ق.م (راجع قصة الحضارة مجلد ١ ص ٢٤٦-٣٦٨ د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم ج ٣ ص ١٦٥).
- (٣) عصام الدين حنفي ناصف: محنة التوراة على أيدي اليهود ص ٦٧.

قاموس الكتاب المقدس "وليس في الأسفار ذاتها آية واحدة تؤكد أن موسى هو كاتبها كلها"<sup>(١)</sup>.

وإذا ما وجدنا فيها خبراً يفيد ذلك فإنه ينسحب إلى تأليف عبارات بعينها<sup>(٢)</sup> فهي قاصرة عليها ولا تعني التوراة كلها، وحتى هذه العبارات التي قد يفهم منها أنها لموسى تشير في الواقع إلى أن المؤلف قد يشير على أنها لموسى ولا تفيد أن موسى هو الذى كتب هذه التوراة<sup>(٣)</sup>.

وما نجده في العهد الجديد بخصوص التوراة أو الشريعة أو الناموس لا يختلف كثيراً عما جاءنا في العهد القديم أعنى لا يقوم دليلاً على صحة نسبة تأليف هذه التوراة إلى موسى<sup>(٤)</sup>.

ولذلك فقد هجر - كما يقول موريس بوكاي - فرض نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى تماماً والكل يتفق على تلك النقطة<sup>(٥)</sup>.

ولم يبق أى من العلماء التورانيين من يقبل بنظرية تأليف موسى لهذه الأسفار<sup>(٦)</sup>.

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٣٤٨.

(٢) مثلاً: كتاب العهد (خروج ٢٤: ٧٢٤) و"عبادات العهد" (خروج ٣٤: ٢٧-٢٨) والتقارير الخاص بحرب العمالة (خروج ١٧: ٤) (ووصف المعسكر) عدد ٣٣: ٢) وشريعة الشئبة) تثنية ٣١.

(٣) د/ فؤاد حسنين: التوراة الهيروغليفية ص ٤١.

(٤) انجيل لوقا ٢: ٢٢ / ٤٤: ٤٤ انجيل يوحنا ٧: ٢٣ د/ فؤاد حسنين: المرجع السابق ص ٤١.

(٥) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ١٣.

(٦) سهيل ديب: التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ١٣.

ويكفى هنا أن أنقل ما ورد في مقدمة الطبعة الكاثوليكية للعهد العتيق عن أسفار الشريعة الخمسة "لقد كان اليهود، أقله في بدء التاريخ المسيحى يسندون إلى موسى تأليف هذه المجموعة الواسعة وقد جاراها المسيح ورسله - في نظرهم - في هذا الاصطلاح والواقع أن خلاصة الباتناتيك أى جوهر التقاليد المدونة فيه ونواة التشريع تتصل دون ريب بالزمان الذى فيه بدا إسرائيل كشعب منظم وذلك الزمان تسوده شخصية موسى الكبيرة فهو وسيط الوحي الإلهي ومنظم الشعب المختار والمشتري الأول انما مصنفة المهلم لم يحتفظ به وديعة ميتة في دار المحفوظات بل كان مندمجاً في حياة الشعب مما يوجب على الشريعة أن تتطابق والحاجات الجديدة.

ولنا أن نتساءل الآن: إذا كان قد تبين لنا أن سيدنا موسى عليه السلام لم يكتب الأسفار الخمسة ولم يقد بتأليفها فمن الذى كتبها أو من هو جامعها؟

لقد ذهب سبينوزا إلى أن الأسفار الخمسة - وما بعدها من أسفار: يشوع والقضاة وصموئيل الأول والثانى والملوك الأول والثانى - إذا نظرنا إلى تسلسلها وإلى محتواها رأينا بسهولة أن الذى كتبها مؤرخ واحد أراد أن يروى تاريخ اليهود القديم منذ نشأتهم الأولى حتى هدم المدينة لأول مرة<sup>(١)</sup>، ويرى أن طريقة تسلسل هذه الأسفار تكفى وحدها لإثبات أنها تضم رواية لمؤرخ واحد.

فمجموع النصوص والترتيب الذى تتعاقب به الروايات يدل على أن كاتبها مؤرخ واحد له غرض محدد<sup>(٢)</sup>.

وورد فى المقدمة أيضاً أن كثيراً من علامات التقدم تظهر فى روايات هذا الكتاب وشرائعه مما حمل المفسرين من كاثوليك وغيرهم على التفتيح عن أصل الأسفار الخمسة الأدبى فى عالم كاثوليكي فى عصرنا يعتقد أن موسى ذاته قد كتب كل الباناتيك منذ قصة الخلق إلى قصة موته. كما أنه لا يكفى أن يقال أن موسى أشرف على وضع النص الذى دونه كتبه عديدون "فى غضون أربعين سنة، بل يجب القول مع لجنة الكتاب المقدس البابوية (١٩٤٨) أنه يوجد "ازدياد تدريجى فى الشرائع الموسوية سببته مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية، تقدم يظهر أيضاً فى الروايات التاريخية" ص ٣-٤.

- (١) يقصد هدمها بواسطة البابليين فى عام ٥٨٦ ق.م مع وقوع السبى البابلى.
  - (٢) فهو يبدأ بقصة النشأة الأولى للأمة العبرية ثم يخبرنا بعد ذلك بالترتيب ما المناسبة وفى أى الأوقات أقام موسى الشرائع وأقام تنبؤاته العديدة للعبرانيين، بعد ذلك يخبرنا كيف استولوا على الأرض الموعودة كما تنبأ لهم موسى (انظر التثنية: ٧ ثم كيف تركوا الشرائع بعد أن استولوا على الأرض (التثنية ٣١: ١٦، وما نتج عن ذلك من مصائب (نفس الإصحاح: ١٧)، وكيف أرادوا بعد ذلك انتخاب ملوك (تثنية ٧: ١٤ كانوا بدورهم يزدهرون أو يتدهورون بمقدار طاعتهم للشرائع أو تركهم لها (تثنية: ٢٨: ٣٣)، والآية الأخيرة حتى انهيار الدولة الذى وقع كما تنبأ موسى به.
- أما ما عدا ذلك مما لا يمكن استخدامه لتأييد الشريعة، فإن الراوى أما يتجاهله تماماً وأما يحيل القارئ إلى مؤرخين آخرين. فهذه الأسفار إذن تستلهم كلها فكراً واحداً وترمى إلى غاية واحدة هى تعليم الشريعة التى أملاها موسى والبرهنة بالحوادث على صدقها (رسالة فى اللاهوت ص ٢٧٦ - ٢٧٧)

ويقول "إذا أخذنا في اعتبارنا هذه الخصائص الثلاث: وحدة الغرض في جميع هذه الأسفار، وطريقة ربطها فيما بينها وتأليفها بعد الحوادث المروية بقرون عديدة نستنتج كما قلنا من قبل أن مؤرخاً واحداً هو الذى كتبها"<sup>(١)</sup>.

أما من هو هذا المؤرخ فإن سبينوزا لا يستطيع أن يحدده بوضوح وإنما يرتاب في أن يكون عزراً.

ويقوم افتراضه هذا - فيما يقول - على أسباب وجيهة إلى حد بعيد<sup>(٢)</sup>.

ومما قاله في هذا الشأن "أن سفر التثنية لا يحتوى على شريعة موسى فحسب أو على أكبر جزء منه على أقل تقدير بل يتضمن أيضاً شروحات كثيرة أضيفت إليه" عزرا والذى - يحتوى على عرض الشريعة وشرحها الذى قرأه هؤلاء الرجال الذين يتحدث عنهم جميعاً.

ويذكر أنه قد تبين لنا في شرحنا لفكر ابن عزرا أن هناك شروحات كثيرة قد أدخلت في ثنايا سفر التثنية<sup>(٣)</sup>.

ولنصف إلى ذلك مقدمة السفر وكل النصوص التى تتحدث عن موسى بضمير الغائب، - بالإضافة إلى عدد كبير من الإضافات والتغيرات في النص لا نستطيع

---

(١) المصدر السابق ص ٢٧٧.

(٢) من هذه الأسباب: انه لما كان المؤرخ يمتد بروايته حتى تحرير يهوياكين ويضيف أن الراوى - كان جالساً طيلة حياته على مائدة الملك فلا يمكن أن يكون الراوى سابقاً على عزرا، ولكن الكتاب لا يذكر أحداً ازدهر في ذلك الوقت سوى شهادة الكتاب الوحيد بعزرا (عزراً ٧ : ١٠) الذى عكف بحماس بالغ على دراسة شريعة الله وعرضها وأنه كان كاتباً ملماً كل الإلمام بشريعة موسى وإذن فنحن - كما يقول سبينوزا - لا نجد شخصاً آخر سوى عزراً يمكن الاشتباه في أن يكون مؤلف هذه الأسفار، ومن ناحية أخرى يشهد سفر عزرا بأن عزرا لم يعكف بحماسة على دراسة شريعة الله فقط بل عكف أيضاً على عرضها (٦: ٧).

رسالة في اللاهوت ص ٢٧٧-٢٧٨

(٣) وقد ذكر سبينوزا أمثلة أخرى تبرهن على إدخال شروح كثيرة على سفر التثنية (راجع ص ٢٧٨ - ٢٧٩).

التعرف عليها، وهى إضافات أدخلت دون شك حتى يسهل على الناس فى عصره إدراك الأمور.

ويقول: "والحق أنه لو كان لدينا سفر موسى لوجدنا فيها أعتقد اختلافات كبيرة سواء فى التعبير عن الوصايا أم فى ترتيبها والبراهين عليها"<sup>(١)</sup>.

لذلك فإن سينوزا يعتقد أن عزرا هو الذى أجرى كل هذه التغييرات هنا وهناك لأنه شرح شريعة الله لمعاصريه.

وبالتالى يكون سفر التثنية هو سفر توراة الله كما شرحه عزرا وعرضه، وفى رأى سينوزا - أن سفر التثنية هو أول سفر من الأسفار الخمسة التى كتبها عزرا<sup>(٢)</sup>.

ويعتقد سينوزا أن عزرا بعد أن أكمل سفر التثنية وعلم الشرائع للشعب شرع فى رواية تاريخ الأمة العبرية كله منذ خلق العالم حتى التدمير الأعظم للمدينة، ثم أدخل فى هذا التاريخ سفر التثنية فى موضعه<sup>(٣)</sup>.

ويرى ريتشارد سيمون أن العناصر التى تتكون فيها الأسفار الخمسة بالغة القدم وان بعضها يرجع لموسى نفسه الذى سن اغلب القوانين، وان بعضها لأصحاب حوليات سجلوا بها الأحداث المعاصرة على التابع، وليست "البتاتوك"

---

(١) يقول سينوزا "والواقع اننى عندما أقارن - الوصايا العشر وحدها فى التثنية بالوصايا العشر فى الخروج (وفيه تروى قصتها صراحة) أجد اختلافات من جميع النواحي (راجع تفاصيل ذلك: رسالة فى اللاهوت ص ٢٧٩-٢٨١).

(٢) ويقوم افتراضه - فيما يقول - على أساس أن هذا السفر يحتوى على قوانين الأمة التى يحتاج إليها الشعب خاصة، وكذلك لأن هذا - السفر يحتوى على قوانين الأمة التى يحتاج إليها الشعب خاصة، وكذلك لأن هذا - السفر لا يرتبط بسابقة كما هى الحال فى الأسفار الأخرى جميعاً، بل يبدأ فجأة: هذه هى أقوال موسى.. الخ (رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ٢٨١).

(٣) المصدر السابق ص ٢٨١.

ويذكر سينوزا أنه ربما كان سبب تسمية الأسفار الخمسة الأولى باسم موسى هو أنها تدور أساساً حول حياته، فأخذت اسم الشخصية الرئيسية، ولهذا السبب نفسه سميت الأسفار التالية بأسماء أصحابها (يشوع، القضاة، راعوث) الخ.  
(المصدر السابق ص ٢٨١)

في صورتها الحالية سوى - تجميع متأخر لوثائق متباينة ثم بعد العودة من السبي البابلي على يد عزراً المكمل الحقيقي لأعمال موسى وهو - بمعنى آخر - موسى ثان<sup>(١)</sup>.

وإذا كان الكتاب الغرييون بما فيهم سبينورا اليهودي قد رجحوا أن عزراً هو الذى كتب التوراة أو قام بتأليفها من المصادر المختلفة، فإن الإمام ابن حزم كان سباقاً في ذلك إذ انه عرض لحال التوراة عند بنى إسرائيل من بعد موت موسى إلى رجوعهم إلى بيت المقدس حتى كتبها لهم وأملأها عليهم من حفظه عزرا الوراق الهاروني<sup>(٢)</sup>.

وينبغي أن لا يفوتنا في هذا الشأن ما ذكره الخبر السابق صموئيل بن يهوذا (ت ٥٧٠هـ)<sup>(٣)</sup>، من أن علماء وأخبارهم يعلمون أن هذه التوراة التى بأيديهم لا يعتقد أحد منهم أنها المنزلة على موسى البتة وأن موسى صان التوراة عن بنى إسرائيل ولم يثبثها فيهم.

---

(١) نقلا عن د/ نجيب ميخائيل/ مصر والشرق الأدنى القديم ج ٣ سورية ص ١٩٠-١٩١ ويرى فاطر أن جميع الأسفار الخمسة تراث بدائي من جميع رجل واحد جهد في ترتيبها ترتيباً زمنياً وأنه بدأها بالتكوين وانتهى بالتثنية ويرجح أن جانباً كبيراً من هذه المادة كان تحت يدي موسى، ولكنه لم يصنع هذا التراث بل أن ذلك من عمل جيل بعيد عن حوالى عصر السبي البابلي، وأن السامريين لم يعرفوا الأسفار الخمسة إلا بعد دمار مملكة يهوذا بقليل وربما خلال السبي وأن ترتيبها تم من الحقب التالية مباشرة نقلا عن المصدر السابق ص ١٩٢-١٩٣.

(٢) ويذكر أن ذلك بإجماع من كتبهم واتفق من علمائهم وأنهم مقرون أيضاً انه قد وجدها عندهم وفيها خلل كثير فأصلحه وأنه يم يكتبها لهم ويصلحها إلا بعد أربعين عاما من رجوعهم إلى بيت المقدس، ولم يكن فيهم حينئذ نبي أصلاً ولا القبة ولا التابوت وأنه منذ ذلك الوقت انتشرت التوراة ونسخت وظهرت ظهوراً ضعيفاً.

(راجع الفصل ج ١ ص ١٨٧-١٩٧)

(٣) الخبر صموئيل بن يهوذا بن أبوان كان يهودياً ثم اهتدى إلى الإسلام وسمى بالإمام المهتدى: السموال ابن يحيى المغربى، وألف كتاباً سماه: افحام اليهود وقام بتقديمه وتحقيقه والتعليق عليه: د/ محمد عبد الله الشراوى - نشر دار الهداية بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد ليوى أولاد هارون<sup>(١)</sup>، وأن هؤلاء الأئمة الهارونيين الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظون أكثرها، قتلهم بختنصر على دم واحد يوم فتح بيت المقدس، ولم يكن حفظ التوراة فرضاً ولا سنة بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلاً من التوراة.

فلما رأى عزرا أن القوم قد أحرق هيكلكم، وزالت دولتهم، وتفرق جمعهم ورفع كتابهم، جمع من محفوظاته، ومن الفصول التى يحفظها الكهنة، ما لفق منه هذه التوراة التى بأيديهم الآن.

وينتهى إلى أن هذه التوراة التى بأيدى اليهود - على الحقيقة - (كتاب عزرا) وليس كتاب الله<sup>(٢)</sup>.

هذا وقد استدل القرافى (ت ٦٨٤هـ) على تبديل التوراة بواسطة عزرا بنفس كلام السموأل ولعله يكون قد نقله بنصبه<sup>(٣)</sup>.

وهكذا وجدنا أن جمهور العلماء والباحثين من القدماء والمحدثين يرجحون أن عزرا هو الذى قام بكتابة الأسفار الخمسة وتلفيقها وتجميعها من المصادر المختلفة والوثائق المتباينة.

لكنه لا بد من الإشارة إلى أمرين: الأمر الأول أن عزرا لم يكن وحده، وإنما كان معه طائفة من الكهنة يعملون تحت يده وهو يقوم بالإشراف عليهم والإرشاد لهم.

---

(١) ونستدل على ذلك بقول التوراة "وكتب موسى هذه التوراة ودفعها إلى الأئمة بنى ليوى" وكان بنو هارون قضاة اليهود وحكامها لأن الإمامة وخدمة القرايين وبيت المقدس - كانت موقوفة عليهم، ولم يبذل موسى من التوراة لبنى إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها "هاأزنيو" فان هذه السورة هى التى علمها موسى بنى إسرائيل وقال الرب لموسى - وتكون لى هذه السورة شاهداً على بنى إسرائيل" وقال أيضاً "لان هذه السورة لا تنسى من أفواه أولادهم" يعنى أن هذه السورة مشتملة على ذم طباعهم وأنهم سيخالفون شرائع التوراة وان السخط يأتيهم بعد ذلك، ويدل على أن الله تعالى علم أن غيرها من السور تنسى (افحام اليهود ص ١٣٥-١٣٨).

(٢) افحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبى "صلى الله عليه وسلم" ص ٣٨-٤٠.

(٣) راجع كتابه: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاخرة ص ٢٣٧-٢٣٩. تقديم وتحقيق وعليق د/ بكر زكى عوض سلسلة مقارنة أديان (١) كلية أصول الدين القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٧-١٩٨٦ م.

الأمر الثانى: أن الأسفار الخمسة فى صورتها الحالية قد اعترها بعض الإضافات والتتقيحات بعد عزرا وأن هناك من جاء بعده وقام بإتمام وإكمال ما كان عزرا قد اعترم عليه لكن الأجل قد وافاه كما يرجح سبينوزا.

ولذلك فإن العلماء كما سبق يرجحون أن الأسفار الخمسة فى صورتها الحالية ترجع إلى عصر الاسكندر الأكبر الذى توفى عام ٣٢٣ ق. م ويذكر ول ديورانت أنها تعود إلى عام ٣٠٠ ق. م.

وبناء على ذلك فإن عزرا يعتبر هو أول من قام بتحريف وتبديل تورا موسى عليه السلام.

ويذكر الدكتور إسماعيل الفاروقى أن عدم إتقان عملية التحريف من قبل عزرا هو الذى جعل العلماء يكتشفونه<sup>(١)</sup>.

ويقول الدكتور سامى سعيد الأحمد "وعندما ذكر القرآن الكريم قبل زهاء أربعة عشر قرنا أن اليهود قد حرفوا التوراة الأولى، نجد الآن وبعد كل ما سمعنا به ونلمسه من البحث الدقيق والتقدم العلمى الكبير الذى سهل على علماء الآثار ثم المؤرخين عملهم أن هذا الكلام هو عين الحقيقة"<sup>(٢)</sup>.

فهذا (أبيا هليل سلفر) العالم اليهودى يقول بالحرف (حتى الوصايا العشر التى يكاد يجمع العلماء أنها الشئ الوحيد المتبقى من التوراة الأصلية، لم تكن بكماها وعلى هيئتها الحالية كالتى أتى بها موسى)<sup>(٣)</sup>.

---

(١) راجع تفاصيل ذلك فى كتابه أصول الصهيونية فى الدين اليهودى ص ٢، ٩٥، ٩٨.

(٢) الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية ص ٨.

(٣) المصدر السابق ص ٨.

ولمعرفة مزيد من التفاصيل عن أقوال العلماء والباحثين حول الوصايا العشر وما اعترها من إضافات وتغييرات راجع (سبينوزا: رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ٢٧٩-٢٨١ جرهاردوس فوس: علم اللاهوت الكتابى ص ٢٠٧٤-٢١٤).

د/ محمد بحر عبد المجيد: اليهودية ص ٢٦

فقد أثبت العلماء أن الوصايا العشر بصورتها الحالية لا يمكن أن ترجع إلى عهد موسى وإنما هى تمثل أكثر من عقلية.

وهكذا قد تبين لنا بوضوح تام أن التوراة المنزلّة على سيدنا موسى عليه السلام قد فقدت وضيعها اليهود ثم قام عزرا الكاهن ومجموعة معه من الكهنة بتجميع وتلفيق الأسفار الخمسة من المصادر المختلفة والوثائق المتباينة، وزعم نسبتها إلى موسى عليه السلام وهو زعم باطل حيث أن سندنا منقطع تماما به، وأما بعض الفقرات المبعثرة التي عثر عليها عزرا ومن معه فقد حشروها داخل الأسفار الخمسة، فالتبس الحق بالباطل واختلط الوحي بالهوى حيث قاموا بتحريفها وتغييرها حتى انتفت عن الأسفار الخمسة كلية صفة القدسية وزالت عنها الصبغة السماوية.

لقد كان فقدان اليهود للتوراة الأصلية وتحريفهم ما عثروا عليه فيها من العوامل التي ساعدت على تأثرهم بالأديان الوثنية حيث لم يكن لديهم وحى صحيح ثابت يحول دون تسرب الوثنيات في ثنايا عقائدهم وعباداتهم.

وبعد أن تحدثت عن الجزء الأول والأهم من الأجزاء أو الأقسام الرئيسية للعهد القديم وهو الأسفار الخمس، وتبين لنا بطلان نسبتها إلى موسى عليه السلام، ينبغي أن - نتحدث عن بقية الأسفار أو عن القسمين الآخرين وهما: أسفار الأنبياء، وأسفار الكتابات:

## ثانياً: أسفار الأنبياء:

### ١- سفر يشوع:

يتصل سفر يشوع اتصالاً وثيقاً بالأسفار الخمسة، ويكون في الواقع معها وحدة مؤلفة مما حدا بالكثيرين من العلماء إلى اعتبار أسفار التوراة ستة (هكساتوس) لا خمسة (پنتاتوس).

ففي هذا السفر نجد سائر المصادر المختلفة - والتي أشرت إليها آنفاً - التي تعتمد عليها التوراة وقد مزجت جميعها في هذا السفر مزجا يجعل من العسير على الدارس تحليله إلى عناصره الأولية<sup>(١)</sup>.

(١) راجع تفاصيل ذلك: د/ فؤاد حسنين/ التوراة الهيروغليفية ص ٦٣-٦٤.  
د/ حسن حنفي: مقدمة كتاب سبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٢٥.

"يشوع" هو اسم البطل في السفر وليس كاتبه، ولو أن بعض المصادر اليهودية تدعى انه هو الذى كتبه لأنه يحمل اسمه<sup>(١)</sup>.

وقد برهن سبينوزا على بطلان هذا الادعاء وانتهى إلى أن هذا السفر ليس من وضع يشوع وإنما من وضع شخص آخر وأنه كتبه بعد يشوع بقرون عديدة حيث أن رواياته تمتد إلى الوقائع التى حدثت بعد موته<sup>(٢)</sup>.

أما من هو هذا الشخص فقد اختلف فيه العلماء فقليل فينحاس وقليل العازار وقليل صموئيل وقليل ارميا.

ووقوع هذا الاختلاف الفاحش - كما يقول الشيخ رحمت الله الهندى - دليل كامل على عدم صحة هذا السفر عندهم، وعلى أن كل قائل منهم يقول بمجرد الظن رجما بالغيب بلحاظ بعض القرائن التى ظهرت له أن مصنفه فلان وهذا الظن هو سند عندهم<sup>(٣)</sup>.

وقد اختلف أيضا في الزمن الذى كتب فيه: فقليل إنه كتب بعد السبى البابلى ويرجح البعض أنه قد كتب أو على الأقل جمع في القرن الخامس ق. م بالرغم من وجود بعض النصوص القديمة فيه والتى ترجع إلى القرن التاسع ق. م<sup>(٤)</sup>.

## ٢- سفر القضاة:

أما سفر القضاة فيقول عنه سبينوزا "لا أظن أن شخصا سليم العقل يعتقد أن القضاة أنفسهم قد كتبوه لأن نهاية القصة كلها في الإصحاح الحادى والعشرين، تبين بوضوح أن مؤرخا واحدا هو الذى كتبه كله"<sup>(٥)</sup>.

(١) حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٩٢.

(٢) رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٢٧٥-٢٧٦ راجع فيها. تفاصيل البرهان الذى - استدل به.

(٣) إظهار الحق ص ٩١ راجع قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٧٠.

(٤) راجع اظهار الحق ص ٩١ التوراة الميروغليفية ص ٦٤ د/ مهرا ن جـ ٩ ص ٣٥.

ولمعرفة مزيد من التفصيلات عن سفر يشوع راجع قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٧٠، ١٠٨٠، ل.

توماس هولند كروفت: الأسفار التاريخية ص ٧ وما بعدها ترجمة أدبية شكرى يعقوب عن سلسلة

الدراسات الكتابية للكنيسة الرسولية ١٩٨٥ م.

(٥) قضاة ٢١: ٣٥. رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٢٧٦.

أما من هو هذا المؤرخ فتذهب تقاليد أحبار اليهود إلى أنه صموئيل، ولكنهم قالوا ذلك رجما بالغيب، ودون أن يقدموا أى دليل يثبت ذلك<sup>(١)</sup>.

وهناك من قال إنه حزقيال، وقيل عزرا، وقيل أرميا.

ولو كان عندهم سند - كما يقول الشيخ رحمت الله - ما وقعوا في هذا الاختلاف الفاحش<sup>(٢)</sup>، والواقع - كما يقول حبيب سعيد - أننا لا نقدر أن نجزم بقول فاصل عن اسم أو أسماء الكتّاب الذين جمعوا وقائع هذا السفر، ولا التاريخ الذى ظهر فيه. وإن كان الباحثون يرجحون أن جمعه قد تم بين سنة ٦٠٠، ٤٠٠ ق. م<sup>(٣)</sup>.

### ٣- سفر صموئيل:

ينسب التلمود كتابة هذين السفرين إلى صموئيل النبي<sup>(٤)</sup> لكنّ العلماء والمؤرخين قد أثبتوا خطأ هذه النسبة.

فذكر سبينوزا أنه قد كتب بعد صموئيل بقرون عديدة<sup>(٥)</sup>.

وعرض "ايشهورن" لنقدهما ضمن أسفار العهد القديم فاتتهى إلى أنهما يرجعان إلى مصادر كثيرة متعددة متفاوتة الموضوع والزمن، ولا وحدة تجمع بين محتوياتهما حتى يستطيع الباحث أن يقرر أنها مؤلفة بعينه<sup>(٦)</sup>.

---

(١) حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٩٣-٩٤ ول تومياس كروفت: الأسفار التاريخية ص ٥٠ رحمت الله الهندي: إظهار الحق ص ٩٣.

(٢) إظهار الحق ص ٩٣.

(٣) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٩٤ راجع أيضا د/ ميخائيل: مصر والشرق ج ٣ ص ٢٩٠ موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص ٣٣-٣٤ ويذكر محمد عزة دروزه أن سفر القضاة قد اختلطت فيه الحقائق بالخيال والمبالغة والتناقض (تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ص ١٢٢).

(٤) التوراة الهيروغليفية ص ٦٨، ٧٨.

(٥) رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٢٧٦، وأما اطلاق اسم صموئيل عليها فيرجع إلى اهتمامها بشخصيته (الهيروغليفية ص ٦٨).

(٦) راجع تفاصيل ذلك: التوراة الهيروغليفية ص ٦٨، ٦٩، ٧٧، ٧٨، حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٩٦-٩٧، د/ حسن حنفي: مقدمة رسالة في اللاهوت ص ٢٦.

ويذهب الأب ديلي إلى أن مؤلفهما قد استخدم عدة وثائق بعضها معاصر للحوادث فصنع منها رواية متصلة وأنه عاش ولا شك بعد عام ٦٢١ ق. م<sup>(١)</sup>. ويرجح البعض أن وضعهما قد تم في الفترة الواقعة بين القرنين الثامن والسادس - ق. م<sup>(٢)</sup>.

#### ٤. سفر الملوك:

ترجع التقاليد اليهودية كتابة هذين السفرين إلى أرميا، ولكنه زعم لا يستند إلى دليل وخاصة أن السفر الثاني تمتد حوادثه إلى ما بعد عصر أرميا فلا يعقل أن يكون هو كاتبه<sup>(٣)</sup>.

والصحيح كما ذكر العلماء والمؤرخون أن السفرين عبارة عن مجموعة من المدونات التاريخية جمعت ونسقت معا، واستقى كاتبهما موادها من سجلات البلاط وسجلات الهيكل وسير الأنبياء، واعتمد على كثير من الروايات الشفهية والحكايات الشعبية<sup>(٤)</sup>.

ويذهب العلماء إلى أن السفرين قد تم تأليفهما مرتين وبصيغتين مختلفتين فقد صيغ في المرة الأولى أواخر القرن السابع أو ما بين ٦٢٢ - ٦٠٩ ق. م أي ما قبل السبي.

أما الصيغة الثانية فقد وضعت في السبي حيث جاء مؤلف ثان وأعاد تأليفه من جديد، ويستدل على ذلك بعبارات كثيرة جاءت في السفرين<sup>(٥)</sup>.

(١) تاريخ شعب العهد القديم ص ٢٠٦.

(٢) التوراة الهيروغليفية ص ٧٨.

(٣) حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٩٩.

(٤) راجع الأب ديلي: تاريخ شعب العهد القديم ص ٢٠٦.

سبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٢٧٦-٢٧٧.

كاترين هنري: التاريخ في الكتاب ص ١٠٩-١١٠.

حبيب سعيد: المدخل ص ١٠١-١٠٢.

د: حسن حنفي: مقدمة رسالة في اللاهوت ص ٢٦.

(٥) ملوك أول ٨: ٤٤-٥١/٩: ١-٩، ملوك ثان ١٧: ١٩-٢٠ / ٢١: ١-١٥/٢٢: ١٦-١٨.

ويرجح أن هذا التأليف قد تم بين عامي ٥٦١-٥٣٨ أى حوالى عام ٥٥٠ ق. م<sup>(١)</sup> ويذكر موريس بوكاى أن أسفار صموئيل والملوك قد شك العلماء فى قيمتها التاريخية حيث تختلط الأحداث بالأساطير<sup>(٢)</sup>.

هذا وقد سبق أن ذكرت أن سبينوزا قد رجع أن الأسفار الخمسة ومن بعدها أسفار: يشوع والقضاة وراعوث وصموئيل الأول والثانى والملوك الأول والثانى قد كتبها مؤرخ واحد أراد أن يروى تاريخ اليهود القديم منذ نشأتهم الأولى حتى هدم المدينة لأول مرة وأن هذا المؤرخ هو عزرا<sup>(٣)</sup>.

## ثانياً: الأنبياء المتأخرون:

### ١- الأنبياء الكبار: اشعيا، ارميل، حزقيال

#### سفر اشعيا:

اختلفت آراء الشراح والباحثين حول هذا السفر اختلافاً لا نظير له فى أى سفر آخر.

وقد أجمع النقاد على أن اشعيا كتب جزءاً من هذا السفر، على أن بعضهم قد ذهب إلى أنه كتب السفر كله، وذهب البعض الآخر إلى أن السفر كتبه اثنان، وقال آخرون أن الكتاب ثلاثة، ولعل الرأى الأخير هو الأرجح.

هذا وقد أطلق على هؤلاء الكتاب الثلاثة: أشعيا الأول (من الإصحاح ١ - الإصحاح ٣٩) وتنسب إلى اشعيا النبى اشعيا الثانى (٤٠-٥٥) اشعيا الثالث (٥٦-٦٦) واتفق العلماء على أن السفر قد جمع من مصادر متعددة ووثائق متباينة<sup>(٤)</sup>.

---

(١) راجع الأب ديل: تاريخ شعب العهد القديم ص ٢٠٦.  
التوراة الهيروغليفية ص ٨١. - كاترين هنرى: التاريخ فى الكتاب ص ١١٠. المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٠٢.

(٢) دراسة الكتب المقدسة ص ٣٤.

(٣) راعوث حسب الترتيب الذى اتبعه يأتى فى القسم الثالث (الكتابات).

(٤) راجع ذلك بالتفصيل: تاريخ شعب العهد القديم ص ٢٦٠، ارنولد توينبى: تاريخ - البشرية ج ١ ص ٢٢٩ ترجمة د/ نقولا زيادة الأهلية للنشر والتوزيع بيروت ١٩٨٥، - التوراة الهيروغليفية ص ٨٧-٩٤، المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٠٢ مقدمة رسالة فى اللاهوت ص ٣٠-٣١.

ولذلك فإنه من الصعب أن نجزم بقول فاضل عن تاريخ كتابته وان هناك من يرجح أنه كتب بعد السبي وقبل مجئ عزرا إلى اورشليم أى ما بين ٥٠٠-٤٠٠ ق. م<sup>(١)</sup>.

وقيل أن أشعيا الأول يرجع إلى القرن الرابع والثالث ق. م واشعيا الثانى يرجع إلى حوالى ٥٤٠ ق. م والثالث يرجع إلى القرن الخامس ق. م<sup>(٢)</sup>.

### سفر ارميا:

يذهب العلماء إلى أن السفر كما هو بأيدينا اليوم، وبشهادة كاتبه ليس من وضع النبي ارميا، ولا من تأليفه، بل دبجه وصاغه، صديقه وكاتبه باروخ بن نيريا<sup>(٣)</sup>.

وهذا السفر عبارة عن مجموعة مأخوذة من كتب أخرى متعددة، ويكون خليطا من نصوص بلا ترتيب ودون مراعاة للأزمة.

وبعض الاصحاحات مستمد من سفر باروخ، وذلك يدل على أنه لم يكن هناك فصل حاد بين أسفار الأنبياء، كما يدل على وجود مصادر أخرى تشتمل روايات توضع في هذا السفر أو في ذاك، وهو ما يفسر تكرار النصوص في الأسفار المختلفة<sup>(٤)</sup>.

ونصوص السفر ذاته تحدثنا عن كيفية جمع أجزائه المختلفة، والأسباب والعوامل التى لعبت دورها في صياغته، والزمن الذى جمعت فيه هذه الأجزاء المتناثرة، وماذا حل ببعضها، وأكبر الظن أن باروخا هذا أو مؤلفا غيره فيما بعد، هو الذى أضاف الفصول التاريخية عن حياة النبي وعن الحوادث السياسية التى جرت في ذلك العصر<sup>(٥)</sup>.

(١) حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١١١.

(٢) د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى ص ٥١.

(٣) حبيب سعيد/ المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١١٢ راجع التوراة الهيروغليفية ص ٩٩.

(٤) سبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٣١، ٣١١-١١٣.

(٥) حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١١٢، ولمعرفة مزيد من التفاصيل راجع المصدر

السابق ص ١١١-١١٥ تاريخ شعب العهد القديم ص ٢٩٩ قاموس الكتاب - المقدس ص ٥٤-٥٥.

يبدو لنا من قراءة سفر حزقيال - كما يقول حبيب سعيد - أن السفر كله من صنع النبي حزقيال.

على أن الرأس السائد بين الخبراء وعلماء الكتاب أن بعض أجزاء هذا السفر كتبها أيد في تاريخ متأخر، وأن حزقيال لم يضع السفر كله في وضعه الحال الذي بين أيدينا، وفي بعض المواضع القليلة نرانا أمام أساليب مختلفة من الكتابة مما يثبت أن أكثر من كاتب واحد اشترك في صياغته<sup>(١)</sup>.

هذا ويجمع النقاد الآن تقريباً على أن السفر قد دون في مكانين مختلفين وعلى فترتين مختلفتين، وأنه كتب على مراحل متفاوتة ثلاث: فترة المقطوعات المنفصلة، ثم فترة المجموعات المتصلة ثم فترة السفر.

وأما تاريخ السفر فيصح القول أن أكثر أجزائه يمكن وضعها تاريخياً بين سنة ٥٩٣ و ٥٧٢ ق. م<sup>(٢)</sup>.

## ب - الأنبياء الصغار (الاثنا عشر)

### ١- سفر هوشع:

يذكر العلماء أن نص سفر هوشع مضطرب نظراً لتعرضه لكثير من الحذف والإضافة، حيث أنه قد كتب بعد موت هوشع بمدة طويلة وكان عصر رسالته يمتد ما بين ٧٨٥٠-٧٢٥ ق. م ومن المرجح أن تدوين السفر كما وصلنا قد تم قبل القرن السادس ق. م<sup>(٣)</sup>.

(١) حبيب سعيد: المدخل: ص ١١٦، ويعتبر هولشر (١٩٢٤)، أن سدس السفر وحده صحيحة من وضع حزقيال وهو الجزء الشعري فيه فقط، والباقي أى الجزء النثرى من وضع شخص آخر، ويرى أرون (١٩٤٣) أن مؤلف السفر اثنان: فلسطيني وآخر من المنفى، في حين أن هربترس (١٩٣٢) وهرفورد (١٩٣٥) يريان انه قد كتب في فلسطين قبل سقوط اورشليم، ثم حسنة كاتب آخر في المنفى حوالى القرن السادس ق. م (راجع رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٣٢، ٣١٣-٣٣٤).

(٢) رسالة في اللاهوت والسياسة ٣٢ المدخل ص ١١٧ الهيروغليفية ص ١٠٣ ولزید من التفاصيل راجع المدخل ص ١١٦-١٢٠ قاموس الكتاب المقدس ص ٣٠١-٣٠٥.

(٣) راجع رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٣٢، ٣١٤، ٣١٥ الهيروغليفية ص ١٠٧، ولمعرفة مزيد من التفاصيل راجع المدخل ص ١٢١-١٢٣ وتفسير هوشع تأليف متى هنرى تعريب القمص داود.

## ٢- سفر يوثيل:

من قراءة السفر يتبين لنا أنه قد خلا من أى تاريخ إلا أنه يمكن الاسترشاد بالأدلة التاريخية على أنه قد كتب بعد السبى ويرجح أن يكون فى نهاية القرن الخامس ق. م<sup>(١)</sup>.

ويذهب كثير من الباحثين إلى أن السفر ليس من تأليف شخص واحد وأن الإصحاح الثالث على وجه الخصوص لا يمكن أن يكون "يوثيل" هو كاتبه، ومن ثم فالوحدة مفقودة فى السفر<sup>(٢)</sup>.

## ٣- سفر عاموس:

ينسب هذا السفر إلى النبی عاموس الذى بدأت فترة نبؤته ٧٦٠ ق. م<sup>(٣)</sup> (فى القرن الثامن ق. م) لكن من المرجح أن هذا السفر لم يصلنا فى لغة المؤلف ولا فى أسلوبه بل فى لغة أخرى وأسلوب آخر<sup>(٤)</sup>.

ومن ثم فإن هناك من يرى أنه قد كتب بعد السبى البابلى أى فى القرن السادس ق. م<sup>(٥)</sup>.

## ٤- سفر عوبديا:

ينسب هذا السفر إلى نبى يسمى (عوبديا) ولا يعرف عنه شئ سوى أن اسمه يعنى (عبد يهوه) وقد يطلق على أى شخص.

ولذلك فإنه لا يعرف أيضا تاريخ كتابة السفر، وإن كان هناك من يخمن أنه قد كتب فى القرنين السادس أو الخامس ق. م<sup>(٦)</sup>.

---

(١) راجع المدخل إلى الكتاب المقدس ١٢٣-١٢٤ الهيروغليفية ص ١٠٩ راجع أيضا قاموس الكتاب المقدس ص ١١٠٣ د/ وزه تاريخ بنى إسرائيل ص ٢٦٨.

(٢) د/ محمد بيومى مهران ج ٩ ص ٥٠ نقلا عن مصادر أجنبية.

(٣) التوراة الهيروغليفية ص ١٠٩ المدخل ص ١٢٦-١٢٧.

(٤) الهيروغليفية ص ١١٢.

(٥) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٢٦، د/ محمد بيومى مهران ج ٩ ص ٥١، ولمعرفة مزيد من التفاصيل راجع عاموس عبد المسيح: دراسة فى عاموس.

(٦) راجع المدخل ص ١٢٧ قاموس ص ٦٤٥، تاريخ شعب العهد القديم ص ٣٣٩-٣٤٣-٣٢٨، ٣٢٩، الهيروغليفية ص ١١٢-١١٤.

## ٥- سفر يونان:

يؤرخ سفر يونان عادة بحوالى عام ٣٥٠ ق.م ولا يعرف على وجه التحقيق من الذى كتبه، وليس هناك ما يثبت أن يونان والذى كانت نبؤته فى نينوى فى الفترة (٧٦٥-٧٥٩ ق.م) هو كاتب السفر<sup>(١)</sup>.

ومن المرجح أن مؤلفه هو أحد قصاصى اليهود وكان ذلك فى القرن الرابع ق.م<sup>(٢)</sup>.

## ٦- سفر ميخا:

ينسب هذا السفر إلى النبى (ميخا) الذى تنبأ من سنة ٧٥١-٦٩٣ ق.م<sup>(٣)</sup> لكن ينقصه الترتيب ويعتريه بعض التناقض، ولعل مصدر هذا بعض الإضافات التى أضيفت إليه فيما بعد.

وفى ثنايا السفر نجد بعض النبؤات التى ترجع إلى ما قبل عصر السبى أو بعده، ولا يمكن تأريخها تماما، أمّا خاتمة السفر فقد ترجع إلى عصر السبى أو بعده<sup>(٤)</sup>.

## ٧- سفر ناحوم:

ينسب هذا السفر إلى نبى اسمه (ناحوم) ولا يعرف شئ عن حياة هذا النبى<sup>(٥)</sup> ولا عن العصر الذى عاش فيه<sup>(٦)</sup>.

وإن البعض يرجح أن هذا السفر قد ظهر حوالى ٦١٢ ق.م<sup>(٧)</sup>.

---

(١) راجع المدخل إلى الكتاب المقدس، التوراة الهيروغليفية ص ١١٤-١١٥ د/ محمد مهران ج ٩ ص ٥٣.

(٢) د/ فؤاد حسنين على: التوراة الهيروغليفية ص ١١٦.

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص ٩٣٦.

(٤) التوراة الهيروغليفية ص ١١٧-١١٨، ولمعرفة مزيد من التفاصيل راجع قاموس ص ٢٩٦-٢٣٧، المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٢٩-١٣١.

(٥) الأب ديل: تاريخ شعب العهد القديم ص ٣٠١.

(٦) التوراة الهيروغليفية ص ١١٩.

(٧) المصدر السابق ص ١٢٠ قاموس ص ٩٤٤ المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٣١-١٣٢.

## ٨- سفر حبقوق:

ينسب هذا السفر إلى نبي اسمه حبقوق، ولا يمكن تعيين التاريخ الذى ظهر فيه بالضبط، على أن كثرة الشراح يذهبون إلى أنه قد كتب هذا السفر فى الفترة ما بين (٦٠٩ - ٥٩٨ ق.م<sup>(١)</sup>).

وهناك من يحدد ذلك بعام ٦١٥ ق.م<sup>(٢)</sup>.

وذلك فيما عدا الإصحاح الثالث منه الذى يجب أن ينسب إلى مؤلف آخر من عصر ما بعد السبى البابلى ربما فى القرن الرابع أو الثالث ق.م<sup>(٣)</sup>.

## ٩- سفر صفنيا:

ينسب هذا السفر إلى صفنيا الذى عاش أوائل القرن السابع ق. م وتنبأ حوالى عام ٦٣٠ أو ٦٣٥ ق.م<sup>(٤)</sup>.

إلا أن الباحثين يشكون فى هذه النسبة وذلك لعدم توافق عباراته واضطرابها مما يدل على أنها ليست لمؤلف واحد بعينه<sup>(٥)</sup>.

حيث أن السفر كما وصلنا فى ترتيبه الحالى يدلنا دلالة واضحة على أن يدا متأخرة امتدت إليه فقامت بترتيبه<sup>(٦)</sup>.

## ١٠- سفر حجى:

ينسب هذا السفر إلى النبی حجى الذى لا نعرف شيئاً عن تاريخه، إلا أن تقاليد

---

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٣٢.

(٢) التوراة الهيروغليفية ص ١٢١.

(٣) د/ محمد بيومى مهران ناقلا عن مصدر اجنبى ج ٩ ص ٥٩، ولزید من التفاصيل راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٢٨٧-٢٨٨.

(٤) تاريخ شعب العهد القديم ص ٢٧٥ موریس بوكای: دراسة الكتب المقدسة ص ٣٥، الهيروغليفية ص ١٢٣.

(٥) التوراة الهيروغليفية ص ١٢٣.

(٦) المصدر السابق ص ١٢٢، ولزید من التفاصيل راجع المدخل ص ١٣٤ - ١٣٥، قاموس ص ٥٤٤ - ٤٤٥.

اليهود تقول أنه ولد في بابل، وعاد من السبي في فوج زر بابل في القرن السادس ق.م<sup>(١)</sup>.

ويعتبر هذا السفر أحد الأسفار الثلاثة (حجي - زكريا - ملاخي) التي تصور لنا عودة اليهود من السبي البابلي<sup>(٢)</sup>.

ويرجح أنه وضع مباشرة بعد عام ٥٢٠ ق.م ويختلف موضوعاً عن تلك الأسفار التي دونت قبل السبي وأحياناً نجد شخصاً آخر يروي لنا عبارات حجي فيقدم لها ويعرضها جيداً<sup>(٣)</sup>.

#### ١١- سفر زكريا:

ينسب هذا السفر إلى زكريا الذي كان معاصراً لحجي حسبما يذكر التقليد اليهودي<sup>(٤)</sup>، لكن طريقة إعلاناته وأسلوبه يدلان على أنها ليست من عمله.

ولهذا يرجح علماء الكتاب المحدثون أنها لم تتخذ شكلها الحالي إلا بعد الاسكندر الأكبر (٣٢٣ ق.م)<sup>(٥)</sup>.

#### ١٢- سفر ملاخي:

ينسب هذا السفر إلى نبي يسمى ملاخي الذي لا يعرف عنه إلا ما هو مدون في سفره، وقيل أن الاسم "ملاخي" هو لقب لاسم كاتب آخر كعزرا مثلاً<sup>(٦)</sup>.

وقد انتهت أبحاث العلماء إلى أن مؤلف هذا السفر مجهول وغير معروف<sup>(٧)</sup>.

---

(١) المدخل ص ١٣٥، قاموس الكتاب المقدس ص ٢٩١.

(٢) التوراة الهيروغليفية ص ١٢٣.

(٣) المصدر السابق ص ١٢٤.

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٤٨.

(٥) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٣٨، ولمزيد من التفاصيل راجع التوراة الهيروغليفية ص ١٢٥ -

١٢٩، قاموس الكتاب المقدس ص ٤٢٨-٤٢٩ المدخل ص ١٣٦-١٣٨.

وجدير بالذكر أن زكريا هذا غير النبي زكريا عليه السلام الذي تحدث عنه القرآن الكريم.

(٦) قاموس الكتاب المقدس ص ٦١٣-٦١٤.

(٧) المدخل ص ١٣٩ الهيروغليفية ص ١٢٩.

هذا وقد ذكر سبينوزا أن أسفار الأنبياء على وجه العموم رتبت ترتيباً غير الترتيب الذى سار عليه الأنبياء فى أقوالهم أو فى كتاباتهم، وأنها لا تتضمن جميع النبوات بل تحتوى على ما أمكن العثور عليه هنا وهناك.

وينتهى إلى أن هذه الأسفار ليست إلا مجرد شذرات من الأنبياء بالإضافة إلى أن معلوماتها قد أخذت من كتب أخرى<sup>(١)</sup>.

ويذهب كثرة علماء الكتاب فى العصر الحديث إلى أن الأنبياء الذين تحمل الأسفار أسماءهم هم الذين بدأوا كتابة أسفارهم، إلا أنهم لا يجزمون بقول فصل فى هذا الشأن، لأن الرسائل انتقل كثير منها بالسماع، بالإضافة إلى أن أتباع الأنبياء ومريديهم كانوا يجمعون أحاديث النبی بعد موته، ولا يرون غضاضة فى أن يعلقوا من عندياتهم على الحوادث الجارية فى يومهم، ليجعلوا كتاباتهم عصرية جذابة للأجيال المقبلة.

وقد يرى بعض أولئك المعلقين أن يدخل فى أحاديث النبی ورسائله أقوالاً لنبي آخر أقل شأنًا، وفى عصور لاحقة قد يتولى مصنف آخر هذه الكتابات بالصقل والتهذيب ويضيف إليها تعليقاً من عنده أو يشرح تاريخ بلاده فى عصر النبی.

وهكذا تنتهى إلينا مجموعة من الرسائل والأحاديث يطلق عليها اسم النبی الأصلی تتألف من كتابات مؤلفين مختلفين فى تواريخ مختلفة، ولذلك يصعب جداً الجزم بقول فصل فى تعيين الجزء أو الأجزاء التى كتبها النبی ذاته فى أى سفر من أسفار الأنبياء<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: الكتابات:

تشتمل الكتابات كما سبق على أحد عشر سفرًا: المزامير، الأمثال، أيوب، نشيد

(١) راجع رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ٣١٠، ٣١١.

(٢) راجع كاترين هنرى: التاريخ فى الكتاب ص ١١٥.

الأناشيد، راعوث، المراثي، الجامعة، استير، دانيال، عزرا ونحميا، أخبار الأيام الأولى والثاني.

فأما أسفار: المزامير، والأمثال، وأيوب، ونشيد الأناشيد، وراعوث، والجامعة واستير، ودانيال فسأحدث عنها بالتفصيل في الباب الثالث<sup>(١)</sup>.

وأما بقية أسفار الكتابات فيمكن الحديث عنها بإيجاز:

### سفر المراثي:

لم يذكر في الكتاب (المقدس) اسم مؤلف هذا السفر غير أن التقليد اليهودي جرى على أن أرميا هو مؤلف هذه المراثي<sup>(٢)</sup>.

لكن هذا الرأي لا يعتمد على حقيقة سواء في نص المراثي أو موضوعها<sup>(٣)</sup> ومن ثم فقد رأى كثيرون من العلماء أن أسلوب كتابتها يختلف عن أسلوب أرميا اختلافاً تاماً وأنها تضمنت أفكاراً لا يقرها هذا النبي<sup>(٤)</sup> وإنما نسبت إليه نظراً لشهرته وقت كتابتها<sup>(٥)</sup>.

والواقع أنها عبارة عن مجموعة من القصائد ليست لمؤلف واحد بل لمؤلفين عديدين وأنها تمثل رأيين مختلفين لمدرستين مختلفتين<sup>(٦)</sup>.

وأما تاريخ تأليفها فيرجح أنه يرجع إلى ما بعد خراب أورشليم على

---

(١) حيث سابين تأثر بعض نصوصها بالأديان الوثنية.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٥٦.

(٣) التوراة الهيروغليفية ص ٦٨.

(٤) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٥٨.

(٥) راجع التوراة الهيروغليفية ص ١٦٩-١٧٠.

(٦) المصدر السابق ص ١٧٠ د/ محمد بحر عبد المجيد: اليهودية ص ٩٧.

ويرى معظم النقاد المحدثين أن أرميا لم يكتب المراثي فرى أيسفلت وهالر (١٩٤٠) أن المراثي قد ألفها كتاب عديدون حتى أدولف (١٩٣٩) الذي يؤمن بوحداية المصدر اضطر إلى الاعتراف بوجود مصدر فرعى آخر للميراث.

د/ حسن حنفي: مقدمة رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٣١

يد الكلدانيين أعنى عام ٥٨٦ ق.م وقبل العودة من السبى أى عام ٥٣٨ ق.م<sup>(١)</sup>.

### سفرا عزرا ونحميا:

يكون السفران عزرا ونحميا سفرا واحدا كملحق لسفر أخبار الأيام ولم ينفصلا إلا في وقت متأخر<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان هذا السفر - أو السفران - ينسب إلى كل من عزرا ونحميا فإنه في وضعه الحالى لم تكتبه يد عزرا ولا يد نحميا وإن تكن بعض أجزائه من صنعهما، فهما قد دونا الحوادث التى وقعت لهما بواسطتهما، واستخدمها ذلك الكاتب الذى نسق السفر وصاغه على الصورة التى بين أيدينا<sup>(٣)</sup>.

أما من هو ذلك الكاتب فيرى سبينوزا أن هناك مؤرخاً واحداً قد كتب أسفار: عزراً ونحميا واستيرودانيال، وأنه استمد معلوماته من سجلات الأخبار ووثائق القضاة والأمراء الذين كانوا يحتفظون فيها بأخبارهم كما يفعل الملوك. ولكن سبينوزا لا يستطيع حتى مجرد التخمين به<sup>(٤)</sup>.

إلا أن الحقيقة التى يجب أن نذكرها - كما قال الدكتور فؤاد حسنين - أن جميع هذه

---

(١) د/ فؤاد حسنين على: التوراة الهيروغليفية ص ١٦٩، راجع أيضاً قاموس الكتاب المقدس ص ٥٦. (ولمعرفة مزيد من التفاصيل راجع القاموس ص ٥٥-٥٦، المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٥٨، التوراة الهيروغليفية ص ١٦٨-١٧٠.

(٢) سفر عزرا ونحميا كانا في الأصل سفرا واحدا يطلق عليه سفر عزرا لكن ما كان ينتهى عصر (هيرونيموس) ويأتى (أورنجيس) حتى قسم السفر إلى سفرين: عزراً الأول وعزرا - الثانى أو نحميا، وقد استخدمت الترجمة اللاتينية المعروفة باسم الفولجاتا التى وضعها هيرونيموس حوالى أوائل القرن الخامس الميلادى هذه القسمة وحوالى ١٤٤٨ أخذت - المخطوطات العبرية بهذا الرأى، وبذلك فإن سفر (عزرا ونحميا) لا يأتى في موضعه الصحيح سواء من الناحية الموضوعية أو الزمنية وذلك لأنه كما نتبين من خاتمة سفر أخبار - الأيام ومن مطلع سفر عزراً هو امتداد لأخبار الأيام. (راجع التوراة الهيروغليفية ص ١٨١ د/ حسن حنفى: مقدمة رسالة في اللاهوت ص ٣٤).

(٣) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٧٠.

(٤) رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٣٤-٣٥/٣١٦-٣١٩.

المصادر التى اعتمد عليه هذا المؤرخ لا تخلو من الأخطاء والتضارب<sup>(١)</sup> ويرجح أن وضع السفر فى صورته الأخيرة يرجع إلى منتصف القرن الرابع ق.م أو بعده<sup>(٢)</sup>.

ويقول علماء الكتاب المقدس إن السفر لم يكمل إلا بعد زمن الاسكندر الأكبر (توفى عام ٣٢٣ ق.م) ولذلك يكاد يكون مؤكدًا أن السفر انتهى إلينا فى وضعه الحالى حوالى سنة ٣٠٠ ق.م<sup>(٣)</sup>.

### سفر الأخبار الأيام الأول والثانى:

يذهب علماء التقليد اليهودى إلى أن عزرا هو الذى قام بتأليف وكتابة سفرى أخبار الأيام الأول والثانى<sup>(٤)</sup> اللذين كانا فى الأصل سفرًا واحدًا مثل سفرى صموئيل والملوك.

لكن سبينوزا يذكر أن سفر أخبار الأيام قد كتب بعد موت عزرا بمدة طويلة، وربما بعد إعادة بناء المعبد فى عصر المكابيين، وأن المؤلفين الحقيقيين لهذا السفر لا يعلم عنهم شيء يقينى ولا عن سلطتهم وفائدتهم وعقيدتهم<sup>(٥)</sup>.

وإن كان الدكتور فؤاد حسنين على قد لاحظ أن فى سفر الأخبار وحدة تكاد تكون شاملة توحى إلى أنها من وضع مؤلف واحد لكنه لا ينكر أن بعض أجزائه قد تعرضت لتغييرات متأخرة ولعل مؤلفا آخر جاء فيما بعد وأعاد تأليف هذا السفر<sup>(٦)</sup>.

(١) الهيروغليفية ص ١٨٧.

(٢) المصدر السابق ص ١٨٧.

(٣) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٧٠-١٧١.

(٤) الأسفار التاريخية ص ٣٠٥ د/ بحر: اليهودية ص ٨٣ قاموس الكتاب المقدس ص ٣٣٥.

(٥) هذان السفران كانا فى الأصل العبرى سفرا واحدا ولم ينفصلا إلا فى الترجمة السبعينية وانتقل ذلك إلى الترجمات اللاتينية والطبعات العبرية الحديثة.

(٦) راجع تفاصيل ذلك: الهيروغليفية ص ١٨٩، قاموس الكتاب المقدس ص ٣٣٤-٣٣٥ المدخل إلى

الكتاب المقدس ص ١٧١، د/ حسن حنفى: مقدمة رسالة فى اللاهوت ص ٢٩

(٦) التوراة الهيروغليفية ص ١٩٠.

ويذهب د/ المسلى إلى أن كاتب سفر عزرا ونحميا هو نفسه جامع سفر أخبار الأيام، ومعلوماته التاريخية عن بعض الفترات متبورة مشوشة ولا يمكن الاعتماد عليه في روايته للأحداث - التى = عاصرها نحميا<sup>(١)</sup>.

وقد استقى كاتب أو كتّاب سفر الأخبار معلوماته من مصادر ووثائق قديمة ومن بعض المأثورات الشفهية أشير إلى بعض منها فى ثنايا السفر<sup>(٢)</sup> ولكنه لم ينقل منها مجرد نقل، بل كان يغير ويبدل ويعدل ويضيف ليصل إلى هدف معين كمؤرخ كهنوتى يخدم وجهة نظر الكهنة<sup>(٣)</sup>.

أما زمن تأليف سفر الأخبار فيرجح أنها قد أُلّفا فى القرن الرابع ق. م<sup>(٤)</sup>، ويقول علماء الكتاب إنها كتبا حوالى سنة ٣٢٥ ق. م<sup>(٥)</sup>.

وهكذا تبين لنا بوضوح - من خلال هذا العرض السريع لأسفار العهد القديم - أن نسبة الأسفار إلى أصحابها نسبة خاطئة وغير صحيحة، وأن دعوى هذه النسبة قائمة على الظن والزعم بلا دليل، فهؤلاء الذين نسبت إليهم تلك الأسفار لم يكتبوها، وإذا ما كتبوا جزءا منها فإنه قد حرف أو زيد عليه أو تم تبديله، فليس هناك أدنى ثقة فى تلك النسبة المزعومة بل إننا وجدنا العلماء والمؤرخين يجهلون تماما مؤلفى أغلب هذه الأسفار، بل أنهم لا يعرفون زمن تأليفها.

يقول سبينوزا "الواقع أننا نجهل تماما مؤلفى كثير من هذه الأسفار، أو نجهل الأشخاص الذين كتبوها (إذا كنا نفضل هذا التعبير) أو نشك فيهم، ومن ناحية أخرى لا ندرى فى أية مناسبة وفى أى زمن كتبت هذه الأسفار التى نجهل مؤلفيها الحقيقيين ولا نعلم فى أيدي من وقعت، ومن جاءت المخطوطات الأصلية التى

(١) سقوط أورشليم ص ٦٣٨.

(٢) مثل سفر أخبار صموئيل الرأى وأخبار ناثان النبى وأخبار جاد الرأى وغيرها من الأسفار المفقودة التى سأشير إليها. راجع مقدمة رسالة فى اللاهوت ص ٢٩.

(٣) راجع كاترين هنرى: التاريخ فى الكتاب ص ١١٠-١١١ المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٧١ د/ بحر عبد المجيد: اليهودية ص ٨٣.

(٤) د/ فؤاد حسنين على: التوراة الهيروغليفية ص ١٩١.

(٥) كاترين هنرى: التاريخ فى الكتاب ص ١١٠.

وجد لها عدد من النسخ المتباينة، ولا نعلم أخيراً إن كانت هناك نسخ كثيرة أخرى في مخطوطات من مصدر آخر<sup>(١)</sup>.

فالحقيقة أن أسفار العهد القديم - كما جاء في دائرة المعارف الأمريكية - قد كتبت على طول الفترة من القرن الحادى عشر ق. م إلى القرن الأول ق. م، وأخذت صورتها النهائية في القرن الأول الميلادى، ولم تصلنا أى نسخة بخط المؤلف الأصيل لهذه الأسفار.

فعلى مدى هذه القرون الطويلة التى كتبت فيها الأسفار نجد أن نصوصها قد نسخت مراراً وأعيدت كتابتها باليد، ولقد حدثت أخطاء في عملية النسخ سببها عدم القدرة على قراءة أحد النصوص قراءة صحيحة أو العجز عن سماع نطقه نطقاً صحيحاً حين كان يملأ على الكاتب، أو من تعب الكاتب نفسه أو عجزه عن فهم ما كان يكتبه أو حتى سبب إهماله، فقد كان يحدث أحياناً أن بعض المواد التى كتبت على هامش النص تضاف إليه<sup>(٢)</sup>.

فالنصوص التى بين أيدينا قد نقلتها إلينا أجيال عديدة من الكتبة والنساخ ولدينا - كما تقول دائرة المعارف الأمريكية - شواهد وفيرة تبين أن الكتبة قد غيروا بقصد أو بدون قصد في الوثائق والأسفار التى كان عملهم الرئيسى فيها هو كتابتها ونقلها<sup>(٣)</sup> وقد حدث التغيير بدون قصد حين أخطأوا في قراءة أو سماع بعض

(١) رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٢٥٥.

(٢) دائرة المعارف الأمريكية نقلا عن مهندس أحمد عبد الوهاب: فلسطين بين الحقائق - والأباطيل ص ٢٩.

(٣) ليس عجيباً ما تذكره دائرة المعارف الأمريكية عما فعله الكتبة الاسرائيليون بالنصوص الأصلية لأسفار العهد القديم على مدى قرون عديدة حيث جرت أقلامهم بالتغيير والتبديل إذ نجد في الأسفار إلى الآن ما يدين أولئك الكتبة ويتهممهم بالكذب والتحريف والافتراء على الله بغية الريح ولو على حساب العقيدة وفي هذا يقول ارميا على لسان الرب "أما شعبى فلم يعرف قضاء الرب، كيف تقولون نحن حكماء وشرعية الرب معنا، حقا انه إلى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب، خذى الحكماء ارتاعوا وأخذوا، ها قد رفضوا كلمة الرب فاية حكمة لهم... لأنهم من الصغير إلى الكبير كل واحد مولع بالربح من النبى إلى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب (راجع أرميا ٦: ١٣٢ / ٨: ٧ - ١٠).

الكلمات أو في هجائها، أو أخطأوا في التفريق بين ما يجب فصله من الكلمات، وما يجب أن يكون تركيباً واحداً.

كذلك فإنهم ينسخون الكلمة أو السطر مرتين وأحياناً ينسون كتابة كلمات بل فقرات بأكملها.

كما كانوا يحذفون بعض الكلمات أو الفقرات أو يزدون على النص الأصلي فيضفون فقرات توضيحية... وهكذا.

ولا يوجد سبب يدعو للافتراض بأن وثائق العهد القديم (الأسفار) لم تتعرض لأنواع العادية من الفساد النسخي على الأقل في الفترة التي سبقت اعتبارها أسفاراً مقدسة.

فقد نشأت بين اليهود طائفة خصصت نفسها لرعاية هذه الوثائق عرفت بالكتبة. وسميت أخيراً بالسوفريم أو الأسفاريين، ولم يكن عملهم مقصوراً على النسخ بل كانوا حفاظاً على الوثائق، ومترجمين لها بل ومؤلفين بكل معنى الكلمة.

وكان من نتيجة عملهم أن أخذ النص صورته القانونية ليترجم بعد ذلك إلى اللغات الأخرى<sup>(١)</sup>.

---

= وقد بين الإمام القطرubi التحريف بالأسفار بقوله "أن اليهود تعترف بأن السعينة كوهانا اجتمعوا على تبديل ثلاثة عشرة حرفاً من التوراة، وذلك قبل المسيح في زمان القياصرة، ومن اجترأ على تبديل حرف من كتاب الله وتحريفه فلا يوثق بالذي في يده مما يدعى أنه كتاب الله لعدم الثقة به ولقلة مبالاته بالدين وأيضاً فلعله قد حرفه كله أو أكثره.

(راجع الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ١٩٠-١٩١. راجع أيضاً القرافي (شهاب الدين أحمد بن إدريس) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاخرة ص ٢٥٦-٢٥٨.

ومن أراد التعرف بالتفصيل والتوضيح على ما قام به الكهنة من تحريف وتبديل فليرجع إلى إظهار الحق للشيخ رحمته الله الهندي ص ٢٠٥-٢٩٢ إذ عقد باباً كاملاً لإثبات التحريف في أسفار العهد القديم وقسمه إلى قسمين: تحريف لفظي وتحريف معنوي وقدم شواهد على تحريفهم بالزيادة وشواهد أخلى على تحريفهم بالنقصان، راجع أيضاً عصام الدين حفنى ناصف: محنة التوراة على أيدي اليهود ص ٢٨-٥٥، د/ محمد بيومي مهران دراسات في تاريخ الشرق ج ٩- ص ٢٩٧-٣٠٠.

(١) دائرة المعارف الأميركية نقلاً عن المرجع السابق للمهندس أحمد عبد الوهاب ص ٢٤.

ويذكر العلماء أن قصة تطور أسفار العهد القديم سارت في طرق ثلاث حتى وصلت إلى الصورة القانونية المعترف بها:

١- بدأت أكثر الأسفار لا كتباً مسطورة بل أحاديث شفوية تناقلتها الأفواه وكررها العارفون الحافظون لها ثم كتبت بعد زمن من ذاكرتهم<sup>(١)</sup>.

٢- صنفت الأسفار لا بيد كاتب واحد بل من سجلات مدونات احتفظ بها عدد من الناس، واعتمد مصنفوها على ما يسمى بالأسفار المفقودة<sup>(٢)</sup>.

٣- تولى الكتبة أو الأسفاريون على مر الزمن نقل النسخ باليد من هذه النصوص على التوالي وتارة كانت تقع بعض الأخطاء اللفظية في النقل، وتارة أخرى كان يضيف الناقل شرحاً أو تعليقاً في الهامش وكان هذا التعليق يضاف إلى المتن في النسخ التالية، وأحياناً كانت تطمس جملة أو كلمة في نسخة قديمة من كثرة الاستعمال، وأحياناً أخرى كان يملأ على أحد الحفاظ الكاتب فتقع بعض

---

(١) يعترف اليهود فعلاً أن كتبهم المقدس ظل زمناً طويلاً يروى مشافهة من مصادر مختلفة وإن الرواة تناقلوا من الذاكرة روايات توارثها الخلف عن السلف، ولا شك أن الذاكرة الإنسانية لها حدود، وقدرتها على الحفظ والنقل ليست مطلقة، وبذلك فإن الروايات قد تختلف باختلاف قدرة الرواة على الحفظ والنقل فتيه الأصول الأولى للعقائد الموروثة في ضباب الأيام.  
(راجع د/ حسن ظاظا: الفكر الديني ص ٧٣، د/ ثروت الأسيوطي: نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين بنو إسرائيل ص ١٢٧-١٢٨/١٣٧-١٣٨)

(٢) هناك أسفار لا يحتويها العهد القديم في ثوبه الراهن غير أنها مذكورة في تضاعيفه وتعرف باسم الأسفار المفقودة، تقول دائرة المعارف الأمريكية "يشير العهد القديم إلى كتب وأسفار أخرى غير موجودة الآن وتشير إليها أسفاره مثل: كتاب الحروب، سفر ياسر، سفر أمور سليمان، سفر أخبار صموئيل وناثان وجاد، وأخبار سمعياء ونبوءة أخيا الشيلوني وغيرها. وهذا يثبت أن عدداً من الأسفار قد فقدت من اليهود وضاعت أما لغفلة عنها وأما بسبب الحروب والتدمير.

وفي القرآن الكريم قرائن عديدة على أنه كان في أيدي اليهود قراطيس ومدونات في سرد الأحداث والقصص الخاصة بآدم وإبراهيم وموسى وداود وسليمان، ومن المعتقد أنه كان وراداً في القراطيس والمدونات المفقودة متطابقاً مع ما جاء في القرآن الكريم - راجع ذلك بالتفصيل: دائرة المعارف الأمريكية نقلاً عن فلسطين بين الحقائق والأباطيل ص ٢٨ محمد عزة دروزة: تاريخ بنو إسرائيل من أسفارهم ص ٢١، ٢٥، ١٧٢ عصام الدين حنفي ناصف: محنة التوراة على أيدي اليهود ص ٤٦، ٤٧، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى ج ٣ ص ١٦٨.

الأخطاء الهجائية أو الهفوات الأخرى. وبعض الاختلاف في اللفظ أو والهجاء كان مرده أحياناً إلى اختلاف لهجة المواطن بين الحافظ الذى يملئ والكاتب الذى ينقل عنه<sup>(١)</sup>.

وبعد هذا كله جاء عصر الترجمات، وكانت الترجمات تنقل عن نسخ خطية مختلفة فلا عجب أن يقع اختلاف وتناقض في النسخ المختلفة بالإضافة إلى التناقض الموجود في النسخة الواحدة<sup>(٢)</sup>.

هذا وقد أدى هذا التناقض وذلك الاختلاف في النصوص إلى مراجعة الأسفار

---

(١) وبالإضافة إلى اختلاف اللهجات كان هناك اختلافاً أيضاً في اللغات التي كتبت بها أسفار العهد القديم ولذلك فإن العهد القديم يعتبر - كما ورد في دائرة المعارف الأمريكية - كتاباً غير متجانس إذ أنه مجموعة من الوثائق تكونت خلال فترة تزيد على الألف عام بواسطة رجال لهم تراث لغوي متعدد، ذلك أن اللغة العبرية التي كتبت بها أسفار العهد القديم هي في الواقع لغة خليط في أصلها، وتطورها. ولا نقرر سوى الواقع عندما نقول إن اللغة العبرية لم تكن لغة نقية فتلك هي النتيجة التي تقرها الدراسات اللغوية لكتب العهد القديم (دائرة المعارف الأمريكية نقلاً عن فلسطين ص ٢٤).

(٢) لاشك أن الترجمات الكثيرة والمختلفة لأسفار العهد القديم كان لها تأثير مباشر على عدم سلامة النص وحالت دون الحفاظ على نقاء النسخ الأصلية التي نقلت عنها الترجمة، ولو أخذنا الترجمة السبعينية مثلاً لوجدنا أن الاتجاهات العلمية الحديثة تذهب إلى أن رواية اجتاع اثنين وسبعين عالماً وإخراجهم لها إنما هي مجرد أسطورة وليس لها أساس من الصحة، كما أن بعض المؤرخين يشكون في أنها جاءت ترجمة صادقة للتوراة الأصلية وذلك لتأثر المترجمين الواضح بالأساليب الإغريقية التي كانت تصاغ وفقاً للقوانين الهلنسية.

ويذكر الدكتور فؤاد حسنين أن الترجمة السبعينية ليست في مجموعها دقيقة حيث نلاحظ في بعض أسفارها اضطراباً كبيراً، كما أنها لم تتم في عصر بعينه فالتوراة مثلاً (الأسفار الخمسة) تمت ترجمتها في القرن الثالث ق. م. أما سائر الأسفار الأخرى فقد ترجمت في عصور متأخرة. لذلك فالآراء متضاربة حول الترجمة السبعينية ليس فقط حول - ترتيبها وتنسيق أسفارها بل حول اختلافها في كثير من الأحيان عن النص العبري، وترتيب العهد القديم العبري، فضلاً عن أنها تضم أسفاراً ليست شرعية.

هذا وقد قام علاء الدين الباجي (٧١٤هـ) بنقد التوراة السبعينية في كتابه (على التوراة) تحقيقى د/ احمد حجازى السقا نشر دار الأنصار الطبعة الأولى ١٤٠هـ / ١٩٨٠م وبين كثير من العلماء القدامى منهم والمحدثين تناقض النسخ المترجمة المختلفة.

راجع في ذلك ابن حزم في كتابه الفصل، والشيخ رحمت الله في إظهار الحق، والموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، د/ احمد شلبى: اليهودية، سهيل ديب: التوراة بين الوثنية والوحيد.

كلها وتقسيم الأسفار إلى فصول وآيات والاستقرار على وضع نسخة واحدة لأسفار الكتاب تعتبر "قانونًا" ومرجعًا نهائيًا.

وقد استغرق هذا العمل مئات من السنين، وقام به فريق من علماء اليهود وأطلق عليهم لقب "ماسورتين" وسميت كتاباتهم "النصوص الماسورية"<sup>(١)</sup>.

وبالرغم من ذلك فإن هذه النصوص الماسورية مليئة بالاختلافات والتناقضات فالعهد القديم كما جاءنا لم يتم جمعه بين عشية وضحاها، كما أن الفضل في هذا الجمع لم يكن لعزرا أو بعض معاصريه من رجال المعبد فقط بدليل لا يقبل الشك، وهو أن العهد القديم يضم بين دفتيه أسفاراً متأخرة عن عصر (عزرا) الذي عاش في القرن الخامس ق. م. مثل سفر دانيال الذي كتب حوالى عام ١٦٥ ق. م.<sup>(٢)</sup>.

فلم يكن عزرا آخر من صاغ روايات الأسفار ولا هو آخر من جمعها، فقد جمع روايات موجودة عند كتاب متعددين، وفي بعض الأحيان كان يقتصر على نسخها ونقلها على هذا النحو إلى الخلف دون فحصها أو ترتيبها، ولا يستطيع سبينوزا أن يخمن الأسباب التي منعت من إتمام عمله هذا بحيث يوليه كل عنايته إلا إذا كان موتاً مبكراً<sup>(٣)</sup>.

والواقع كما أن وضع العهد القديم تطلب زمناً امتد نحو ألف عام كذلك فإن جمعه قد استدعى قروناً عديدة، والكتاب الذى يتطلب ألف عام لتأليفه وجمعه يمر

---

(١) والكلمة العبرية "ماسورا" تعنى "تقليد" وذلك لأن العلماء الماسورين قد استرشدوا في ضبط الألفاظ والحروف بما أجمعت عليه التقاليد من حيث هجاء الألفاظ وقواعد النحو وصياغة العبارات وآخر نص قانونى انتهى إلينا هو الذى صاغه هارون بن موسى بن أشير ويدعى عادة "ابن أشير الماشورتي" وقد عاش في طبرية في النصف الأول من القرن العاشر الميلادى، ولقد أثبتت دراسات العلماء والباحثين في العصور اللاحقة لدى مقارنة النصوص الماسورية بالنصوص السابقة أن الماسوريتين لم يتوخا الصواب دائماً وإنما تعرضوا ووقعوا في أخطاء كثيرة (راجع ظاظا: الفكر الدينى ص ٧٢، ٧٣ كاترين هنرى: التاريخ في الكتاب ص ١٢٦ راجع بالتفصيل: تكوين قانون الكتب المقدسة في الدين اليهودى ص ٤٧-٤٩ من كتب الشريعة الخمسة طبعة الآباء اليسوعيين.

(٢) د/ فؤاد حسنين على: التوراة الهيروغليفية ص ١٥.

(٣) راجع رسالة في اللاهوت ص ٢٨٣ وما بعدها.

بأدوار كثيرة والنتيجة المحتومة لامتداد زمن التأليف وطول عصر الجمع خضوع الأسفار لمؤثرات كثيرة عملت فيها زيادة وحذفاً<sup>(١)</sup>.

وخلاصة القول أن النسخة العبرية التي يسميها اليهود النسخة القانونية التي انتهوا إليها في القرن العاشر الميلادي، لا يعتمد عليها، فقد تعرض نصها كثيراً لأعمال الحرق والإبادة بسبب الحروب الداخلية أولاً والغزو الأجنبي ثانياً<sup>(٢)</sup> وتداولته أياد كثيرة غيرت فيه وبدلت وزادت وأنقصت وتناوله كتاب عديدون ذوو أمزجة مختلفة في عصور مختلفة<sup>(٣)</sup>.

وبذلك فإن أسفار العهد القديم قد انتفت عنها القدسية وزالت عنها الصبغة السماوية، فلا تعد من كتب الوحي أو السماء حيث أنها لم تصل إليها متصلة السند أو - منقولة بالتواتر الذي يحفظها من التبديل ويقيها من التحريف ويعصمها من التغيير.

وإنما وصلت إلينا مقطوعة السند بأصحابها المزعومين وقد اعترأها الكثير من التبديل والتحريف والتغيير.

وكما يقول الشيخ رحمت الله الهندي "إنه لا بد لكون السفر سماوياً واجب التسليم أن يثبت أولاً بدليل تام أن هذا السفر كتب بواسطة النبي الفلاني ووصل بعد ذلك إلينا بالسند المتصل بلا تغيير ولا تبديل، والاستناد إلى شخص ذي إلهام بمجرد الظن والوهم لا يكفي في إثبات أنه من تصنيف ذلك الشخص وكذلك مجرد إدعاء فرقة أو فرق لا يكفي فيه<sup>(٤)</sup>.

فالكتاب السماوي الذي يجب الخضوع له، والائتمار بأوامره، والانتهاه بنواهيه،

(١) التوراة المبروغلغيفية ص ١٥.

(٢) راجع اضطهاد انطيوخوس الرابع لليهود وقيام جنوده بإحراق نسخ العقد القديم، وكذلك اضطهاد الرومانيين واستيلاء تيطس في عام ٧٠م على سفر الشريعة الخ في الفصل الأول من الباب الثاني.

(٣) انظر التوراة المبروغلغيفية ص ١٨-١٩ ومقدمة رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٢٨.

(٤) إظهار الحق ص ٨٣.

لابد أن يثبت أنه كتاب الله الذى أنزله على النبى الفلانى، بسند متصل فى جميع طبقاته، متواتر فى عامة مراتبه بحيث يكون قد رواه الجرم الغفير، الذى يؤمن تواطؤهم على الكذب، بلا تغيير ولا تبديل، ولا زيادة ولا نقصان، بأن تكون كل طبقة بكثرة عظيمة، مختلفة الأمكنة، خالية عن الغرض والعلة والجهل<sup>(١)</sup>.

---

(١) راجع عبد الرحمن بن سليم البغدادى الشهير بباجة جى زاده: الفارق بين المخلوق والخالق ص ٩ نشر دار الكتاب الإسلامى.

الفصل الثالث  
الاتجاه الوثني  
لدى بني إسرائيل

obeikandi.com

لقد تبين لنا في الفصلين السابقين أن هناك عاملين قد ساعدا على تأثر اليهودية بالأديان الوثنية.

العامل الأول: ما تعرض له اليهود في فترات السبي والاضطهاد والاختلاط على امتداد تاريخهم القديم.

العامل الثانى: فقدانهم التوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام وتحريفهم لها وانتقاء قدسية أسفار العهد القديم.

ولعل السؤال الذى يتبادر الآن إلى الذهن هو: هل هذان العاملان كانا كفيلين وحدهما بتأثر اليهودية بالأديان الوثنية، أو أن هناك عاملاً ثالثاً ساعد على ذلك؟

والحقيقة أنه لو لم يكن لدى اليهود استعداد كامل لتقبل الوثنية، وتيهو تام للاستغراق فى عباداتها والانسياق وراء أفكارها، لكان من الممكن أن يتغلبوا على ما قاسوه من اضطهاد وسبي، وأن يقاوموا ما فرضه عليهم أسيادهم وغالبوهم، وأن يرفضوا كل ما أكرهوا عليه وما يتعارض مع تعاليم دينهم السماوى.

لكننا وجدنا سرعة استجابتهم للعقائد الوثنية واندفاعهم الشديد نحو عبادتها - واستغراقهم الكامل فى طقوسها، وأحياناً كنا نجدهم هم الذين يقبلون عليها ويلحون فى طلبها دونما ضغط أو إكراه، ومعنى ذلك ببساطة أن الإنسياق خلف الوثنية صادف هوى فى نفوس اليهود، ولبى رغبة حقيقة فى قلوبهم، واشبع لديهم إحساسهم الداخلى وشعورهم الباطنى.

وكما يذكر جون هامرتون "أن اليهود كانوا يشتملون دائماً على عنصر منحرف تستميله التعاليم الوثنية والتهاون الخلقى عند الوثنيين"<sup>(١)</sup>.

(١) جون هامرتون: العهد الجديد للفتوح الرومانية بحث فى المجلد الثالث من تاريخ العالم ص ٣٤٥، ٣٤٦.

فاليهود بطبيعتهم المادية الكثيفة يميلون إلى الوثنية وينجذبون إليها بل ويتهافون عليها ويلهثون خلفها.

وسيتبين لنا البرهنة على كل ذلك في هذا الفصل الذى أخصصه لإظهار وإبراز الاتجاه الوثنى لدى بنى إسرائيل على أنه العامل الثالث من العوامل التى ساعدت على تأثر اليهودية بالأديان الوثنية<sup>(١)</sup>.

### مفهوم الوثنية.

ولكى يتسنى لنا التعرف على الاتجاه الوثنى لدى بنى إسرائيل ينبغى أولاً أن نحدد مفهوم الوثنية وما هو المقصود بها؟

ورد فى لسان العرب أن "الوثن والواثن بمعنى المقيم المراكب الثابت الدائم ويطلق على الصنم ما كان وقيل يطلق على الصنم الصغير، وقال ابن الأثير: الفرق بين الوثن والصنم أن الوثن كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب والحجارة كصورة الأدمى تعمل وتنصب، والصنم الصورة بلا جثة ومنهم من لم يفرق بينهما وأطلقهما على المعنيين.

وأساس ذلك أن يقال: وثن الشيء أقام وثبت ولما كان الوثن من شأنه أن يكون ثابتاً فى مكانه الذى ينصب فيه سمي وثناً، وجمع الوثن أوثن ووثن وأثن.

وأصل الأوثان عند العرب كل تمثال من خشب أو حجارة أو ذهب أو فضة أو نحاس أو نحوها - وكانت العرب تنصبها وتعبد<sup>(٢)</sup>ها.

هذا وقد ورد لفظ الأوثان فى القرآن الكريم ثلاث مرات مرة مقترنة بالألف واللام ومرتين مجردتين منها<sup>(٣)</sup>.

---

(١) يمكن أن نعتبر العاملين الأولين من العوامل الخارجية وهذا العامل الثالث يعد أحد العوامل الداخلية.

(٢) ابن منظور: لسان العرب: المجلد السادس ص ٤٧٦٥ مادة وثن طبعة دار المعارف الحديثة، راجع أيضاً معجم ألفاظ القرآن الكريم المجلد الثانى ص ٦٢٤ طبعة مجمع اللغة العربية طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣.

(٣) راجع الآيات: رقم ٣٠ من سورة الحج والآيتين رقم ١٧، ٢٥ من سورة العنكبوت.

وقد تباينت وجهات نظر علماء الاجتماع الدينى فى تفسير عبادة العرب للأصنام - فبعضهم يعتبر هذه العبادات مستوردة على أساس أن لفظ صنم ليس عربياً، وإنما هو كلمة آرامية وأن الوثن هو اللفظ العربى الأصيل وميزوا بين الصنم باعتباره حجراً أو مجرد رمز للاله، وبين الوثن الذى يمثل صنماً على شكل إنسان واستنتج من هذا أن عبادة الأصنام مظهر من مظاهر الديانة الفثشية التى تعتقد بحلول أرواح فى الأجسام الجامدة يمكن التوجه إليها بالتقرب والعبادة<sup>(١)</sup>.

وإن كان أكثر العلماء يرون أن كلمة فثش مستمدة من أصل لغوى برتغالى وتعنى المادة السحرية وقد أطلقها البرتغاليون على الديانات الوثنية فى غينيا، وانتشر استخدامها منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين<sup>(٢)</sup>.

وقد استخدم هؤلاء العلماء هذا المصطلح (فثش) فى اللغتين الإنجليزية والفرنسية للدلالة على الشئ المادى الذى تقدسه الجماعات البدائية سواء أكان هذا الشئ طبيعياً أم صناعياً، طالما يتخذونه محور ممارسات دينية، والاعتقاد السائد عند هذه الجماعات هو أن الفثش يكون مزوداً بقدرة خاصة أو قوة غامضة من شأنها أن تؤثر فى مقدرات الناس بالنفع أو الضرر<sup>(٣)</sup>.

ويعتبر دوبروس أودى بروس (الأديب الفرنسى ١٧٠٩ - ١٧٧٧م) أول من استخدم كلمة الفثشية فى القرن الثامن عشر فى مجال دراسة الأديان الأفريقية البدائية ثم صاغ منها مفهوم الفثشية كمصطلح عام يعنى به عبادة أو تبجيل كل الأجسام والأشياء التى يعتبرها الإنسان تعاويذ أو بدود تمنع عنه الشر أو تجلب له الخير.

(١) معجم العلوم الاجتماعية ص ٣٥٠، ٣٥١ إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين  
تصديق ومراجعة د/ إبراهيم مذكور الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ١٩٧٥.

(٢) د/ فاروق إسماعيل: الوثنية: المفاهيم والممارسات ص ٢٨ دار المعرفة الجامعية الإسكندرية بدون تاريخ.

(٣) معجم العلوم الاجتماعية ص ٤٤٦ راجع تفاصيل ذلك د/ أحمد أبو زيد: تايلور ص ١٥٢ دار المعارف بمصر ١٩٥٧ رقم ٩ من سلسلة نوايغ الفكر الغربى.

ثم لم يلبث هذا الاصطلاح الجديد أن وجد طريقه إلى الكتابات الاجتماعية ثم  
الانثروبولوجية بعد أن استخدمه أوجست كونت للإشارة إلى كل الديانات البدائية  
التي تعتبر الأجسام والموضوعات الخارجية موضوعات حية لها حياة تشبه  
الإنسان<sup>(١)</sup>.

أما تايلور فيرى أن ثمة صلة وثيقة بين الفتشية ونظرية الأرواح التي تتجسد في  
بعض الأجسام أو الكائنات المادية أو يتعلق بها أو تؤثر عن طريقها ويدخل منها  
على وجه الخصوص عبادة الأحجار وهذا معناه أن تايلور يعتبر الفتشية أو عبادة  
البدود خطوة أولى تؤدي بالضرورة إلى الأديان الوثنية أو على الأصح عبادة  
الأوثان.

وهذا معناه أيضًا أن ميدان الفتشية ميدان واسع رحب إذ تحت هذه الكلمة  
الواسعة الفضاضة يمكن إدراج أى شئ يتخذه الإنسان بمثابة تعويذة أو بد أو رمز  
يتخيل أن له خصائص معينة يمكن أن تنتقل إلى الأشياء والموضوعات الأخرى  
وتؤثر فيها تأثيرًا مشابهًا<sup>(٢)</sup>.

وعلى أى حال فإن المفهوم مطلق بصفة عامة في اتجاهات متباينة وبمعان مختلفة  
للإشارة إلى المظاهر الطبيعية التي لا حياة فيها، وقد يطلق على معتقدات الزنوج  
وكذلك عبادة الأشياء التي يتصور معتنقوها أنها مقر للأرواح، كما تطلق على  
الأشياء التي تعتبر بمثابة تعويذة تستمد قوتها السحرية الكامنة من إله أو روح، وأيا  
كان الأمر فإن اصطلاح الوثنية أو الفتشية قد استخدم للإشارة إلى عبادة الأحجار  
أو الجبال أو مجارى المياه أو الأشجار فضلًا عن التماثيل أو الدمى وما يرتبط بها من  
قداسة واحترام بالغ<sup>(٣)</sup>.

(١) د/ أحمد ابو زيد: تايلور ص ١٥٢ دار المعارف بمصر.

(٢) المصدر السابق ص ١٥٣ د/ فاروق إسماعيل: الوثنية مفاهيم وممارسات ص ٢٨-٢٩.

(٣) راجع د/ أحمد ابو زيد: المصدر السابق ص ١٥٣-١٦٢، د/ فاروق إسماعيل: المصدر السابق ص ٢٩.

وجاء في قاموس الكتاب المقدس أن الأوثان تطلق في الأسفار على الأصنام والتماثيل وعلى كل شئ يرمز إلى آلهة أخرى وأى قوة أو قدرة أو كيان طبيعى غيبى أو ملموس يكون غير الله.

وأن كلا من اليهودية والمسيحية كانتا فى أوائل عهدهما قد نظرنا إلى عبادة الأوثان - كانهلال خلقي<sup>(١)</sup>.

وأن الأوثان التى كانت عند الأمم والشعوب كثيرة ومتنوعة منها الكواكب والحيوانات والمزروعات والناس والنيران ومنها رموزها كالصور والتماثيل<sup>(٢)</sup>. ووفقا لشهادة المقرأ (أى العهد القديم) فإن إسرائيل قد وصفت بأنها كانت "وثنية".

ولكن ما هو مفهوم الوثنية الذى قصدته المقرأ؟

أن مفهوم الوثنية كان واسعا إلى حد بعيد فى استخدامه المقرأى.

فالوثنى - حسب مفهوم المقرأ - هو بحق كل ما فيه متعلق بـ "عبادة الأوثان عند الأغيار" أو أى عمل من أعمال "الأموري"<sup>(٣)</sup>.

ولذلك فإن هذه الوثنية قد اشتملت على عبادة جند السماء وعبادة أصنام آلهة الأغيار وذكر اسم آلهة الأغيار، وعبادة العجول (التى صنعت ليهوه) والنصب

---

(١) فىلى جانب فساد المعتقدات الوثنية بإنكارها ألوهية الله الواحد وتقسيم صفاته بين عدد من الصور والأصنام البشرية الصنع العديمة القدرة ونسبتها إلى أحجار وأشجار وتراب هى من مخلوقات الله يبرون لأنفسهم من الملذات والمحرمات ما حرمه الله، وكانوا يقيمون من الطقوس والتقاليد ما لا ينسجم مع الخلق الحميد، وكانت تلك المعتقدات مصدراً للفساد والسكر والدعارة والسرقه والغش (راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٥٩٥).

(٢) وقد ذكر الكتاب المقدس الكثير من هذه الأوثان (راجع على سبيل المثال: حزقيال ٨ : ١٠ أرميا ٤٤ : ٣-١٨ اشعيا ٤٤ : ١٢-١٧).

ويذكر القاموس أن أول ذكر للأوثان فى الكتاب المقدس ورد فى سفر التكوين ٣١ : ١٩ عن سرقه راحيل أصنام أبيها لابان (راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٥٩٣-٥٩٤)

(٣) قد يطلق على كل أجناس فلسطين الذين أقاموا مع اليهود.

والسوارى وتقديم القرابين البشرية وإقامة الهياكل المقدسة بل مجرد العبادة فى المرتفعات كما اشتملت أيضاً على التخمين والسحر والعرافة والتنجيم، ومجمل القول أن وثنية بنى إسرائيل كانت تعنى التوجه بالعبادة إلى الأغيار ووممارسة طقوس أجنبية تبعدهم عن عبادة يهوه والإخلاص التام لإلههم.

ويميز كاتبو الحوادث الواردة فى المقرابين أربعة عصور مختلفة فى تاريخ بنى إسرائيل القديم.

الأول: عصر موسى ويشوع والشيخوخ الذين طالت أيامهم بعده، ويكاد يخلوا هذا العصر من الوثنية القومية، وإن كنا نجد بضع انحرافات محدودة المدى والمدة - تمثلت فى عملية صنع العجل الذهبى المسبوك وخطية بعل فغور<sup>(١)</sup>.

الثانى: يمثل العصر الأول للوثنية القومية، وهى الوثنية التى استمرت طوال عصر القضاة وصموئيل وتمثلت فى ترك عبادة يهوه (إله اليهود) والتوجه إلى عبادة الآلهة الأجنبية ("آلهة الأغيار) أو كما يسميهم اليهود: جوييم أو غوييم.

الثالث: يمثل العصر الثانى للإيمان بيهوه واشتمل على أيام شاول وداود وبداية أيام سليمان.

ولا توجد فى هذا العصر وثنية عند بنى إسرائيل.

الرابع: يعتبر العصر الثانى للوثنية ويشتمل على الفترة الأخيرة من عهد سلمان - وامتد حتى تخريب الهيكل الأول فى عام ٥٨٦ ق. م.

والحقيقة - كما يذكر محمد على حسن هوارى أى هذا التقسيم غير واقعى، وتبدوا عدم واقعيته من استمرار الأحداث عبر هذه العصور جميعها ومن ثم لا يمكننا الجزم بأن أى منها قد خلا من الوثنية تماماً.

كما أنه لا نستطيع القول بأن بنى إسرائيل - دون استثناء - قد عاشوا طوال عصر

---

(١) تفاصيل الحديث عن هذه الخطبة فى الباب الثالث عند الكلام عن عبادة اليهود للبعل.

كامل من هذه العصور يعبدون إلهاً واحداً هو "يهوه" دون سواه من الآلهة التي زاحمتها، والتي عرفوها عند الشعوب الأجنبية (أصحاب الأديان الوثنية التي أشرت إليها في الفصول السابقة) والتي اختلطوا بهم سلماً أو حرباً في الأراضي الجديدة التي نزحوا إليها<sup>(١)</sup>.

وعلى أى حال فإننى فى هذا الفصل سأحاول التدليل على وجود الاتجاه الوثنى لدى بنى إسرائيل وشیوع الوثنية فى مختلف عصورهم التاريخية القديمة معتمداً بالدرجة الأولى على ما ورد فى أسفارهم المقدسة لديهم وأبدأ بعصر للآباء:

تشير أسفار اليهود إلى أن الخليل إبراهيم (الأب الأول لليهود) نشأ فى مدينة أور - إحدى مدن الكلدانيين التى كانت تقع فى أرض ما بين النهرين جنوبى بابل وقد - أنشئت هذه المدينة نحو ثلاثة آلاف عام ق. م. وسكنها السومريون ثم العيلاميون ثم البابليون ثم الكلدانيون، وكان أهلها فى عهد إبراهيم وثنیین يعبدون الكواكب والنجوم ولاسيما القمر الذى كانوا يعبدونه إلهاً ويسمونه "ننار" ويعتقدون أوله زوجه يسمونها "ننجال"<sup>(٢)</sup>.

ورد فى سفر يشوع "وقال يشوع لجميع الشعب، هكذا قال الرب إله إسرائيل أبائكم سكنوا فى عبر النهر منذ الدهر تارح أبو إبراهيم وأبو ناحور وعبدوا آلهة أخرى..... فالآن - اخشوا الرب واعبدوه بكمال وأمانه وانزعوا الآلهة الذين عبدهم أبائكم فى عبر النهر وفى مصر واعبدوا الرب"<sup>(٣)</sup>.

وقد ذكر القرآن الكريم أن قوم إبراهيم كانوا وثنیین وكانوا يعبدون الأصنام

---

(١) الآلهية عند بنى إسرائيل منذ ظهور موسى حتى العودة من السبي البابلي: رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم اللغات الشرقية بأداب عين شمس ١٩٨٣ راجع ص ٢٩١، ٣٣٥ وقد اعتمد على كثير من المصادر العبرية والأوربية.

(٢) راجع تفاصيل ذلك: قاموس الكتاب المقدس ص ١١، زكى شنودة: اليهود ص ٢١٧، ٤٧٧، حبيب سعيد: خليل الله فى اليهودية والمسيحية والإسلام ص ٩، ٢٢، ٢٣، د/ السيد يعقوب بكر: هوامش الحضارات السامية القديمة ص ٢٥٤، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم ج ٦ ص ١٢٤، ١٢٦.

(٣) يشوع ٢٤: ٢، ١٤.

ويعكفون عليها وأن سيدنا إبراهيم تبرأ منهم واعتزلهم يقول الله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ  
إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازِرْ أَتَخَذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرِنَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا  
هَذِهِ الثَّمَانِيَةُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾<sup>(٣)</sup>  
قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

ويذكر المؤرخون أن اليهود أو العبرانيين كانوا في مطلع ظهورهم على مسرح -  
التاريخ بدوا رحلا تسيطر عليهم الأفكار البدائية كالخوف من الشيطان والاعتقاد  
في الأرواح كانوا يعبدون الحجارة والأغنام والاشجار<sup>(٥)</sup>.

وفي عهد يعقوب أو إسرائيل الذى ينتسب إليه الإسرائيلون يذكر سفر التكوين  
أن زوجتيه ليئة وراحيل ابنتى خاله لابان الارامى كانتا تعبدان الأصنام كأبيهما فلما  
أخذهما يعقوب وهرب بهما أخذت راحيل أصنام أبيها معها<sup>(٦)</sup>.

**ظهور الاتجاه الوثنى أو الطبيعة الوثنية للإسرائيليين فى عصر موسى:**

يعرض لنا القرآن الكريم ثلاثة مواقف لليهود<sup>(٧)</sup> فى عصر نبينهم موسى عليه  
السلام ومنها يتضح لنا تماماً مدى تعلق أفئدتهم بالوثنية ومدى تعمقها فى قلوبهم.

(١) الأنعام: ٧٤.

(٢) الأنبياء: ٥١ - ٤٥.

(٣) راجع د/ أحمد شلبى: اليهودية ص ١٨٠، ١٨١ ناقلا عن مصادر أجنبية، وراجع تفاصيل عبادة  
العبريين القدماء: د/ حسن محمود: حضارة مصر والشرق القديم ص ٣٥٥، ٣٥٦.

(٤) جاء فى سفر التكوين أن يعقوب قد حمل أولاده ونسأه على الجمال وساق كل مواشيه ليجئ إلى  
إسحاق "فسرقت راحيل أصنام أبيها وخدع يعقوب قلب لابان الارامى إذ لم يخبره بأنه هارب  
"وحينما أدركه لابان بعد أن لحق به قال له "ولكن لماذا سرقت ألهتى فأجاب يعقوب: إني خفت  
لأننى قلت لعلك تغتصب ابنتيك منى، الذى تجد آلهتك معه لا يعيش، قدام إخواننا أنظر ماذا معى  
وخده لنفسك ولم يكن يعقوب يعلم أن راحيل سرقتها وكانت راحيل قد أخذت الأصنام ووضعتها  
فى حداجة الجمال وجلست عليها فجنس لابان كل اخباء ولم يجد وقالت لأبيها لا يغتصب سيدى إبنى لا  
أستطيع أن أقول أمامك لأن على عادة النساء ففتش ولم يجد الأصنام "راجع تكوين ٣١: ١٧ - ٣٥.

(٥) راجع تفاصيل ذلك فى رسالة المايجستير: غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام عند  
الحديث عن التأثير اليهودى ص ٢٢٥، ٢٢٧ وقد طبعت فى كتاب بنفس العنوان.

وسنلاحظ من خلال هذه المواقف أن النقطة الفاصلة التي تميز السلوك الوثني الناشئ عن شدة الاختلاط وقوة تأثير الغير عن الاتجاه الوثني الناشئ عن طبيعة داخلية، حيث أننا نجد الحالة الثانية تبرز حتى عندما تخفى شبهة الارغام الخارجى تماماً، عندما يتحرر القوم من سطوة الشعوب الوثنية وتتوفر لهم عوامل النبوة النقية... عند ذاك يجدون صرخة الوثنيين في أعماقهم ولا يجدونها صوتاً لحوحاً من خارج هذه الأعماق .. ويصبح الصوت الخارجى عندئذ مجرد تنبيه.

**الموقف الأول: قولهم لموسى اجعل لنا إلهاً كما لغيرهم آلهة.**

يقول الله تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُمْ فِيهِ وَبِطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٧﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٧٨﴾﴾<sup>(١)</sup>.

هذه الآيات تضعنا وجهاً لوجه أمام طبيعة الاسرائيليين المنحرفة المستعصية على التقويم، بما ترسب فيها من ذلك التاريخ القديم.

أن العهد لم يطل بهم منذ أن كانوا يسامون الخسف في ظل الوثنية الجاهلية عند فرعون وملئه، ومنذ أن أنقذهم نبيهم وزعيمهم موسى - عليه السلام - باسم الله الواحد رب العالمين الذى أهلك عدوهم وشق لهم البحر، وأنجاهم من العذاب الوحشى الفظيع الذى كانوا يسامون...

أنهم خارجون للتو واللحظة من مصر ووثنيته، ولكن ها هم أولاء ما أن يجاوزوا البحر حتى تقع أبصارهم على قوم وثنيين، عاكفين على أصنام لهم، مستغرقين في طقوسهم الوثنية وإذا هم يطلبون إلى موسى - رسول رب العالمين الذى أخرجهم من مصر باسم الإسلام - والتوحيد أن يتخذ لهم وثناً يعبدونه من جديد!!<sup>(٢)</sup>.

(١) الأعراف ١٣٨: ١٤٠.

(٢) راجع سيد قطب: في ظلال القرآن: المجلد الثالث ص ١٣٦٥.

إنها العدوى تصيب الأرواح كما تصيب الأجسام، ولكن الذى لابد أن يذكر أن العدوى - لا تصيب الأرواح حتى يكون لديها الاستعداد والتهيؤ والقابلية.

وطبيعة بنى إسرائيل - كما عرضها القرآن الكريم عرضاً صادقاً دقيقاً أميناً في شتى المناسبات - وكما يقول صاحب الظلال - طبيعة مخلخلة العزيمة ضعيفة الروح ما تكاد تهتدى حتى تضل، وما تكاد ترتفع حتى تنحط، وما تكاد تمضى في الطريق المستقيم حتى ترتكس وتنتكس ويرجع ذلك إلى غلظ في الكبد، وتصلب عن الحق وقساوة في الحس والشعور !!

وها هم أولاء على طبيعتهم تلك، ها هم أولاء ما يكادون يمرون بقوم يعكفون على أصنام لهم حتى ينسوا تعليم أكثر من عشرين عاماً<sup>(١)</sup> منذ أن جاءهم موسى عليه السلام بالتوحيد<sup>(٢)</sup>.

بل إنهم نسوا تلك المعجزة الباهرة معجزة انفلاق البحر وصار لهم بعد أن ضربه موسى بعصاه طريقاً يبساً، وبعد أن فزعوا وقالوا إنا لمدركون بعد أن أدركهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً، ونسوا الرب العظيم الذى أجرى على يدي نبيه موسى تلك المعجزة الخارقة وتطلعوا إلى إله محسوس يعبدونه ويعكفون عليه بمجرد أن وجدوا قوماً يعكفون على أصنام لهم.

يذكر الشيخ عبد الوهاب النجار أن العجائب التى ضرب بها فرعون وقومه لم تكن لتزجر بنى إسرائيل عن تلك الوثنية التى طال إلفهم لها، إذ أنهم كانوا قد ألفوا وثنية المصريين وقلدوهم في وثنتهم شأن المغلوب في تقليد الغالب.

فبالرغم من أنهم رأوا بأعينهم انفلاق البحر وانجاء الله لهم واغراق فرعون وجنوده - إلا أن الوثنية اللاصقة بقلوبهم قد غلبت عليهم، وغلبت عليهم أيضاً

---

(١) فقد ذكرت بعض الروايات أن موسى أمضى ثلاثة وعشرين عاماً منذ أن واجه فرعون وملائه - برسالته إلى يوم الخروج من مصر.

(٢) سيد قطب: في ظلال القرآن المجلد الثالث ص ١٣٦٦ راجع تفسير المنار للشيخ رشيد رضا المجلد الخامس الجزء التاسع ص ٩١ - ١٠٣.

بلادة الطبع وما ركز في طبيعتهم من السخف وما استولى على أنفسهم من الغثاثة<sup>(١)</sup>.

والحقيقة أننا نلمس قمة التبجح وغاية الوقاحة من الإسرائيليين حينما يطلبون من نبينهم موسى أن يجعل لهم إلهاً بنفسه ففي ذلك منتهى التجاهل لنبوته واللامبالاة الشديدة - لرسالته ويعكس مدى تشبعهم بالوثنية، وسريانها في دمائهم حتى أعمتهم عن ربهم وعن رسول ربهم.

#### الموقف الثاني: اتخاذهم العجل وعكوفهم عليه

ثم أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن بنى إسرائيل قد اتخذوا العجل من بعد موسى وعكفوا على عبادته.

ويبين سبحانه كيف أن عبادته قد نفذت إلى قلوبهم، وتغلغت في أعماق نفوسهم فقال سبحانه ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ <sup>(٢)</sup> وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ <sup>(٤)</sup>.

وقد بلغ من إصرارهم على عبادة العجل أن سيدنا هارون عليه السلام قال لهم كما ذكر القرآن الكريم ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَنْقُومِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ﴾ <sup>(٥)</sup> قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٤﴾

هذا وقد أخذ القرآن الكريم يعنفهم ويؤنبهم على تلك العبادة الزرية ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا

(١) قصص الأنبياء ص ٢٥٠ - ٢٥١.

(٢) البقرة: ٩٢ - ٩٣.

(٣) البقرة: ٥١.

(٤) طه: ٩٠ - ٩١.

قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١﴾

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ (٢).

ولكنها طبيعة بنى إسرائيل التى ما تكاد تستقيم خطوة حتى تلتوى عن الطريق،  
والتى ما تكاد ترتفع عن مدى الرؤية الحسية والتصور والاعتقاد، والتى يسهل  
انتكاسها كلما فتر عنها التوجيه والتسديد.

لقد راودوا نبиеهم من قبل أن يجعل لهم إلهًا يعكفون عليه بمجرد رؤيتهم لقوم  
وثنيين يعكفون على أصنام لهم فصدتهم نبиеهم عن ذلك الخاطر وردهم رداً شديداً،  
فلما خلوا إلى أنفسهم ورأوا عجلاً جسدًا من الذهب - لا حياة فيه كما تفيد كلمة  
جسد - صنعه لهم السامرى واستطاع أن يجعله بهيئة بحيث يخرج صوتاً كصوت  
الثيران - لما رأوا ذلك العجل الجسد طاروا إليه وتهافتوا عليه حين قال لهم  
السامرى "هذا إلهكم وإله موسى" الذى خرج موسى لميقاته معه فنسى موسى  
موعده معه - ولم يتذكروا وصية نبиеهم لهم من قبل عبادة ربهم الذى لا تدركه  
الآبصار - رب العالمين - ولم يتدبروا حقيقة هذا العجل الذى صنعه لهم واحد  
منهم، وإنما لصورة زرية للبشرية تلك التى كان يمثلها القوم صورة يعجب منها  
القرآن وهو يعرضها على المشركين فى مكة وهم يعبدون الأصنام (٣).

ويبرز سفر الخروج - فى حادث اتخاذهم العجل - مدى تعلقهم بالوثنية، وشدة  
توقعهم إليها، وعدم صبرهم عليها، وسرعة الانخراط فيها حينما يقول "ولما رأى  
الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون" (٤) وقالوا قم

(١) الأعراف: ١٤٨.

(٢) طه: ٨٩.

(٣) سيد قطب: فى ظلال القرآن: المجلد الثالث ص ١٣٧٣.

(٤) مما ينبغى ذكره أن اليهود بلغ من انغماسهم فى الوثنية واعتيادهم عليها أن اتهموا نبиеهم هارون بأنه  
هو الذى صاغ لهم من أقراطهم ذلك العجل الذى اتخذوه إلهًا لهم، وهذا يعكس مدى جرائتهم  
وتطاولهم على أنبيائهم وتلطيفهم لهم بالوثنية مثلما فعلوا أيضاً مع سليمان حين زعموا أنه سجد  
للأوثان متأثراً بزواجه الأجنبية - نعوذ بالله من زعمهم - ولعل الهدف من رمى أنبيائهم بهذه

اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذى أضعدهنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه<sup>(١)</sup>.

ويذكر السفر أن الرب قال لموسى اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذى أضعده من أرض مصر، زاغوا سريعاً عن الطريق الذى أوصيتهم به صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أضعدهتك من أرض مصر<sup>(٢)</sup>.

ويذهب الأستاذ زكى شنودة إلى أن قصة اتخاذ بنى إسرائيل للعجل كما ترونها التوراة تدل على أن اليهود لم يؤمنوا بالله فى يوم من الأيام إيماناً راسخاً وإنما كانوا سرعان ما ينقلبون إلى عبادة الأوثان وأنهم فعلوا ذلك فى كل مراحل تاريخهم<sup>(٣)</sup>.

ويرى أنه على الرغم من أن الله قد أعلن نفسه لهم دون غيرهم باعتبار أنه إلههم وباعتبار أنهم شعبه إلا أنهم كانوا شعباً غليظ الرقبة كما كان يقول عنهم فكانوا لا يؤمنون كان لا يفتأ يصنع أمامهم المعجزات التى تقنعهم بقوته وقدرته وتدفعهم إلى التمسك بالولاء له<sup>(٤)</sup>.

### الموقف الثالث قولهم لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة

يذكر القرآن الكريم أن موسى بين لبنى إسرائيل أنهم قد ظلموا أنفسهم باتخاذهم العجل وطلب منهم أن يتوبوا إلى ربهم.

---

السخافات - فيما أرى وأرجح - هو محاولة تبرير لوثنيتهم وكأنهم يحاولون إقناع أنفسهم وإقناع من أتى بعدهم بأنهم كانوا يقتدون بالأنبياء وقد انحرف الأنبياء فلا بأس من انحرافنا ما دمنا سنجع إلى الله وتنوب إليه، ويعكس ذلك أيضاً شدة إستغراقهم فى الوثنية ولعهم بها، هذا وقد برأ القرآن الكريم سيدنا هارون من التهمة الشنيعة التى وجهت إليه فيما يتعلق باتخاذ العجل وذكر أن السامرى هو الذى صنعه لهم وأن هارون حاول أن يصددهم إلا أنه عارضوه فتركهم خشية أن لا تكون فتنة، وتفصيل ذلك فى الباب الثالث إن شاء الله.

(١) خروج: ٣٢: ٢.

(٢) خروج: ٣٢: ٧ - ٨.

(٣) اليهود ص: ٢٣٣.

(٤) المصدر السابق ص: ٤١٥.

فقال سبحانه ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يُقَوْمِ إِنكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(١)</sup>.

ولكن إسرائيل هي إسرائيل هي هي كثافة حس ومادية فكر، واحتجاباً عن مسارب الغيب فإذا هم يطلبون أن يروا الله جهرة، والذي طلب هذا هم السبعون المختارون منهم الذي اختارهم موسى لميقات ربه<sup>(٢)</sup> ويرفضون الإيذان لموسى إلا أن يروا الله عياناً.

فهم قد علقوا إيمانهم بموسى ورسالته على رؤيتهم لله تعالى حيث إن عقولهم لم تقو على فهم الذات العلية الفهم الصحيح وظنوا أنه من الممكن رؤيتها.

فالحس المادى الغليظ هو وحده طريقهم إلى المعرفة، والايات الكثيرة والنعم الإلهية والعفو والمغفرة كلها لا تغير من تلك الطبيعة الجاسية التي لا تؤمن إلا بالمحسوس والتي تظل مع ذلك تجادل وتماحل ولا تستجيب إلا تحت وقع العذاب والتنكيل مما يوحى بأن فترة الإذلال الذي ينشئه الطغيان الطويل يحطم فضائل النفس البشرية ويحلل مقوماتها<sup>(٣)</sup>.

وفي هذا يقول الله سبحانه ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾<sup>(٤)</sup> ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ<sup>(٥)</sup>.

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) البقرة: ٥٤.

(٢) راجع تفاصيل ذلك في تفسير القرطبي ج١ ص٤٠٣ ج٧ ص٢٩٣-٢٩٦.

(٣) راجع على عبد الواحد وافي: اليهودية واليهود ص٣٣-٣٤، سيد قطب: في ظلال القرآن ج١ ص٧٢.

(٤) البقرة: ٥٥.

(٥) النساء: ١٥٣.

يمثل عصر القضاء العصر الأول للوثنية القومية وهى الوثنية التى استمرت - طوال هذا العصر وتمثلت فى ترك يهوه، والتوجه إلى عبادة الآلهة الأجنبية<sup>(١)</sup>.

ويذكر سفر القضاء أن عبادة الرب ظلت معروفة لدى اليهود وبعض الوقت فى عصر القضاة كما ورثوها من تعاليم موسى ويشوع، ولكنهم سرعان ما انقسموا إلى عشائر متفرقة متباعدة متعادية وسرعان ما ضعف إيمانهم بالله حتى نسوه تماماً، فلم يكونوا يذكرونه إلا حين يغير عليهم شعب آخر ويحتل أرضهم ويستعبدهم ثم إذا انتصروا يعودون بعد ذلك إلى نسيان إلههم أو عبادة آلهة وثنية معه<sup>(٢)</sup>.

ويصور السفر ما انتاب بنى إسرائيل من تغيرات خلقية وعقائدية نتيجة تغيير حياتهم فبعد أن اتصلوا بالشعوب التى تسكن فى المناطق المجاورة أو التى تقيم معها نسوا ربهم ورجعوا إلى طبيعتهم الغالبة وانساقوا وراء عبادة الأوثان<sup>(٣)</sup>.

ولذلك فقد رأى العلماء أن الإطار الأدبى العام والواقعى لهذا السفر يصور عصر القضاة على أنه عصر زنى وثنى مستمر، بدأ بالتحديد بعد موت يشوع والشيخوخ الذين طالت أيامهم بعده<sup>(٤)</sup>.

فكاتب السفر يشير إلى أن أية نكبة تصيب الشعب إنما هى نتيجة لمعصية ارتكبتها،

(١) محمد على حسن هوارى: فكرة الألوهية عند بنى إسرائيل ص ٥١٢.

(٢) راجع زكى شنودة: موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية: الجزء الثامن ص ٢٤٨، لودز: إسرائيل ص ٤٠٤ نقلاً عن محمد على حسن هوارى: فكرة الألوهية ص ٢٩٤.

المستفاد من إصحاحات سفر القضاة منذ أوائلها أن انحرافات بنى إسرائيل كانت عقب موت يوضع ودخولهم فى حقبة عصر القضاة دون تلبث قليل ناسين العهد الذى أخذه عليهم يوشع وسجله فى النورا على ما حكاه آخر إصحاحات يوشع مما كان دأبهم منذ خروجهم من مصر، وهذا يدل على ضعف صلابتهم وقلة مقاومتهم وسرعة تأثرهم بعقائد وتقاليد الوثنيين حولهم ثم على عدم مبالاهم بزواج ربهم ونذره وتقريعات الأنبياء ووصاياهم المشددة المتكررة.

(راجع الأب ديل: تاريخ شعب العهد القديم ص ١٨٩ محمد عزة دروزة: تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ص ١٢٣).

(٣) د/ محمد بحر عبد المجيد: اليهودية ص ٧١.

(٤) محمد على حسن هوارى: المصدر السابق ص ٢٩٤.

وإن الارتداد عن دين يهوه وعبادة آلهة أجنبية كان سبباً في عقاب سماوى اتخذ صورة الاضطهاد الأجنبى الذى وقع على بنى إسرائيل من قبل الشعوب والأمم المجاورة، ويتبع هذا العقاب توبة بنى إسرائيل وندمهم ثم توسلهم إلى الرب لكى ينقذهم ويخلصهم.

ولم يكن هذا الإطار إلا وجهة نظر تاريخية فلسفية وهو جزء من وجهة النظر السائدة فى المقرات التى يفسر بها محرروا العهد القديم كل ما أصاب بنى إسرائيل من شر وما حل بهم من مصائب طوال تاريخهم الطويل نتيجة لارتكابهم خطيئة الوثنية<sup>(١)</sup>.

وعلى أية حال فقد كانت السمة الدينية العامة التى تميز بها عصر القضاة هى الردة عن عبادة "يهوه" والتوجه إلى عبادة الآلهة الأجنبية حتى سُمى عصر القضاة بعصر الارتداد - إذ أن السفر قد عرض لنا صوراً بشعة جداً لما كان من ارتكاس بنى إسرائيل، وانحرافهم الدينى والخلقى بسرعة عجيبة مما تكررت حكايته عنهم منذ زمن موسى عليه السلام وما كان وظل طابعهم المميز<sup>(٢)</sup>.

وهناك قصة وقعت أحداثها فى عصر القضاة تدل على شدة شيوع الوثنية فى هذا العصر، وتعبر عن قوة استشراء الشرك والارتداد فى بنى إسرائيل واندماج الجميع فيه.

إذ ورد فى سفر القضاة أن رجلاً من جبل افرايم كان يدعى ميخا قد صنع له الصائغ من الفضة التى أخذها من أمة تمثالاً منحوتاً وتمثالاً مسبوكاً ووضعها فى بيته وكان له أيضاً بيت للآلهة فعمل أفوداً<sup>(٣)</sup> وترافيم<sup>(١)</sup> وملأ يد واحد من بنيهِ فصار

(١) قضاة ٢: ١١ - ٩١. راجع تفاصيل ذلك: هوارى: فكرة الألوهية ص ٢٩٤ - ٢٩٦.

(٢) راجع الأب ديل: تاريخ شعب العهد القديم ص ١٨٩ وصموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم ص ١٤٠ وما بعدها، محمد عزة دروزة: تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ص ١٢٥، محمد على

هوارى: الألوهية عند بنى إسرائيل منذ عصر موسى حتى السبى البابلى ص ٢٩٤

(٣) أفود: كلمة عبرانية لا يعرف معناها على وجه التحقيق وهى تنطبق على ثوب يشبه الصدرية كان يلبسه رئيس الكهنة العبرانى أثناء خدمة الكهنوت، وكان يصنع من لون الذهب واللون الأزرق

له كاهناً، وفي تلك الأيام لم يكن ملك في بنى إسرائيل كان كل واحد يعمل ما يحسن في عينيه.

وحدث أن غلاماً لاويا من بيت لحم ومن عشيرة يهوذا التقى بميخا فطلب منه ميخا أن يقيم عنده وأن يكون له أباً وكاهناً وعرض عليه ما يغريه من المال والثياب فرضى اللاوى بالإقامة معه فقال ميخا الآن علمت أن الرب يحسن إلى لأنه صار لي اللاوى كاهناً.

ثم حدث أن ارتحل ستمائة من عشيرة الدانين إلى جبل افرايم وجاءوا إلى بيت ميخا وهجم خمسة منهم على البيت وأخذوا ما فيه من التماثيل والأفود والترافيم فقال لهم الكاهن ماذا تفعلون فقالوا له اخرس، ضع يدك على فمك واذهب معنا وكن لنا أباً وكاهناً، أهو خير لك أن تكون كاهناً لبيت رجل واحد أم أن تكون كاهناً لسبط ولعشيرة في إسرائيل فطاب قلب الكاهن وأخذ الأفود والترافيم والتماثيل المنحوت ودخل في وسط الشعب ثم انصرفوا، وأخذ ميخا

---

والارجوانى والقرمزى، وكان يثبت على الجسم بواسطة شريطين للكتفين من فوق وحزام من أسفل.....، ومن الواضح أن الأفود كان جميلاً جداً وعظيم القيمة، وقد أدى استخدام الأفود في العبادة وفي تبين إرادة الله إلى تقديسها كصنم (قضاة ٨: ٢٧/ ١٧: ١٨/ ٥: ١٤، هوشع ٤: ٣).

(١) والترافيم: كلمة عبرية معناها "مسعدرات" وقد وردت بدون ترجمة وقد تترجم أصناماً (تكوين ٣١: ١٩/ ٣٤/ ٣٥ وهى أصنام أو آلهة رب البيت وتكون صغيرة جداً لسهولة حملها في الهروب بسرعة ويمكن اخفاؤها تحت حداجة الجمل (تكوين ٣١: ١٩/ ٣٠/ ٣٤)، وأكبر ما في الترافيم يكون على هيئة آدميين (صموئيل أول ١٩: ١٣) وكان الناس يعتقدون أنها مجلبة للفعال الحسن وكانت تستشار في كل المقترحات (حزقيال ٢١: ٢١، زكريا ١٠: ٢٠) وبحسب القانون البابلي كان لمن عنده آلهة الأسرة الحق في أن يرث نصيب البكر وقد استعملها لابان في حاران وسرقت ابنته راحيل الترافيم وحملتها إلى كنعان ولم يكن يعقوب على علم بها.

وقد أشار صموئيل إلى أن التمرد كخطية العرافة والعناد كالوثن والترافيم (صموئيل أول ١٥: ٢٣)، ومع ذلك فكان يوجد - حسب ما جاء في سفر صموئيل الأول - في بيت داود - ترافيم لزوجته (١٩: ١٣)، ويستفاد من إشارة النبی هوشع إلى حالة اليهود بقوله سيقعدون أياماً كثيرة بلا ملك وبلا رئيس ولا ذبيحة وبلا تماثيل وبلا أفود وبلا ترافيم أن اليهود سيقعون في حالة الكفر التام بحيث لا يفقدون عبادة الله فقط بل كل دين وكل عبادة، وقد أباد الملك يوشيا كما سنرى الترافيم مع غيرها من الأصنام عند قيامه بحركة التطهير، ومع ذلك فإنه وجد بين الشعب بعد رجوعه من السبي من يسأل الترافيم (هوشع ٣: ٤) ملوك ثان ٢٣: ٢٤، زكريا ١٠: ٢، راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٢١٤ - ٢١٥ عصام الدين حفنى ناصف: اليهودية في العقيدة والتاريخ ص ١٢٣.

يصرخ ويقول: أهتلى التى عملت، ولكنى حين رأى أنهم أشد منه انصرف وعاد إلى بيته.

وأما هم فإنهم أخذوا ما صنع ميخا والكاهن الذى كان له وجاءوا إلى لارس وضربوا شعبها بحد السيف وأحرقوا المدينة بالنار ثم بنوها وسكنوا بها ودعوا اسمها دان باسم دان أبيهم وأقاموا لأنفسهم التمثال المنحوت وظلوا يعبدونه حتى عصر السبي<sup>(١)</sup>.

هذا ويستشهد كثير من العلماء بقصة ميخا وبيت الآلهة الذى أقامة على مدى الإرتداد العقائدى الذى كان سائداً فى عصر القضاة<sup>(٢)</sup>.

### الوثنية فى عصر الانقسام:

ويمثل هذا العصر العصر الثانى للوثنية القومية العامة التى غلبت على سكان المملكتين، وشاعت بين صفوف اليهود بدءاً من البيت المالك وانتهاء بعامة الشعب. ونبدأ أولاً بمملكة إسرائيل:

يذكر الدكتور حسن ظاظا أن مملكة إسرائيل الشمالية عاشت حوالى قرنين من الزمان تسيطر عليها أساليب الترف الوثنى والانحلال الأخلاقى<sup>(٣)</sup>.

فقد صاحب التدهور السياسى لمملكة سليمان وانقسامها تدهور دينى أيضاً، إذ رأى يريعام (أول ملك إسرائيل) أن انقطاعاً سياسياً فقط بين شطرى المملكة لم يكن كافياً للإبقاء على استقلال الشمال فافتتحت بضرورة وجود ركيزة دينية لنظامه الجديد.

ولكى يواجه نفوذ أورشليم الدينى وحتى يتفادى الإغراء المحتمل حدوثه من معبد سليمان على الإسرائيليين أقام مقدسين جديدين ليهوه فى بيت ايل ودان.

(١) راجع سفر القضاة: الاصحاحين السابع عشر والثامن عشر.

(٢) راجع صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم ص ١٥٠، قاموس الكتاب المقدس ص ٣٣٧، محمد عزة دروزة: تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ص ١٣٠.

(٣) إسرائيل ركيزة الاستعمار: بحث فى كتاب الصهيونية العالمية وإسرائيل ص ٤٣ الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية القاهرة ١٩٧١.

ووضع فيهما صنمين على صورة عجلين من الذهب وطلب إلى الأسباط العشرة عبادتهما وأقام لهما كهنة يؤدون طقوس عبادتهما وجعل نفسه رئيساً لأولئك الكهنة<sup>(١)</sup>.

ويذكر سفر الملوك الأول أن الرب أرسل إليه من يقول له "وقد ساء عملك أكثر من جميع الذين كانوا قبلك فسرت وعملت لنفسك آلهة أخرى ومسبو كات لتغيظني وقد اطرحتني وراء ظهرك"<sup>(٢)</sup>.

وتوعده قائلاً "لذلك هاأنذا جالب شراً على بيت يريعام كل بائل بحائط محجوزاً أو مطلقاً في إسرائيل وأنزع آخر بيت يريعام كما ينزع البعر حتى ينفي، من مات ليريعام في المدينة تأكله الكلاب ومن مات في الحقل تأكله طيور السماء لأن الرب تكلم"<sup>(٣)</sup>.

هذا وقد أطلق على ما فعله يريعام "خطية يريعام" وأخذت الأسفار تعيب على من خلفه من ملوك إسرائيل بإتباع خطية يريعام والسير على طريقها، وأن هذه الخطية كانت سبب البلاء الذي حاق بمملكة إسرائيل.

يقول سفر الملوك عن ابنه ناداب "وعمل الشر في عيني الرب وسار في طريق أبيه وفي خطيته التي جعل بها إسرائيل يخطئ"<sup>(٤)</sup>.

ويقول عن الملك بعشا "وعمل الشر في عيني الرب وسار في طريق يريعام وفي خطيته التي جعل بها إسرائيل يخطئ"<sup>(٥)</sup>.

---

(١) ملوك أول ١٢: ٢٦ - ٢٩ راجع تعليقات موسكاتي: الحضارات السامية القديمة ص ١٤٤، زكي شنودة: المجتمع اليهودي ص ٤٢٩، صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم ص ٢٣١، ٢٣٢، د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود في التاريخ ص ٦٠٣، هوارى: فكرة الألوهية ص ٣٢٩ - ٢٣٣ ناقلاً عن مصادر إنجليزية وعبرية، ويذكر سفر أخبار الأيام الثاني أن ألبا بن ريعام قال للأسباط العشرة: والآن أنتم تقولون أنكم تثبتون أمام مملكة الرب بيد بني داود وأنتم جمهور كثير ومعكم عجلون ذهب قد عملها يريعام لكم آلهة أما طردتم كهنة الرب بني هارون واللاويين وعملتم لأنفسكم كهنة كشعوب الأراضى كل من أتى ليملأ يده بثور ابن بقر وسبعة كباش صار كاهنا للذين ليسوا آلهة (١٣: ٨-٩).

(٢) ملوك أول ١٤: ٩.

(٣) ملوك أول ١٤: ١٠ - ١١.

(٤) ملوك أول ١٥: ٢٦.

(٥) ملوك أول ١٥: ٣٤.

وحين ذكر استيلاء عمرى على حكم زمرى وانتحار زمرى علل ذلك بقوله "من أجل خطاياها التى أخطأ بها بعمله الشر فى عينى الرب وسيره فى طريق يربعام ومن أجل خطيته التى عمل بجعله إسرائيل يخطئ"<sup>(١)</sup>.

وقال السفر أيضاً عن عمرى "وعمل عمرى الشر فى عينى الرب وأساء أكثر من جميع الذين قبله وسار فى جميع طريق يربعام بن نباط وفى خطيته التى جعل بها إسرائيل يخطئ لإغظة الرب إله إسرائيل بأباطيلهم"<sup>(٢)</sup>.

وأما آخاب بن عمرى فقد ذكر عنه السفر "أنه عمل الشر فى عينى الرب أكثر من جميع الذين قبله وكأنه كان أمراً زهيداً سلوكه فى خطيئة يربعام حتى اتخذ ايزابل ابنة اثبعل ملك الصيدونيين امرأة وسار وعبد البعل وسجد له وأقام مذبحاً لبعل فى بيت البعل الذى بناه فى السامرة وعمل آخاب سوارى وزاد آخاب فى العمل لإغظة الرب إله إسرائيل أكثر من جميع ملوك إسرائيل الذين كانوا قبله"<sup>(٣)</sup>.

وقال عن ابنه اخزيا "وعمل الشر فى عينى الرب وسار فى طريق أبيه وطريق أمه وطريق يربعام بن نباط الذى جعل إسرائيل يخطئ وعبد البعل وسجد له وأغاظ الرب إله إسرائيل حسب كل ما فعله أبوه"<sup>(٤)</sup>.

أما أخوه يهورام فبالرغم من أن السفر قد ذكر أنه عمل الشر فى عينى الرب ولكن ليس كأبيه وأمّه حيث أنه أزال تمثال البعل الذى عمله أبوه إلا أنه يذكر أنه لصق بخطايا يربعام بن نباط الذى جعل إسرائيل يخطئ لم يحد عنها"<sup>(٥)</sup>.

أما الملك ياهو الذى أقامه الرب ليقضى على عبادة البعل فقد مدحه كتاب الأسفار من أجل ذلك إلا أنهم قالوا "ولكن خطايا يربعام الذى جعل

(١) ملوك أول ١٦ : ١٩ .

(٢) ملوك أول ١٦ : ٢٥ - ٢٦ .

(٣) ملوك أول ١٦ : ٣٠ - ٣٣ .

(٤) ملوك أول ٢٢ : ٥٢ - ٥٣ .

(٥) ملوك ثان ٣ : ٢ - ٣ .

إسرائيل يخطئ لم يجد ياهو عنها أى عجول الذهب التى فى بيت إيل والتى فى دان - ولكن ياهو لم يتحفظ للسلوك فى شريعة الرب إله إسرائيل، لم يجد عن خطايا يربعام<sup>(١)</sup>.

وذكر السفر عن ابنه يهواحاز أنه عمل الشر فى عينى الرب وسار وراء خطايا يربعام بن نباط الذى جعل إسرائيل يخطئ لم يجد عنها<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً عن حفيدة يهواش بن يهواحاز "إنه عمل الشر فى عينى الرب ولم يجد عن جميع خطايا يربعام بن نباط الذى جعل إسرائيل يخطئ بل سار بها<sup>(٣)</sup>.  
وقال كذلك عن يربعام بن يهواش "وعمل الشر فى عينى الرب لم يجد عن شيء من خطايا يربعام<sup>(٤)</sup>.

وعن ابنه زكريا قال إنه "عمل الشر فى عينى الرب كما عمل آباؤه لم يجد عن خطايا بعام<sup>(٥)</sup>.

وكذلك قال عن منحيم بن حادي<sup>(٦)</sup> وعن ابنه فقحيا<sup>(٧)</sup> وأيضاً عن فقح بن رمليا<sup>(٨)</sup> أما عن آخر ملوك إسرائيل فقد ذكر أنه عمل الشر فى عينى الرب ولكن ليس كملوك إسرائيل الذين كانوا قبله<sup>(٩)</sup>.

وهكذا وجدنا أن سائر ملوك إسرائيل قد توارثوا خطايا يربعام، واستمروا فى ممارسة الطقوس الوثنية، حتى إن سفر الملوك الثانى أرجع زوال مملكة إسرائيل

---

(١) راجع سفر الملوك الثانى ١٠ : ٢٩ - ٣١.

(٢) ملوك ثان ١٣ : ٢.

(٣) ملوك ثان ١٣ : ١١.

(٤) ملوك ثان ١٤ : ٢٤.

(٥) ملوك ثان ١٥ : ٩.

(٦) ١٦ : ١٥.

(٧) ٢٤ : ١٥.

(٨) ٢٨ : ١٥.

(٩) ٢ : ١٧.

وتخريب السامرة وسبى الإسرائيليين إلى آشور أرجع ذلك إلى استغراقهم في الوثنية وعكوفهم على طقوسها.

يقول السفر: "وكان أن بنى إسرائيل أخطأوا إلى الرب إلههم الذى أصعدهم من أرض مصر من تحت يدى فرعون ملك مصر واتقوا آلهة أخرى، وسلكوا حسب فرائض الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل ولموك إسرائيل الذى أقاموهم، وعمل بنو إسرائيل سراً ضد الرب إلههم أموراً ليست بمستقيمة وبنوا لأنفسهم مرتفعات فى جميع مدنهم من برج النواطير إلى المدينة المحصنة، وأقاموا لأنفسهم أنصاباً وسوارى على كل تل عال وتحت كل شجرة خضراء.

وأوقدوا هناك على جميع المرتفعات مثل الأمم الذين ساقهم الرب من أمامهم وعملوا أموراً قبيحة<sup>(١)</sup> لإغظة الرب، وعبدوا الأصنام التى قال الرب عنها لا تعملوا هذا الأمر.

وأشهد الرب على إسرائيل عن يد جميع الأنبياء وكل راء قائلاً: ارجعوا عن طرقكم الردية واحفظوا وصاياى فرائض حسب كل الشريعة التى أوصيت بها آبائكم والتى أرسلتها إليكم عن يد عبيدى الأنبياء، فلم يسمعو بل صلبوا أقفيتهم كأكفية آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب الههم، ورفضوا فرائضه وعهده الذى قطعه مع آبائهم وشهادته التى شهد بها عليهم وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً وراء الأمم الذين حولهم الذين أمرهم الرب أن - لا يعملوا مثلهم، وتركوا جميع وصايا الرب الههم وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلىن وعملوا سوارى وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل، وعبروا بنيهم وبناتهم فى النار<sup>(٢)</sup> وعرفوا عرافة وتفاءلوا وباعوا أنفسهم لعمل الشر فى عينى الرب لإغاظته فغضب الرب جداً على إسرائيل ونحاهم من أمامه ولم يبق إلا سبط يهوذا وحده<sup>(٣)</sup>.

(١) من هذه الأمور القبيحة ممارسة الزنى واللواط وإشاعة الفاحشة وما يعرف بالعهر القدس وتفاصيل ذلك فى الباب الثالث.

(٢) والمقصود بذلك ما يعرف بالتضحية البشرية أو ممارسة القرابين البشرية والتفاصيل فى كتابى القرابين البشرية والذبائح التلمودية عند الوثنيين واليهود ١٤١٠ - ١٩٩٠ طنطا.

(٣) يشير السفر فى نفس الموضع إلى أن سكان مملكة يهوذا أيضاً لم يحفظوا وصايا الرب الههم بل سلكوا فى فرائض إسرائيل التى عملوها (ملوك ثان ١٧: ١٩).

فردل الرب كل نسل إسرائيل وأذلهم ودفعهم ليد ناهيين حتى طرحهم من أمامه لأنه شق إسرائيل عن بيت داود فملكوا يربعام بن نباط فأبعد يربعام إسرائيل من وراء الرب وجعلهم يخطئون خطية عظيمة، وسلك بنو إسرائيل في جميع خطايا يربعام التي عمل، لم يحدوا عنها، حتى نحى الرب إسرائيل من أمامه كما تكلم عن يد جميع عبيده - الأنبياء فسبى إسرائيل من أرضه إلى آشور إلى هذا اليوم<sup>(١)</sup>

**مملكة يهوذا:**

أما مملكة يهوذا فلم تكن بعيدة عن الوثنية وإنما كانت غارقة فيها حيث إنها سارت في نفس الطريق الذي سلكت فيه إسرائيل.

يذكر موسكاتى أن ملوك يهوذا بالرغم من أنهم ظلوا مخلصين للمعبد الكبير في أورشليم إلا أنهم غضوا النظر في بداية الأمر عن عبادة الآلهة الأجنبية فقدور للملكتين معاً أن تشهدا دخول عبادات وطقوس وثنية<sup>(٢)</sup>.

وأخذت الوثنية تضرب بأطنابها في أنحاء المملكة جميعاً وتفشى فيها الكفر والفسوق والإنحلال وكان الانحراف الدينى شاملاً شمولاً عجيماً في معظم حقبةا، حتى كان بيت الرب مملوءاً بالرجاسات والأصنام والمشاهد الوثنية ومسرحة لإقامة الطقوس الوثنية فضلاً عن الأماكن الأخرى وفي كل ناحية من أنحاء الدولة<sup>(٣)</sup>.

يقول سفر الملوك الأول: وعمل يهوذا الشر في عيني الرب وأغاروه أكثر من جميع ما عمل آباؤهم بخطاياهم التي أخطأوا بها وبنواهم أيضاً لأنفسهم مرتفعات وأنصاباً وسوارى على كل تل مرتفع وتحت كل شجرة خضراء، وكان أيضاً مآبونون

(١) ملوك ثان ١٧: ٧ - ١٣.

(٢) راجع الحضارات السامية القديمة ص ١٤٤ - ١٤٥، راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٤٠١.

(٣) د/ حسن ظاظا: الصهيونية العالمية وإسرائيل ص، محمد عزة دروزة: تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ص ٢٣٣، حسين ذو الفقار صبرى: إنها الأمور بأصولها ص ١٧ - مجلة المجلة العدد ١٥١ عام ١٩٦٩.

في الأرض فعلوا حسب كل أرجاس الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل<sup>(١)</sup>.

فعلى الرغم من حماسة رحبعام المتقدمة للدين في مستهل حكمه، إلا أنه قد استسلم أخيراً لقيادة الأوثان<sup>(٢)</sup>.

ورد في سفر أخبار الأيام الثاني "ولما ثبتت مملكة رحبعام وتشددت ترك شريعة الرب هو وكل إسرائيل معه"<sup>(٣)</sup>.

وذكر السفر أنه "عمل الشر لأنه لم يهتئ قلبه لطلب الرب"<sup>(٤)</sup>.

وجاء من بعده ابنه اييام "وسار في جميع خطايا ابيه التي عملها قبله ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب الهه كقلب داود أبيه"<sup>(٥)</sup>.

ثم تولى من بعدهما آسا الذي عمل ما هو مستقيم في عيني الرب كداود أبيه وأزال المأبوتين من الأرض<sup>(٦)</sup> ونزع جميع الأصنام التي عملها آبؤه حتى إن معكة أمه خلعتها من أن تكون ملكة لأنها عملت تمثالاً لسارية وقطع آسا تمثالها وأحرقه في وادي قدرون<sup>(٧)</sup>.

وبرغم هذه الإصلاحات التي تعبر عن شيوع الوثنية في عهد من سبقه، إلا أن المرتفعات لم تنزع<sup>(٨)</sup> وظلت قائمة في عهده وهذا يعني أنه لم يستطع القضاء تماماً على المظاهر الوثنية<sup>(٩)</sup>.

---

(١) ملوك أول ١٤: ٢٢ - ٢٤.

(٢) راجع تفاصيل ذلك: صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم ص ٢٤٩.

(٣) أخبار الأيام الثاني ١٢: ١.

(٤) المصدر السابق: ١٢: ١٤.

(٥) ملوك أول ١٥: ٣.

(٦).

(٧) ملوك أول ١٥: ١١ - ١٣.

(٨) ملوك أول ١٥: ١٤.

(٩) وخاصة أن سفر الملوك يذكر أن آسا لم يقض تماماً على المأبوتين وإنما بقى في أيامه عدد منهم أبادهم من بعده ابنه يهو شافاط (ملوك أول ٢٢: ٤٦).

وكذلك كان ابنه يهو شافاط فإنه كما يقول السفر "سار في طريق آسا أبيه لم يجد عنها إذ عمل المستقيم في عيني الرب إلا أن المرتفعات لم تنزع بل كان الشعب لا يزال يذبح ويوقد على المرتفعات"<sup>(١)</sup>.

أما ابنه يهورام فإنه سار في طريق ملوك إسرائيل كما فعل بيت آخاب لأن بنت آخاب كانت له امرأة وعمل الشر في عيني الرب"<sup>(٢)</sup>.

وقد أرسل إليه ايليا النبي من يقول له "هكذا قال الرب من أجل أنك لم تسلك في طرق يهو شافاط أبيك، وطرق آسا ملك يهوذا بل سلكت في طرق ملوك إسرائيل وجعلت يهوذا وأورشليم يزنون كزنا بيت آخاب وقتلت أيضاً إخوتك من بيت أبيك الذين هم أفضل منك، هوذا يضرب الرب شعبك وبنيك ونساءك وكل مالك ضربة عظيمة وإياك بأمراض كثيرة بداء أمعائك حتى تخرج أمعاؤك بسبب المرض يوما فيوما"<sup>(٣)</sup>.

وكذلك كان ابنه اخزيا إذ أنه سار في طريق بيت آخاب وعمل الشر في عيني الرب كبيت آخاب لأنه كان صهر بيت آخاب"<sup>(٤)</sup>.

أما يهواش فإنه عمل المستقيم في عيني الرب كل أيام يهو ياداع"<sup>(٥)</sup> إلا أن المرتفعات لم تنزع بل كان الشعب لا يزالوا يذبحون ويوقدون على المرتفعات"<sup>(٦)</sup>.

ثم حدث بعد أن مات يهو ياداع جاء رؤساء يهوذا وسجدوا ليهواش حينئذ سمع

---

(١) ملوك أول ٢٢: ٤٣.

(٢) ملوك ثان ٨ ك ١٨.

(٣) أخبار ثان ٢١: ٢١ - ١٥.

(٤) ملوك ثان ٨: ٢٧ ويقول سفر الأخبار "وهو أيضاً سلك في طريق بيت آخاب لأن أمه كانت تشير عليه بفعل الشر فعمل الشر في عيني الرب مثل بيت آخاب لأنهم كانوا له مشيرين بعد وفاة أبيه لإبادته" أخبار ثان ٢٢: ٣ - ٤."

(٥) يهو ياداع هو الكاهن الأكبر الذي تولى القضاء على عبادة البعل التي نشرتها عثليا أم اخزيا وتمكن من إنقاذ يهواش ثم ولاه الملك تحت حمايته (راجع الفصل الخامس بتاريخ اليهود: عصر الانقسام).

(٦) ملوك ثان ١٢: ٢ - ٣، أخبار ثان ٢٤: ٢.

لهم وتركوا بيت الرب اله آبائهم وعبدوا السواري والأصنام فكان غضب على يهوذا وأورشليم لأجل اثمهم هذا وأرسل إليهم أنبياء لارجاعهم إلى الرب وأشهدوا عليهم فلم يصغوا<sup>(١)</sup>.

وبلغ من تمكن الوثنية منهم أن زكريا بن يهوياحاز الكاهن وقف فوقهم وقال لهم هكذا يقول الله لماذا تتعدون وصايا الرب فلا تفلحون لأنكم تركتم الرب قد ترككم ففتنوا عليه ورجموه بحجارة بأمر الملك في دار بيت الرب ولم يذكر يوشافاط المعروف الذي عمله يهوياحاز أبوه معه بل قتل ابنه<sup>(٢)</sup>.

أما أمصيا ابنه فقد عمل ما هو مستقيم في عيني الرب ولكن ليس بقلب كامل، عمل حسب كل ما عمل يوشافاط أبوه إلا أن المرتفعات لم تنزع بل كان الشعب لا يزالون يذبحون ويوقدون على المرتفعات<sup>(٣)</sup>.

ويروى سفر الأخبار أنه عبد آلهة الادوميين وسجد لهم<sup>(٤)</sup>.

وكذلك ابنه عزربا عمل ما هو مستقيم في عيني الرب حسب كل ما عمل أمصيا أبوه ولكن المرتفعات لم تنزع بل كان الشعب لا يزالون يذبحون ويوقدون على المرتفعات، وضرب الرب الملك فكان أبرص إلى يوم وفاته وأقام في بيت المرض<sup>(٥)</sup>.

ثم جاء من بعده يوثام وعمل المستقيم في عيني الرب إلا أن المرتفعات. كما تذكر الأسفار أيضا لم تنزع بل كان الشعب لا يزالون يفسدون ويذبحون ويوقدون على المرتفعات<sup>(٦)</sup>.

أما آحازين يوثام فإنه لم يفعل المستقيم في عيني الرب الهه كداود أبيه بل سار في

---

(١) أخبار ثان ١٧: ٢٤ - ١٩.

(٢) ملوك ثان ١٢: ٢٠، أخبار ثان ٢٤: ٢٠ - ٢٢.

(٣) ملوك ثان ١٣: ٣ - ٤، أخبار ثان ٢٥: ٢.

(٤) أخبار ثان ٢٥: ١٤.

(٥) ملوك ثان ١٥: ٣ - ٥.

(٦) ملوك ثان ١٥: ٣٤ - ٣٥، أخبار ثان ٢٧: ٢.

طريق ملوك إسرائيل حتى إنه عبر ابنه في النار حسب أرجاس الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل وذبح وأوقد على المرتفعات وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء<sup>(١)</sup>.

لكن ابنه حزقيا حينما تولى أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السوارى وسحق حية النحاس التى عملها موسى (بزعمهم) لأن بنى إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها ودعوها نحشتان.

ويذكر السفر أنه اتكل على الرب إله إسرائيل ولم يكن مثله فى جميع ملوك يهوذا ولا فى الذين كانوا قبله التصق بالرب ولم يجد عنه<sup>(٢)</sup>.

ورغم ذلك فإن سفر أخبار الأيام الثانى يذكر أن "حزقيا مرض إلى حد الموت وصلى إلى الرب فكلمه وأعطاه علامة ولكن لم يرد حسبا أنعم عليه لأن قلبه ارتفع فكان غضب عليه وعلى يهو وأورشليم<sup>(٣)</sup>".

ولكن الإصلاح الذى قام به حزقيا قد ذهب سدى وضاع هباء إذ أن ابنه منسى كما تذكر الأسفار "عمل الشر فى عينى الرب حسب رجاسات الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل، وعاد فبنى المرتفعات التى هدمها حزقيا أبوه، وأقام مذابح للبعليم وعمل سوارى وسجد لكل جند السماء وعبدها وبنى مذابح فى بيت الرب الذى قال عنه الرب فى أورشليم يكون اسمى إلى الأبد، وبنى مذابح لكل جند السماء فى دارى بيت الرب، وعبر ابنه فى النار وعاف وتفاءل وسحر واستخدم جانا وتوابع واكثر من عمل الشر فى عينى الرب لإغاظته، ووضع تمثال السارية التى عمل فى البيت الذى قال الله عنه لداود وسليمان ابنه فى هذا البيت وفى أورشليم التى اخترت من جميع أسباط إسرائيل أضع اسمى إلى الأبد<sup>(٤)</sup>".

(١) ملوك ثان ١٦: ٢-٤، أخبار ثان ٢٨: ١-٤.

(٢) ملوك ثان ١٨: ٣-٦، راجع تفاصيل الإصلاح الدينى الذى قام به حزقيا فى سفر الأخبار الثانى (١: ٣١-٢١).

(٣) أخبار ثان ٣٢: ٢٤-٢٥.

(٤) ملوك ثان ٢١: ٢-٧، أخبار ثان ٣٣: ٢-٧.

وهكذا وجدنا مدى استغراق منسى فى الوثنية حتى إن العلماء والمؤرخين ليذهبون إلى أن عصر الوثنية الحقيقى فى يهوذا كان متمثلاً فى زمن حكم منسى (٦٩٨ - ٦٤٣ ق. م) الذى كان يعد بحق ايزابل مملكة الجنوب بل ربما تمادى فى وثنيته عن ايزابيل.

بل إن الكثيرين يرون أنه بالرغم من أن عسر اخآب وزوجته ايزابل كان سيئاً بما فيه الكفاية إلا أن عصر منسى كان يعتبر أسوأ منه بكثير<sup>(١)</sup>.

ومع أن العصرين قد شهدا أعنف الاضطهادات الدموية التى وقعت على عبدة يهوه كما أن كلا من الملكين قد أدخل فى مملكته عنصراً أو أكثر من العبادات الوثنية الأجنبية إلا أن وثنية منسى كانت فريدة فى نوعها على نحو يثير التساؤلات.

وأيضاً فإن وثنية منسى لم تكن قاصرة على حدود أورشليم وإنما نشر عبادة الأوثان فى مدن فرعية أيضاً.

وهنا نجد اختلافاً بين وثنية منسى ووثنية اخآب إذ كانت عبادة ايزابل للبعل قاصرة على العاصمة وحدها فلا نجدها خارج السامرة.

كما أن الأسفار لم تذكر عن اخآب أنه خطأ إسرائيل بعبادة البعل فى حين ذكرت عن منسى أنه خطأ يهوذا بأصنامهم<sup>(٢)</sup>.

والواقع أن العلماء والباحثين يعتبرون منسى لغزاً فى حد ذاته حيث إن وثنيته كانت فريدة بين الوثنيات التى شهدتها عصور غيره من الملوك.

فمن اليسير علينا إدراك الدوافع التى ساعدت على ظهور الانحراف الوثنى فى عصر اخآب حيث كانت ايزابيل الصيدونية هى السبب، ولكن فيما يتعلق بالملك منسى فإن أحداً لم يتمكن بالتحديد من معرفة الظروف الحقيقة التى دفعته إلى هذه الوثنية المتمادية والدوافع التى جعلته أشد المتعصبين لها.

---

(١) سبتين لنا مدى سوء وثنية اخآب وايزابل الفينيقية فى الباب الثالث عند الحديث عن تأثير الإسرائيليين بعبادة البعل.

(٢) ملوك ثان ٢١: ١١، ١٦.

وخاصة أننا نرجع بذاكرتنا إلى العصر الذى ورثه منسى والذى عاش فيه طفولته مهما قيل عن قلة السنوات التى عاشها فى ذلك العصر قبل أن يكون ملكاً.

فإنه مما لا شك فيه أن منسى شب فى مدينة أورشليم فى جو حكم فيه حزقيا الذى فعل كل ما هو مستقيم فى عينى الرب "على نحو ما ذكرت آنفاً".

كما أنه عاصر النبى اشعيا الذى ظل نشطاً - دون شك - إلى ما بعد موت حزقيا.

ومن ثم فإن منسى شب من أحضان عقيدة يهوه وفى جو مناهض لأية وثنية فكيف أصبح هذا الرجل وثنياً، بل كيف كان بحق - فيما يرى البعض - الوثنى الحقيقى بين ملوك إسرائيل ويهوذا؟<sup>(١)</sup>.

هذه هى القضية: إن وثنية هذا الشعب لم تكن مجرد خضوع لغزو خارجى وإنما هى طبيعة اليهود المادية وميلهم الشديد إلى الوثنية، ولو استحضرنّا ذلك لزال عنا التعجب من وثنية منسى، ولتأكد لدينا قوة قابليته للوثنية وسرعة استجابته لها وضعف إيمانه أمام - اغراءاتها.

ولا يقدح فى ذلك محاولة تقربه من الآشوريين وإرضائه لغرورهم حيث كانوا ييغون نشر ديانتهم وشیوع وثنتهم<sup>(٢)</sup>.

ويجب أن لا يغيب أيضاً عن بالنا أن الشعب اليهودى قد تفاعل تماماً مع منسى فى نشر وثنيته فتقبلها بقبول حسن واستغرق فيها استغراقاً طويلاً.

---

(١) راجع موسكاتى: الحضارات السامية القديمة ص ١٤٦ د/ السيد يعقوب بكر: هوامش موسكاتى ص ٢٨٢ ناقلاً عن لودز وروبسون وغيرهما، راجع أيضاً محمد على حسن هوارى: الألوهية ص ٣٩٠ - ٣٩٤ ناقلاً عن مصادر عبرية وإنجليزية.

(٢) يذكر المؤرخون أن منسى حاول إرضاء آشور والاستسلام لإرادتها فتقرب إليهم بإدخال كثير من العبادات الوثنية الأجنبية، ولذلك فهم يرجحون أن مجمع الآلهة الذى أقامة منسى كان يضم معبودات كنعانية وآشورية وأن العناصر الآشورية كانت الغالبة فيه، وأنها قد دخلت إلى وثنية منسى فرضاً، وذلك لحرص آشور الدائم على إدخال عناصر من ديانتها فى ديانة البلاد التى تحتلها أو تدو فى فلکها (راجع موسكاتى الحضارات السامية القديمة ص ١٤٦، صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم ص ٢٨٩، محمد على حسن هوارى: الألوهية ص ٥١٥).

فإذا علمنا أن منسى قد حكم خمساً وخمسين سنة في أورشليم<sup>(١)</sup> وأنه لم يقتل بل مات ميتة عادية، فإن ذلك يشير إلى أنه لم يجد مقاومة فعلية من الشعب لسياسته الدينية واقتصرت هذه المعارضة على أقوال الأنبياء.

وإنما على العكس من ذلك قد وجد استحساناً لهذه السياسة وقبولاً لذلك الاتجاه - الوثنى في أعين دوائر كثيرة من اليهود حيث أنهم أورشوا العرش لابنه آمون الذى فاق أباه في وثنيته<sup>(٢)</sup>.

ولذلك فإن العلماء يرجحون أن وثنية منسى لم تكن وثنية خاصة بالملك ورجاله فقط بل كانت وثنية استحسناها الشعب فضربت جذورها فيهم<sup>(٣)</sup>.

ومن المرجح أن يكون ذلك هو السبب الذى أزعج محررى العهد القديم فكررنا ما سجلوه بأن حكم التخريب على أورشليم ووقوع السبى البابلى كان بسبب خطايا منسى<sup>(٤)</sup>.

ويذكر صموئيل شولتز أن الحالة الأخلاقية والدينية في يهوذا كانت تفوق سوءاً عن جميع الدول التى طردت من أرض كنعان، ومن ثم فإن تاريخ منسى يرمز إلى أشر فترة في تاريخ ملوك داود<sup>(٥)</sup>.

ويذكر الدكتور/ محمد بيومى مهران أن منسى كان له شهرة سيئة من الناحية

---

(١) ملوك ثان ٢١: ١، أخبار ثن ٣٣: ١.

(٢) ملوك ثان ٢١: ١٨، أخبار ثان ٣٣: ٢٠، ٢٣.

(٣) راجع محمد على حسن هراى: الألوهية ص ٤٠٨ - ٤٠٩.

(٤) تذكر الأسفار أن اليهود قد أظلمهم منسى ليعلموا ما هو أقيح من الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل، وتكلم الرب عن يد عبيده الأنبياء قائلاً: من أجل منسى ملك يهوذا قد عمل هذه الأرجاس وأساء أكثر من جميع الذى عمله الأموريون الذين قبله وجعل أيضاً يهوذا يخطئ بأصنامهم، لذلك هكذا قال الرب اله إسرائيل، هاأنذا جالب شراً على أورشليم ويهوذا حتى أن كل من يسمع به تظن أذناه، وأمد على أورشليم خيط السامرة ومطمار بيت اخآب وأمسح أورشليم كما يمسح واحد الصحن يمسحه ويقلبه على وجهه وأرفض بقية ميراثى وأدفعهم إلى أيدي اعدائهم فيكونون غنيمة ونهباً لجميع اعدائهم (ملوك ثان ٢١: ٩ - ١٤) راجع الملوك الثانى ٢٣: ٢٦ - ٢٧.

(٥) العهد القديم يتلکم ص ١٨٩.

الدينية ذلك لأنه إنما كان كافراً بدين "يهوه" متبنياً لطقوس سادته الوثنية، بما فيها من عبادة الكواكب والتضحية بالأطفال، ومن هنا فقد اعتبرت هذه المرحلة أسوأ وأقسى ردة وثنية في تاريخ يهوذا، وأما ما هو أكثر دهشة في هذه المرحلة فإن هذه الأحوال إنما كان يمارسها هؤلاء القوم الذين ادعوا أنهم عباد يهوه، إنما كانوا يعتقدون أنهم بممارستهم مثل هذه الأعمال، يصبحون جديرين برعاية رب إسرائيل<sup>(١)</sup>.

هذا ولم تنته وثنية منسى بموته وإنما تولى من بعده ابنه آمون<sup>(٢)</sup> الذى تابعه فى نشر الوثنية.

يذكر سفر الملوك أن آمون (عمل الشر فى عينى الرب كما عمل منسى أبوه وسلك فى كل الطريق الذى سلك فيه أبوه وعبد الأصنام التى عبدها أبوه وسجد لها وترك الرب اله آبائه ولم يسلك فى طريق الرب<sup>(٣)</sup>).

بل إن سفر الأخبار يذكر أن آمون ذبح لجميع التماثيل التى عمل منسى أبوه وعبدها ولم يتواضع أمام الرب بل ازداد إثماً<sup>(٤)</sup>.

ومعنى ذلك أنه بالغ فى الولع بالوثنية حتى فاق أباه فى نشرها.

ويذكر شولتز أن فترة حكمه بالرغم من أنها كانت قصيرة<sup>(٥)</sup> إلا أن المثال السيئ الذى وضعه أمام شعب يهوذا خلالها هياً الفرصة لحدوث ارتداد رهيب، وأن عهده يمثل آخر الفترات التى شهدت تصاعداً مخيفاً وبلا حدود فى الوثنية<sup>(٦)</sup>.

وما يدل على استغراق اليهود فى عصر آمون فى الوثنية أنه حين ثار عليه عبيده —

---

(١) دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ج ٨ ص ٩٧٨ نقلا عن مصدر أجنبى.

(٢) جاء فى قاموس الكتاب المقدس أنه ربما يظهر من الاسم (آمون) وثنية أبيه منسى فى اختيار اسم وثنى لابنه، وقد سار آمون على مثال أبيه فى عبادة الأوثان ص ٧.

(٣) ملوك ثان ٢١ : ٢٠ - ٢٢.

(٤) أخبار ثان ٣٣ : ٢٢ - ٢٣.

(٥) كانت فترة حكمه سنتين فقط (ملوك ثان ٢١ : ١٩).

(٦) العهد القديم يتكلم ص ٢٩١.

وقتلوه في بيته ضرب كل الشعب - أو شعب الأرض - جميع الفاتنين عليه وملكوا ابنه يوشيا عوضاً عنه<sup>(١)</sup>.

وهذا يعنى شدة ارتياحهم للوثنية ومدى استمتاعهم وتلذذهم بها، حتى إنهم قد فجعوا بموته وأحسوا أن هناك قلقاً يهدد الوثنية فضربوا على أيدي الثائرين وملكوا من هو من صلب هذا الوثنى حتى تبقى لهم الوثنية.

وحينما تولى يوشيا الملك ترك كل شيء على ما هو عليه حتى تم العثور على سفر الشريعة في الثامنة عشرة من ملكه كما سبق أن أشرت إلى ذلك في الفصل السابق.

وبعد قراءة هذا السفر بدأ يوشيا بحركة إصلاح وتطهير، ويهنا هنا التعرف على هذه الحركة لتبين ضخامة الوثنية التي حاول يوشيا القضاء عليها ومدى تغلغلها في نفوس اليهود وبين صفوفهم.

يذكر سفر الملوك الثانى أن الملك يوشيا أمر حلقي الكاهن العظيم وكهنة الفرقة الثانية وحراس الباب أن يخرجوا من هيكل الرب جميع الآنية المصنوعة للبعل وللسارة ولكل أجناد السماء وأحرقها خارج أورشليم في حقول قدرون وحمل رمادها إلى بيت ايل ولا شى كهنة الأصنام الذين جعلهم ملوك يهوذا ليقودوا على المرتفعات في مدن يهوذا وما يحيط بأورشليم والذين يوقدون للبعل للشمس والقمر والمنازل ولكل أجناد السماء.

وأخرج السارية من بيت الرب خارج أورشليم إلى وادى قدرون ودقها إلى أن صارت غباراً وذرى الغبار على قبور عامة الشعب.

وهدم بيوت المأبونين التي عند بيت الرب حيث كانت النساء ينسجن بيوتاً للسارية وجاء بجميع الكهنة من مدن يهوذا ونجس المرتفعات حيث كان الكهنة يوقدون من جبع إلى بئر سبع وهدم مرتفعات الأبواب التي عند مدخل باب يشوع رئيس المدينة التي عن اليسار في باب المدينة، إلا أن كهنة المرتفعات لم يصعدوا إلى

(١) ملوك ثان ٢١: ٢٣ - ٢٤، أخبار ثان ٣٣: ٢٤ - ٢٥.

مذبح الرب فى أورشليم بل أكلوا فطيراً بين أخوتهم، ونجس توفة التى فى وادى بنى هنوم لكى لا يعبر أحد ابنه أو ابنته فى النار لمولك.

وأباد الخيل التى أعطها ملوك يهوذا للشمس عند مدخل بيت الرب عند مخدع نتملك الخصى الذى فى الأروقة، ومركبات الشمس أحرقتها بالنار، والمذابح التى على سطح عليّة آحاز التى عملها ملوك يهوذا والمذابح التى عملها منسى فى وادى بيت الرب هدمها الملك وركض من هناك وذرى غبارها فى وادى قدرون.

والمرتفعات التى قبالة أورشليم التى عن يمين جبل الهلاك التى بناها سليمان ملك إسرائيل (حسب زعم السفر، لكن الحقيقة أن الملوك الذين جاءوا من بعده هم الذين بنوها) لعشروت رجاسة الصيدين ولكموش رجاسة المراهبين وللملكوم كراهة بنى عمون نجسها الملك (أى يوشيا).

وكسر التماثيل وقطع السوارى وملاً مكانها من عظام الناس.

وكذلك المذبح الذى فى بيت ايل فى المرتفعة التى عملها يربعام بن نباط الذى جعل إسرائيل يخطئ فذانك المذبح والمرتفعة هدمها وأحرق المرتفعة وسحقها، حتى صارت غباراً، وأحرق السارية.

والتفت يوشيا فرأى القبور التى هناك فى الجبل فأرسل وأخذ العظام من القبور وأحرقها على المذبح ونجسه حسب كلام الرب الذى نادى به رجل الله الذى نادى بهذا الكلام، وقال ما هذه الصورة التى أرى فقال له رجال المدينة هى قبر رجل الله الذى جاء من يهوذا ونادى بهذه الأمور التى عملت على مذبح بيت ايل، فقال دعوه لا يجرى أحد عظامه فتركوا عظامه وعظام النبى الذى جاء من السامرة.

وكذا جميع بيوت المرتفعات التى فى مدن السامرة التى عملها ملوك إسرائيل للإغظة أزالها يوشيا وعمل بها حسب جميع الأعمال التى عملها فى بيت ايل.

وذبح جميع كهنة المرتفعات التى هناك على المذابح وأحرق عظام الناس عليها ثم رجع إلى أورشليم<sup>(١)</sup>.

(١) سفر الملوك الثانى ٢٣: ٤ - ٢٠.

ولعلنا حين اطلعنا على أخبار هذه الحركة الإصلاحية والتطهيرية لابد أن نستنتج حتماً أن يوشيا قد أزال الوثنية تماماً وتمكن من إبادة القضاة عليها وأن الملوك الذين جاءوا بعده سيتبعون نهجه.

إلا أننا نجد - كما تذكر الأسفار - أن وثنية منسى ظلت قائمة ولم تنته تماماً في عصر يوشيا حيث يخبرنا ارميا أنه دعا الشعب للتوبة وأن لا يسيروا وراء الهة أخرى إلا أن الشعب لم يسمح له.

كذلك فإنه لا يمكننا إغفال تلك الإشارات الواردة في سفر ارميا والتي نستنتج منها أن شعب إسرائيل عامة ظل على وثنيته في عصر يوشيا، وأنه لم يحدث أى تغيير طوال عصر ارميا إذ يصف هذا السفر شعب إسرائيل بصفة عامة بأنه شعب وثني<sup>(١)</sup>.

وأيضاً فإن سفر الملوك قد ذكر عقب عرضه لحركة إصلاح يوشيا أن الرب لم يرجع عن حمو غضبه العظيم لأن غضبه حى على يهوذا من أجل جميع الإغاثات التى أغاظه أياها منسى فقال الرب إنى أنزع يهوذا أيضاً من أمامى كما نزع إسرائيل وأرفض هذه المدينة التى اخترتها اورشليم والبيت الذى قلت يكون اسمى فيه<sup>(٢)</sup>.

هذا بالإضافة إلى أن الأسفار تذكر أن الملوك جاءوا بعد يوشيا (يهواحاز، يهوياقيم، يهوياكين، صدقيا) قد عملوا الشر فى عينى الرب حسب كل ما عمله آبائهم وأن الرب قد غضب على شعب يهوذا لخيانته ولذلك فإنه مكن البابليين من تدمير اورشليم وسبى اليهود إلى بابل<sup>(٣)</sup>.

---

(١) راجع تفاصيل عودة الشعب إلى الوثنية بعد يوشيا سفر ارميا ٦: ٣ - ١٠ / ٤: ٣ / ١١: ١ / ٨: ٢٥ : ١ - ٧، صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم ص ٢٩٨ - ٣٠٠، محمد على حسن هوارى: الألوهية ص ٤٠٥ ناقلاً عن مصادر عبرية وإنجليزية.

(٢) ملوك ثان ٢٣: ٢٦ - ٢٧.

(٣) ملوك ثان ٢٣: ٣٢، ٣٧ / ٢٤: ٩، ١٩ - ٢٠، أخبار ثان ٣٦: ٥، ٨، ٩، ١٢، ويذكر بيت سفر الأخبار الثانى أن جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الأمم ونجسوا

وهكذا وجدنا أن كثيراً من ملوك إسرائيل وملوك يهوذا قد ارتكبوا كل ألوان العسف والعنف والظلم والاعتصاف والدعارة والفجوز ضد رعاياهم وتزوجوا من الوثنيات وعبدوا الآلهة الوثنية.

وكانت فترات البغى والقسوة والانحراف أطول من فترات الإستقامة والصلاح.

وكان عدد الملوك المنحرفين أكثر بكثير من الملوك المستقيمين، بل إن من المستقيمين من سجلت عليهم الأسفار بعض الانحرافات وإن لم تكن خطيرة كانحرافات الأولين<sup>(١)</sup>.

حتى إن أنبياء العهد القديم قد نظروا إلى الملكية نظرة ملؤها الريبة والشبهات، وذلك لأن الملكيات في البلدان المجاورة كانت تبحر دائماً إلى آلهة كثيرة تثبت دعائم عروشها، ولأنهم وجدوا أن الشعب اليهودى قد استورد آلهة غريبة باغراء الملكات والأميرات الأجنبية حتى لقد قيل إن الملكية كانت تحدياً ليهوه واعتداء صارخاً على العهد<sup>(٢)</sup>.

وإذا أخذنا بالمثل القائل إن الناس على دين ملوكهم اتضح لنا مدى انسياق اليهود في المملكتين إلى الوثنية وشدة استغراقهم في ممارسة طقوسها، إذ كانوا يتشبهون بهم مع ما كان لديهم من استعداد تام لتقبل هذه الوثنية.

### الأنبياء ومكافحة الوثنية:

هذا ونستطيع أن نطلع على مزيد من النصوص التى توضح لنا تعمق الشعب اليهودى واستغراقه فى الوثنية وذلك من خلال قراءة أسفار الأنبياء ومن خلال دعواتهم:

---

بيت الرب الذى قدسه فى اورشليم فأرسل الرب إليهم رسلاً فأخذوا يهزأون بهم وردلوا كلام الرب وتهاونوا بأنبيائه حتى ثار غضب الرب على شعبه حتى لم يكن شفاء فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم بالسيف فى بيت مقدسهم ولم يشفق على فتى أو عذراء ولا على شيخ أو أشيب بل دفع الجميع ليده (٣٦: ١٤ - ١٧).

(١) راجع زكى شنودة: المجتمع اليهودى ص ٤٢٩ - ٤٣٠، محمد عزة دروزة: تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ص ٢٣٣، د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود فى التاريخ ص ٦١١.

(٢) حبيب سعيد: أديان العالم ص ١٨١ - ١٨٢.

كما تبين لنا من خلال الفصول السابقة أنه قدر لتاريخ اليهود السياسى حتى النفى إلى بابل، أن تلازمه دون فكاك دعوة الأنبياء إذ تابعوا تقلباته جميعاً، ونددوا دائماً بسياسة الحكام وكانوا يدعون إلى نقاء القلب وتواضعه واستقامة السلوك والإخلاص للعهد المعقود مع الله، ويفسرون مصائب الدولة اليوم أو غداً - كما يتنبأون - بأنها نتيجة لانحراف الناس عن الولاء لله بعد أن أضلهم الحكام، وكان يميز دعوتهم العداء للتطور السياسى الدينى الذى شهده عصر الملكية، وأدى إلى تلويث دين يهوه القديم وفساده فنددوا - بالبدع الوثنية وبذلك عارضوا السلطة الملكية معارضة صريحة ورأوا فى الملكية بدعة منكرة ونظاماً منقولاً عن العالم الخارجى المعادى لإسرائيل<sup>(١)</sup>.

ويذكر جرهاردوس فوس أن سواد الشعب كانوا يعيشون فى مستوى منحط دينياً وأن دعوة الأنبياء كانت على الدوام فى حرب شعواء ضد اتجاهات الشعب الوثنية<sup>(٢)</sup>.

وقد ظهرت طليعة الأنبياء الكبار فى مملكة إسرائيل فى القرن التاسع ق. م. حين قام فيها الياهو<sup>(٣)</sup> واليشاع<sup>(٤)</sup>، وإليهما يرجع رد الفعل ضد وثنية اخآب (حوالى ٧٨٦ - ٨٥٤ ق. م.) والقضاء فى عهد ياهو (حوالى ٨٤٢ - ٨١٥ ق. م.) على صور العبادة الوثنية إلا أنه لم تكن لهذا الإصلاح نتائج باقية، إذ أن الانحرافات القديمة لم تلبث أن عادت إلى الظهور وتدلنا الكشف الأثرية على كثرة الأشجار المقدسة من النمط الكنعانى ومذابح البخور والتماثيل الصغيرة للآلهات والتمايم<sup>(٥)</sup>.

---

(١) موسكاتى: الحضارات السامية ص ١٤٥، شاهين مكاربوس: تاريخ الإسرائيليين ص ٣١ قاموس الكتاب المقدس ص ٧١.

(٢) علم اللاهوت الكتابى ص ٤٣٧ ترجمة د/ عزت زكى دار الثقافة القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٢.

(٣) إيلياهو أو إيليا اسم عبرى ومعناه "الهى يهوه" والصيغة اليونانية لهذا الاسم هى اليأس وتستعمل أحياناً فى العربية وهو نبى عظيم عاش فى المملكة الشاملية وعاصر الملك اخآب وزوجته إيزابل وقام بمحاربتها ومحاربة عبادة البعل (راجع تفاصيل الحديث عنه فى قاموس الكتاب المقدس ص ١٤٤، ١٤٥).

(٤) أليشع اسم عبرانى معناه "الله خلاص" وهو خليفة إيليا فى العمل النبوى فى المملكة الشاملية (راجع تفاصيل الحديث فى المصدر السابق ص ١١١ - ١١٢).

(٥) موسكاتى: الحضارات السامية القديمة ص ١٤٥.

وقد تعاقب أنبياء جدد في منتصف القرن الثامن ق.م: عاموس، وهوشع، وميكا (ميخا).

وإذا كانت دعوة الياهو واليشع بالعمل أكثر منها بالقول فلم يخلف لنا أسفاراً مكتوبة تعبر عن دعوتها، فإن هؤلاء الأنبياء كانوا يندرون الناس وينصحونهم بمواعظ وصلت إلينا في تلك الأسفار من العهد القديم التي تحمل أسماءهم<sup>(١)</sup>.

ولقد احتوت هذه الأسفار العديدة المنسوبة إليهم وإلى أنبياء آخرين عاشوا في أيام بعض ملوك يهوذا وإسرائيل - تنديدات وتقريعات وتنبؤات ورؤى متنوعة يبرز من خلالها صورة قوية لما كانت عليه الدولتان من انحرافات خلقية ودينية واجتماعية وما قاساه أهلها من بلاء شديد علل بأنه كان نتيجة لهذه الانحرافات<sup>(٢)</sup>.

ومن هذه الأسفار يمكن أن نتخير سفرين هما سفر ارميا وسفر حزقيال:

#### **سفر ارميا والوثنية الإسرائيلية:**

فمثلاً في سفر أرميا نجد أن أرميا يدعو الشعب إلى حفظ وصايا العهد ولكنهم يجيبونه باباحة الوثنية.

فقد اكتسحت الوثنية الأرض المقدسة في أيام أرميا على شكل عبادة آلهة عديدة، ولم تكتف بذلك بل اكتسحت آداب الشعب المختار!! فصاروا يعيشون على غرار جيرانهم الوثنيين وصارت أماكن العبادة العالية حتى باحات الهيكل ذاته تشهد كل أنواع الفساد والرجاسة والفجور مما أتت به عبادة الأوثان.

هذا الانحطاط الذي منيت به الآداب الأخلاقية بلغ درجة أصبحت فيها السرقة والقتل والزنا والجحود أموراً عادية مما حدا بالنبي على أن يشن عليها أشد حملاته، فلقد دعر لما رأى من ترك سكان أورشليم من كبيرهم إلى صغيرهم أبسط شرائع

(١) المصدر السابق.

(٢) محمد عزة دروزة تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ٢٣٤.

العهد ووصاياه وكانت حالة الارتداد التي وصلت إليها إسرائيل في عهد ارميا مرعبة ومخيفة<sup>(١)</sup>.

ذلك لأن تأثير النهضة الروحية التي قام بها حزقيا واشعيا التي استطاعت أن تصدر تيار التسفل والانحطاط وقتياً لكنه سرعان ما زال وعبر - بل إن الإصلاحات العظيمة التي قام بها يوشيا والتي أثرت في الشعب في مظاهرهم أكثر مما أثرت في قلوبهم لم تفلح في أن تحول دون القصاص المحتوم.

إذ أن مملكة يهوذا لم تتعظ مما حل بأختها مملكة إسرائيل بل إنها سرعان ما انحدرت إلى نفس الطريق لكي يقضى عليها بنفس القصاص، فالملك والحاشية والرؤساء والشعب - والأنبياء والكهنة سرت إليهم عدوى الرذائل التي لأجلها طرد الكنعانيون من أرض الموعد من عدة أجيال.

فقد حفل كل جبل بغابة كثيفة من الأشجار الخضراء التي مارس الشعب تحت ظلها الفرائض الوثنية البغيضة وعبادة الطبيعة القبيحة، وامتألت كل أرجاء البلاد بالهياكل التي تشيدت لعبادة البعل وعشتاروت وكل جند السماء كما امتألت بالأوثان الداعرة.

وكان كهنة هذه العبادات الرجسة يغدون ويروحون في المدن بملابسهم القائمة يعلمون الشعب أن الرذيلة جزء من العبادة وكانوا يغشون البيوت المركسة للدعارة، وتفشت كل أنواع الشرور دون مقاومة وازداد الجو فساداً والأرض رجساً بسبب انتشار السرقة والقتل والزنى والعبادة الوثنية<sup>(٢)</sup>.

وها هي بعض نصوص هذا السفر تصور باعتراف اليهود أنفسهم استغراقهم في الوثنية.

---

(١) راجع الأب ديلي: تاريخ شعب العهد القديم ص ٢٨٣، صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم ص ٤٥٠ - ٤٥١.

(٢) راجع سفر ارميا ٢: ٢٠، ٢٧، ٣٤ / ٥: ٧-٨، ٢٦، راجع د/ ماير: حياة أرميا ص ١٥ - ١٦.

ورد في الإصحاح الثاني أن الرب أوصاه أن يقول "اسمعوا كلمة الرب يا بيت يعقوب وكل عشائر بيت إسرائيل. هكذا قال الرب ماذا وجد في آباؤكم من جور حتى ابتعدوا عني وساروا وراء الباطل وصاروا باطلا، ولم يقولوا أين هو الرب الذي أصعدنا من أرض مصر الذي سار بنا في البرية في أرض قفر وحفر في أرض يبوسة وظل الموت في أرض لم يعبرها رجل ولم يسكنها إنسان وأتيت بكم إلى أرض بساتين لتأكلوا ثمرها وخيرها فأتيتم ونجستم أرضي جعلتهم ميراثي رجسا، الكهنة لم يقولوا أين هو الرب وأهل الشرعية لم يعرفونني والرعاة عصوا على والأنبياء تنبأوا ببعل وذهبوا وراء ما لا ينفع<sup>(١)</sup>.

فهو يبين انحراف اليهود وجنوحهم إلى الوثنية منذ أن خرجوا من مصر وحينما قدموا إلى أرض كنعان وظلت الوثنية ملازمة لهم ويفسر هذا بتفصيل أكثر فيقول:

"لأنه منذ القديم كسرت نيرك وقطعت قيودك وقلت لا أتعبد، لأنك على كل أكمة عالية وتحت كل شجرة خضراء أنت اضطجعت زانية، وأنا قد غرستك كرمة سورق زرع حق كلها فكيف تحولت لى سروغ جفنة غربية، فانك وإن اغتسلت بنظرون وأكثرت لنفسك الأشنان فقد نقش اثمك امامي يقول السيد الرب، كيف تقولين لم أتنجس وراء بعليم لم أذهب، أنظري طريقك في الوادي، اعرفي ما عملت ياناقة خفيفة ضبعة في طريقها، يأتان الفرا قد تعودت البرية في شهور نفسها تستنشق الريح، وعند ضبعها من يردها كل طالبيها لا يعيون، في شهرها يجدونها، احفظي رجلك من الحفا وحلقك من الظمأ فقلت باطل . لا. لأنى أحببت الغراء ووراءهم أذهب، كخزي السارق إذا وجد هكذا خزي بيت إسرائيل هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم وأنبياءهم قائلين للعود أنت أبنى للحجر أنت ولدتنى.

لأنهم حولوا نحوى القفا لا الوجه وفي وقت بليتهم يقولون قم وخلصنا، فأين أهلك التى صنعت لنفسك، فليقوموا أن كانوا يخلصونك في وقت بليتك لأنه على عدد مدنك صارت أهلك يا يهوذا<sup>(٢)</sup>.

(١) ارميا ٢: ٤ - ٨.

(٢) سفر ارميا ٢: ٢٠ - ٣٠.

ثم يذكر ارميا في الإصحاح الثالث أن الرب قال له "في أيام يوشيا الملك، هل رأيت ما فعلت العاصية إسرائيل<sup>(١)</sup> انطلقت إلى جبل عال وإلى كل شجرة خضراء وزنت هناك، فقلت بعدما فعلت كل هذه ارجعى إلى فلم ترجع، فرأت أختها الخائنة يهوذا فأريت أنه لأجل كل الأسباب اذنت العاصية إسرائيل فطلقتها وأعطيته كتاب طلاقها لم تخف الخائنة يهوذا أختها بل مضت وزنت هى أيضا، وكان من هوان زناها أنها نجست الأرض وزنت مع الحجر ومع الشجر.

وفى كل هذا أيضا لم ترجع إلى أختها الخائنة يهوذا بكل قلبها بل بالكذب يقول الرب فقال الرب لى قد بررت نفسها العاصية إسرائيل أكثر من الخائنة يهوذا، أذهب وناد بهذه الكلمات نحو الشمال وقل ارجعى أيتها العاصية إسرائيل يقول الرب، اعرفى فقط اثمك أنك إلى الرب الهلك اذنت وفرقت طرقك للغرباء تحت كل شجرة خضراء ولصوتى لم تسمعوا يقول الرب<sup>(٢)</sup>.

ثم يقول:

"حقاً أنه كما تخون المرأة قرينها هكذا خنتمنى يا بيت إسرائيل يقول الرب.

سمع صوت على الهضاب بكاء تضرعات بنى إسرائيل، لأنهم عوجوا طريقهم، نسوا الرب الههم ارجعوا أيها البنون العصاة فأشفى عصيانكم<sup>(٣)</sup>.

ثم يطلب منهم أن يجيئوا إليه ويعترفوا له "وقد أكل الخزى تعب آبائنا منذ صبانا

---

(١) لقد أطلق السفر على لسان الرب لقب العاصية على إسرائيل ولقب الخائنة على يهوذا بعد أن مثلها وبعد أن ضرب هذا المثل فى بداية الإصحاح الثالث "إذا طلق رجل امرأته فانطلقت من عنده وصارت لرجل آخر فهل يرجع إليها بعد، ألا تتنجس تلك الأرض نجاسة أما أنت فقد زنت بأصحاب كثيرين، لكن أرجعى إلى يقول الرب، ارفعى عينيك إلى الهضاب وانظرى أين لم تضاجعى فى الطرقات جلست لهم كأعرابى فى البرية ونجست الأرض بزناك وبشرى، وجبهة امرأة زانية كانت لك أبيت أن تحجلى" ارميا ٣: ١ - ٣.

(٢) ارميا ٣: ٦ - ١٣.

(٣) ارميا ٣: ٢٠ - ٢٢.

غنمهم وبقرهم بنيتهم وبناتهم، نضطجع في خزيننا ويغيطننا خجلنا لأننا إلى الرب الهنا أخطأنا نحن وآباؤنا صباناً إلى هذا اليوم ولم نسمع لصوت الرب الهنا" (١).

ويصور ارميا حالة اليهود بقوله "وصار لهذا الشعب قلب عاص ومتمرد، عصوا ومضوا، ولم يقولوا بقلوبهم لنخف الرب الهنا" (٢).

"اسمع أيها الشعب الجاهل والعديم الفهم الذين لهم أعين ولا يبصرون، لهم أذان ولا يسمعون وإياي لا تخشون" (٣).

"لأنه وجد في شعبي أشرار يرصدون كمنحني من القانصين ينصبون أشراكا يمسكون الناس، مثل قفص ملائ طيوراً هكذا بيوتهم ملائمة مكرراً، من أجل ذلك عظموا واستغنوا سمنوا المعوا، أيضاً تجاوزوا في أمور الشر" (٤).

"وكل بيت إسرائيل غلف القلوب" (٥).

ثم يخاطب الرب أورشليم بقوله "اغسلي من الشر قلبك يا أورشليم لكي تخلصي، إلى متى تبئت في وسطك أفكارك الباطلة" (٦).

ويصف الوثنية المنتشرة فيها وفي مدن يهوذا بقوله:

"أما ترى ماذا يعملون في مدن يهوذا وفي شوارع أورشليم الأبناء يلتقطون حطباً والآباء يوقدون النار والسناء يعجن العجين ليصنعن كعكاً لملكة السماوات، ولسكب سكائب لآلهة أخرى لكي يغيظوني، أفاي يغيظون يقول الرب، أليس أنفسهم لأجل خزي وجوههم" (٧).

---

(١) ارميا ٣: ٢٤ - ٢٥.

(٢) ارميا ٥: ٢٣.

(٣) ارميا ٥: ٢١ - ٢٢.

(٤) ارميا ٥: ٢٦ - ٢٨.

(٥) ارميا ٩: ٢٦.

(٦) ارميا ٤: ١٤.

(٧) ارميا ٧: ١٧ - ١٩.

ويبين أن الشعب قد ارتد ارتداداً دائماً يقول:

"هكذا قال الرب، هل يسقطون ولا يقومون أو يرتد أحد ولا يرجع، فلماذا ارتد هذا الشعب في أورشليم ارتداداً دائماً تمسكوا بالمكر، أبوا أن يرجعوا، صغيت وسمعت، بغير المستقيم يكلمون، ليس أحد يتوب عن شره قائلاً ماذا عملت"<sup>(١)</sup>.

وتوعد الرب أورشليم ويهددها بكشف وثيتها بقوله:

"فأنا أيضاً أرفع ذبليك على وجهك فيرى خزيك، فسقك وصهيلك ورذالة زناك على الآكام في الحقل قد رأيت مكرهاتك، ويل لك يا أورشليم لا تطهرين، حتى متى بعده"<sup>(٢)</sup>.

ويصف السفر حالة الانحراف العامة التي شملت الأنبياء الكذبة والكهنة بقوله على لسان ارميا:

"في الأنبياء - انسحق قلبي في وسطى ارتخت كل عظامي، صرت كإنسان سكران ومثل رجل غلبته الخمرة من أجل الرب ومن أجل كلام قدسه، لأن الأرض امتلأت من الفاسقين، لأنه من أجل اللعن ناحت الأرض جفت مراعى البرية وصار سعيهم للشر وجبروتهم للباطل، لأن الأنبياء والكهنة تنجسوا جميعاً بل في بيتي وجدت شرهم يقول الرب.

لذلك يكون طريقهم لهم كمزالق في ظلام دامس فيطردون ويسقطون فيها لأنبي أجلب عليهم شراً سنة عقابهم يقول الرب.

وقد رأيت في أنبياء السامرة حماقة، تنبأوا بالبعل وأضلوا شعبي إسرائيل، وفي أنبياء أورشليم رأيت ما يقشعر منه، يفسقون ويسلكون بالكذب ويشددون أيادي فاعلى الشر حتى - لا يرجعوا الواحد عن شره، صاروا لى كلهم كسدوم وسكانها كعمورة"<sup>(٣)</sup>.

(١) ارميا: ٤ - ٦.

(٢) ارميا ١٣: ٢٦ - ٢٧.

(٣) ارميا: ٢٣: ٩ - ١٤.

ويقول "لأنه من عند أنبياء أورشليم خرج نفاق في كل الأرض"<sup>(١)</sup>.

ويصف ارميا تغلغل الوثنية في قلوب اليهود جميعاً منذ نشأتهم بقوله: "لأن بنى إسرائيل وبنى يهوذا إنما صنعوا الشر في عيني منذ صباهم، لأن بنى إسرائيل بعمل أيديهم يقول الرب، لأن هذه المدينة قد صارت لى لغضبى ولغيطى من اليوم الذى فيه بنوها إلى هذا اليوم لأنزعها من أمام وجهى، من أجل كل شر بنى إسرائيل وبنى يهوذا الذى عملوه ليغيطونى به هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم وأنبياءهم ورجال يهوذا وسكان أورشليم، وقد حولوا لى القفا لا لوجه وقد علمتهم مبكراً ومعلماً ولكنهم لم يسمعوا ليقبلوا أدبا بل وضعوا مكرهاهم فى البيت الذى دعى باسمى لينجسوه"<sup>(٢)</sup>.

ولعل أبلغ ما ورد فى سفر ارميا للتدليل على الاتجاه الوثنى لدى بنى إسرائيل ما ذكره ارميا فى الإصحاح الرابع والأربعين عن اليهود الذين نزحوا إلى أرض مصر عقب سقوط - يهوذا وتدمير أورشليم عام ٥٨٦ ق. م وكيف أنهم أصروا على وثنتهم ورفضوا نصائح أرميا وبينوا له أن حالهم مع الوثنية أفضل وأنفع لهم يقول الإصحاح:

"الكلمة التى صارت إلى ارميا من جهة كل اليهود الساكنين فى أرض مصر.. هكذا قال الرب "أنتم رأيته كل الشر الذى جلبته على أورشليم وعلى كل مدن يهوذا فها هى خربة هذا اليوم وليس فيها ساكن من أجل شرهم الذى فعلوه ليغيطونى إذ ذهبوا ليعبدوا، ويعبدوا آلهة أخرى لم يعرفوها هم ولا أنتم ولا آبائكم"

فأرسلت إليكم كل عبيدى الأنبياء مبكراً ومرسلاً قائلاً لا تفعلوا أمر هذا الرجس الذى - أبغضه، فلم يسعوا ولا أمالوا أذنه ليرجعوا عن شرهم فلا يبخروا لآلهة أخرى فانسكب غيطى وغضبى واشتعلوا فى مدن يهوذا وفى شوارع أورشليم فصارت خربة مقفرة كهذا اليوم"<sup>(٣)</sup>.

(١) ارميا ٢٣: ١٥.

(٢) ارميا ٣٢: ٣٠ - ٣٤.

(٣) ارميا ٤٤: ١ - ٦.

"فالآن هكذا قال الرب" لماذا أنتم فاعلون شراً عظيماً ضد أنفسكم لا نقراضكم رجالاً ونساءً أطفالاً ورضعاً من وسط يهوذا، ولا تبقى لكم بقية، لإغاظتي بأعمال ايديكم إذ تبخرون لآلهة أخرى في أرض مصر التي أتيتم إليها لتتغربوا فيها لكي تنقروضوا ولكي تصيروا لعنة وعاراً بين كل أمم الأرض.

هل نسيتم شرور آبائكم وشرور ملوك يهوذا وشرور نسائهم وشروركم وشرور نسائكم التي فعلت في أرض يهوذا وفي شوارع اورشليم، لم يذلوا إلى هذا اليوم ولا خافوا ولا سلكوا في شريعتي وفرائضي التي جعلتها أمامكم وأمام آبائكم<sup>(١)</sup>.

لذلك هكذا قال الرب الجنود اله إسرائيل ها أنذا أجعل وجهي عليكم للشر ولأقرض - كل يهوذا وأخذ بقية يهوذا الذين جعلوا وجوههم للدخول إلى أرض مصر ليتغربوا هناك - فيفنون كلهم في أرض مصر، يسقطون بالسيف وبالجوع يفنون من الصغير إلى الكبير بالسيف والجوع يموتون ويصIRON حلفاً ودهشاً ولعنة وعاراً.

وأعاقب الذين يسكنون في أرض مصر كما عاقبت اورشليم بالسيف والجوع والوباء ولا يكون ناج ولا باق لبقية يهوذا الآتين ليتغربوا هناك في أرض مصر<sup>(٢)</sup>.

وأمام هذه النصائح وهذه التهديدات نجد أن اليهود قد عكفوا على وثنياتهم وصمموا على المضي فيها والتمسك بها متحدين ارميا ورب ارميا معلنين له أن الخير كل الخير في هذه الوثنية.

"فأجاب ارميا كل الرجال الذين عرفوا أن نساءهم يُخَرَّوْنَ لآلهة أخرى وكل النساء الواقفات محفل كبير وكل الشعب الساكن في أرض مصر.. قائلين:

"إننا لا نسمع لك الكلمة التي كلمتنا بها باسم الرب، بل سنعمل كل أمر خرج

(١) ارميا ٤٤: ٧ - ١٠.

(٢) ارميا ٤٤: ١١ - ١٤.

من فمنا فنبخر للملكة السماوات ونسكب لها سكائب كما فعلنا نحن وأبائنا وملوكنا ورؤسائنا في أرض يهوذا وفي شوارع أورشليم فشبعنا خبزاً وكنا بخير ولم نر شراً.

ولكن من حين كفنا عن التبخير للملكة السماوات ونسكب لها سكائب فهل بدون رجالنا كنا نصنع لها كعكا لنعدها ونسكب لها السكائب" (١).

وهكذا وبرغم ما وقع لليهود من سبي وتشريد وما جرى عليهم من تخريب وتدمير ظلوا - موالين للوثنية مدافعين عنها معتقدين أنها الحق وأنها مجلبة للخير والسعادة وأن مجرد تركها أو البعد عنها يعنى الشر ومجلبة الشر.

### سفر حزقيال والوثنية الإسرائيلية:

أما سفر حزقيال فإنه يذكر أن الرب أرسل حزقيال وقال له مبيناً طبيعة بنى إسرائيل المادية:

"أنا مرسلك إلى بنى إسرائيل إلى أمة متمردة قد تمردت على هم وآبائهم عصوا على إلى ذات هذا اليوم، والبنون القساة الوجوه والصلاب القلوب أنا مرسلك إليهم" (٢).

"فقال لى "أذهب امض إلى بيت إسرائيل وكلمهم بكلامى، لأنك غير مرسل إلى شعب غامض اللغة وثقيل اللسان بل إلى بيت إسرائيل، لا إلى شعوب كثيرة غامضة اللغة وثقيل اللسان لست تفهم كلامهم.

فلو أرسلتك إلى هؤلاء لسمعوا لك، لكن بيت إسرائيل لا يشاء أن يسمع لك لأنهم لا يشاءون أن يسمعوا لى، لأن كل بيت إسرائيل صلاب الجباه وقساة القلوب، ها أنذا قد جعلت وجهك صلباً مثل وجوههم وجبهتك صلبة مثل جباههم، قد جعلت جبهتك كالماس أصلب من الصُّوآن فلا تخفهم ولا ترتعب من وجوههم لأنهم بيت متمرد" (٣).

(١) ارميا ٤٤: ١٥ - ١ راجع رد ارميا على اجابتهم في نفس الإصحاح ٢٠ - ٣ -.

(٢) حزقيال ٣: ٤ - ٣.

(٣) حزقيال ٣: ٤ - ٩.

ثم يتحدث السفر عن وثنية أورشليم وانحراف أهلها بقوله:

"هذه أورشليم في وسط الشعوب قد أقمتها وحواليها الأراضي فخالفت أحكامي بأشر من الأمم وفرائضي بأشر من الأراضي التي حواليها، لأن أحكامي رفضوها وفرائضي لم يسلكوا فيها، لأجل ذلك هكذا قال السيد الرب، من أجل أنكم ضججتم أكثر من الأمم التي حواليكم ولم تسلكوا في فرائضي ولم تعملوا حسب أحكامي"<sup>(١)</sup>.

من أجل ذلك .. أجعلك خراباً وعاراً بين الأمم التي حواليك أمام عيني كل عابر فتكونين عاراً ولعنة وتأديباً ودهشاً أكثر من التي حواليك"<sup>(٢)</sup>.

ثم يذكر السفر أن الرب قد اطلع حزقيال على المظاهر الوثنية في بيت أورشليم ومن هذه المظاهر كما يقول:

"رفعت عيني نحو طريق الشمال وإذا من شمالي باب المذبح تمثال الغيرة هذا في المدخل وقال لي يا ابن آدم هل رأيت ما هم عاملون، الرجاسات العظيمة التي بيت إسرائيل عاملها هنا لابعادي عن مقدسي، وبعد تعود تنظر رجاسات أعظم، ثم جاء بي إلى باب - الدار فنظرت وإذا ثقب في الحائط ثم قال لي يا ابن آدم انقب في الحائط فنقبت في الحائط فإذا باب وقال لي أدخل وانظر الرجاسات الشريرة التي هم عاملوها هنا.

فدخلت نظرت وإذا كل شكل دبابات وحيوان نجس وكل أصنام بيت إسرائيل مرسومة على الحائط على دائره، وواقف قدامها سبعون رجلاً من شيوخ بيت إسرائيل ويازانيا بن شافان قائم في وسطهم وكل واحد مجمرته في يده وعطر عنان البخور صاعد ثم قال رأيت يا ابن آدم - ما تفعله شيوخ بيت إسرائيل في الظلام كل واحد في مخادع تصاويره، لأنهم يقولون الرب لا يرانا الرب قد ترك الأرض"<sup>(٣)</sup>.

(١) حزقيال: ٥ : ٥ - ٧.

(٢) حزقيال: ١٤ : ٥ - ١٥.

(٣) حزقيال: ٨ : ٥ - ١٢.

وقال لى بعد تعود تنظر رجاسات أعظم هم عاملوها، فجاء بى إلى مدخل بيت الرب - الذى من جهة الشمال وإذا هناك نسوة جالسات يبكين على تمور<sup>(١)</sup>، فقال لى أرأيت هذا يا ابن آدم بعد تعود تنظر رجاسات أعظم من هذه ، فجاء بى إلى دار بيت الرب الداخلية وإذا عند باب هيكل الرب بين لارواق والمذبح نحو خمسة وعشرين رجلاً ظهورهم نحو هيكل الرب ووجوههم نحو الشرق وهم ساجدون للشمس نحو الشرق وقال لى أرأيت يا ابن آدم - أقليل لبيت يهوذا عمل الرجاسات التى عاملوها هنا، لأنهم قد ملأوا الأرض ظلماً - ويعودون لإغاضتى وهم يقربون الغصن إلى أنفهم فأنا أيضاً أعامل بالغضب"<sup>(٢)</sup>.

وقد أطلع الرب حزقيال على مظاهر أخرى من وثنية يهوذا<sup>(٣)</sup> حتى خر على وجهه وصرخ وقال "هل أنت مهلك بقية إسرائيل كلها بصب رجزك على أورشليم فقال لى أن اثم بيت إسرائيل ويهوذا عظيم جداً وقد امتلأت الأرض دماء وامتلات المدينة جنفاً، لأنهم يقولون الرب قد ترك الأرض والرب لا يري<sup>(٤)</sup>.

وذكر السفر أن الرب قال لحزقيا أن بيت إسرائيل كلهم قد ارتدوا عنى بأصنامهم لذلك قل بيت إسرائيل توبوا وارجعوا عن أصنامكن عن كل رجاستكنم<sup>(٥)</sup>.

### قاموس الكتاب المقدس والوثنية الإسرائيلية:

وهناك إلى جانب هذه النصوص نصوص أخرى كثيرة من أسفار أخرى للأنبياء تصور بوضوح لا لبس فيه ضخامة الوثنية التى كان اليهود غارقين فيها، لكنى أكتفى بما ذكرت حتى لا يطول الفصل أكثر من ذلك. وإن كنت أفضل أن أنقل ما ورد فى قاموس الكتاب المقدس عن اليهود كملخص لهذا الفصل:

(١) تفصيل الحديث عن هذه العبادة ومصدرها وحقيقة الآلهة تموز فى الباب الثالث إن شاء الله.

(٢) حزقيال ٨: ١٣ - ١٧.

(٣) حزقيال ٩: ١ - ٧.

(٤) حزقيال ٩: ٨ - ٩.

(٥) حزقيال ١٤: ٥ - ٦.

يذكر القاموس أن تاريخ اليهود حافل بتأثرهم بمختلف المعتقدات الوثنية فلا بد أنهم تأثروا بها، وهم في سورية، ولما هاجروا إلى مصر وجدوا هناك ديانات وثنية منظمة ذات طقوس وآلهة وفلسفات.

وكانت إقامتهم الطويلة في أرض مصر تعطى مجالاً لهم لكي يكتفوا نظراتهم التوحيدية حسب ظروف ومفاهيم مصر التي كانت تعبد آلهة متعددة وقتذاك.

وحينما خرجوا منها عائدين إلى فلسطين، تسربت معهم تلك المؤثرات الوثنية، وظلت تفعل فيها، بالرغم من أن خلاصهم من العبودية في مصر كان بفضل الله الواحد.

بل إن العبرانيين كشفوا عن تأثرهم بالمعتقدات الوثنية من قبل أن يصلوا فلسطين وهم بعد على الطريق في سيناء فقد عبدوا العجل الذهبي الذي كان سيد آلهة ممفيس في مصر.

واستمر اليهود في الخلط بين التوحيد والوثنية في التوبة إلى الله الواحد ثم النكوث بالعهد والعودة إلى الأصنام المتحجرة حتى أخلصوا الله الواحد أيام يشوع.

وما أن وصلوا فلسطين واستقروا فيها حتى أعادوا سيرتهم الأولى، وأخذوا أيام القضاة يخلطون بين الاعتقادين من جديد، بل أنهم أخذوا يبنون المذابح للبعل وزاد في ابتعادهم عن الله أنهم جاوروا في فلسطين شعوباً سورية كانت تعبد الآلهة المتعددة - والأصنام العريقة بتراتها الدينية والأدبية والفنية.

ثم ظهر صموئيل وداود وسليمان فتقوت بهم عبادة الله، غير أن الشعب لم يستمر في توحيده طويلاً فقد ارتد إلى الأوثان في أواخر سليمان.

وفي عصر الانقسام قام تاريخ مملكتي يهوذا وإسرائيل في فلسطين على محور الصراع بين التوحيد والوثنية، ولم تكن تطول غلبة المعتقد الواحد على الآخر كثيراً، إذ كان كل حزب يشن الحرب ضد خصمه، وقد تأثر بهذا الصراع الديني -

السياسى - التاريخ اليهودى بأكمله، وعلاقات اليهود مع الدول المجاورة لهم، ومصير استقلالهم السياسى.

وظل الأمر كذلك حتى العودة من سبى بابل، وكان الله يعاقب اليهود على ابتعادهم عنه معاقبة شديدة وينزل بهم المصائب ولذلك كان تاريخهم حافلاً بالويلات والعداءات.

وندد أنبياء الله بالمعتقدات الوثنية ودعوا الشعب اليهودى إلى الإقلاع عنها وتنبأوا للأمم المجاورة التى كانت مصدر تلك المعتقدات، بالهلاك والدمار والانحلال، وحذروا اليهود من مغبة تقليد جيرانهم والاحاق بهم المصير نفسه<sup>(١)</sup>.

والخلاصة أن اليهود كانوا ينزعون إلى الوثنية بكل جوارحهم وبأفئدتهم ويعكفون عليها طيلة أيامهم ويستمسكون بها تمسكاً عجيباً ويدافعون عنها دفاعاً شديداً.

وقد كان هذا من العوامل التى ساعدت على تأثر اليهودية بالأديان الوثنية القديمة.

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٥٩٤ - ٥٩٥.